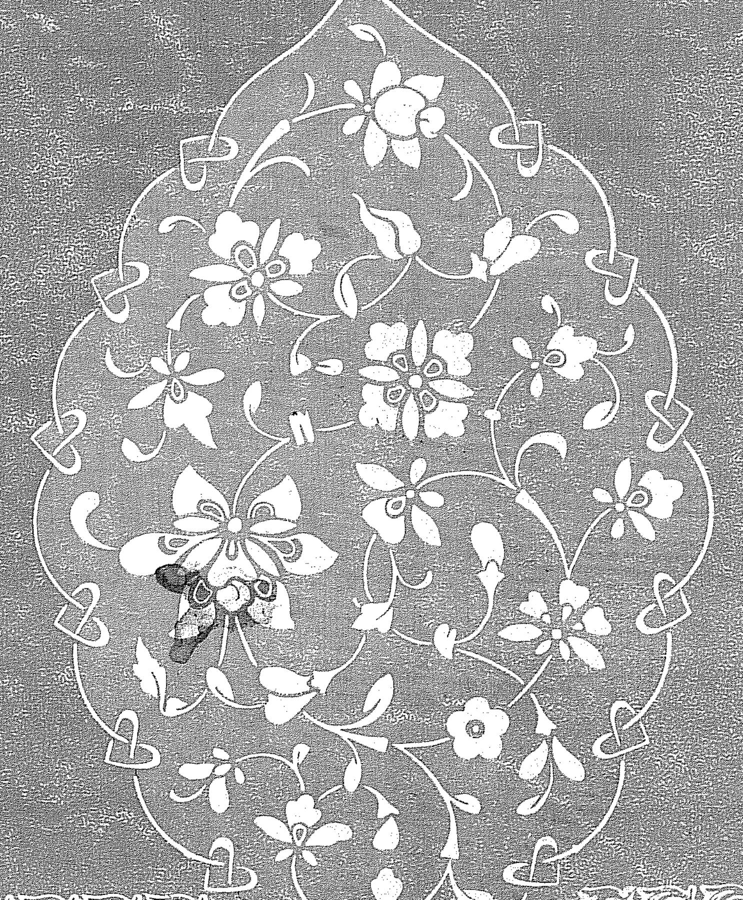
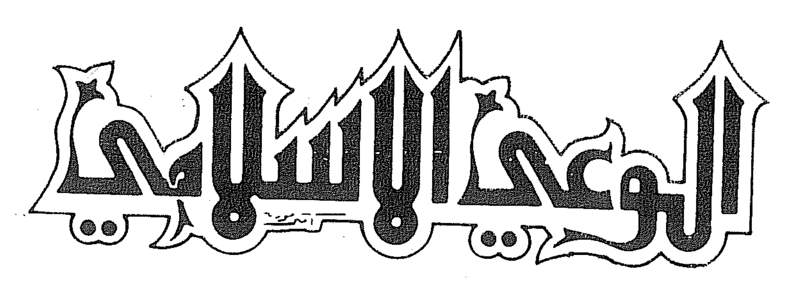
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٠٩ ● جمادى الاولى ١٤٠٢ هـ ● مارس ١٩٨٢ م



هدية العدد مجلة براعم الايمان



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢٠٩ ● جمادي الاولى ١٤٠٢ هـ ● مارس ١٩٨٢ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

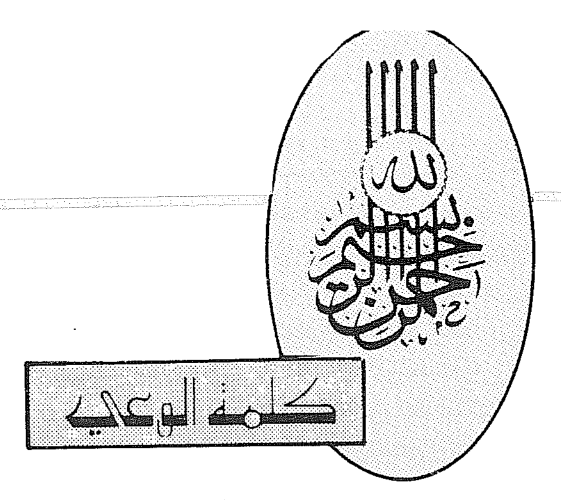
الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمـن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الاسلام والكرامة الانسانية

لقد كان من تكريم الله للانسان أن خلقه في أحسن تقويم ، وفضله على كثير من خلقه تفضيلا عظيما ، وآتاه نعما لا تحصى ، وسخر له مختلف الأشياء في البر والبحر والهواء ، وجعل له السيادة والسلطان على تلك الأشياء ، ولم يسخره هو لشيء منها . قال تعالى : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) . (**لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم**) . (**الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**) .. (**وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه**) .

والاسلام الحنيف الذي ختم الله به رسالاته وبعث به محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ليخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط العزيز الحميد .. هذا الاسلام قد قرر للفرد من بني آدم ـ ذكرا او انثى ، اسود أو أبيض ، ضعيفا أو قويا ، فقيرا أو غنيا ، مسلما أو غير مسلم ـ من الصيانة والحماية والحصانة ما يحفظ به دمه ان يسفك ، وعرضه أن ينتهك وماله ان يغتصب، ومسكنه ان يقتحم ، ونسبه ان يبدل ، وضميره ان يتحكم فيه قسرا وحريته ان تعطل خداعا ومكرا ، ووطنه ان يخرج منه أو يزاحم عليه .. ولم يكتف الاسلام بتقرير تلك الحماية نظريا ولكنه يطبقها عمليا ، ويهيب بالفرد ان يدافع عن كرامته ، وان يقاتل دونها وان يضحي بنفسه في سبيلها فيقول رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم : (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد ، ومن قتل دون مظلمته فهو شهيد) .

وهذه الحصانة التي كرم الله بها كل فرد هي الدرع الواقي من نزوات الطغاة والجبارين ، وهي الأساس الذي تقوم عليه العلاقات بين الناس ويظل الفرد

مشمولا بهذه الحماية الى ان ينتهك هو حرمة نفسه بارتكاب جريمة من الجرائم فيرفع عنه جانب من الحماية بقدر جريمته ، وتبقى له الجوانب الأخرى .. وهو في قانون الاسلام - منذ ان يتهم - بريء حتى تثبت ادانته بالاقرار الصحيح او البينة السليمة . فاذا ثبتت قدرت جنايته بقدرها ونال العقوبة المناسبة لها دون رأفة ولا زيادة ولا يجوز لاحد لا قبل تنفيذ العقوبة ولا بعدها ان يتسلط عليه باي نوع من أنواع الأذى ومن يفعل ذلك يكون ظالما يؤخذ بظلمه وله من الله عذاب اليم (**انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم**) .

وبهذا المسلك السامي يحمي الاسلام اعداءه كما يحمي اولياءه .. يحمي اعداءه في حياتهم فيحول دون قتالهم الا اذا بدأوا بالعدوان (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين**) .. (**اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله**) ... ويؤمنهم في ميدان القتال من الغدر .. ويصون اجسادهم - بعد موتهم - من كل تشويه او تمثيل .

والمؤمنون بالله تعالى تسمو نفوسهم فلا يسجدون الا لله ، ولا يخشون احدا سواه .. وهم بالايمان وبالعمل الصالح الذي شرعه الله يستوحون مواهبهم الانسانية العليا ، ويسيطرون على قواهم وغرائزهم الدنيا ، ويسترشدون بامر ربهم وهداه ، ويحاذرون من خدع الشيطان وهواه . وبذلك ينالون الحياة الطيبة في الدنيا حرية وعزة ، فيأبون ان يهونوا على انفسهم وان يذلوا لمخلوق . (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**) .. (**من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**) .

تلك هي الكرامة الانسانية التي حافظ عليها المسلمون الأوائل فعزوا وسادوا ، فهل للأحفاد - بعد ان وصلوا الى تلك الحال من تسلط الأعداء وسلب الأوطان والمقدسات ، والتفرق والتنازع - ان يتدبروا التاريخ ليدركوا ان كرامتهم وعزهم ومجدهم في العمل بالإسلام ، وان امة الاسلام لن تصلح الا بما صلح به أولها ، اعتصام بحبل الله ، ونبذ للتنازع والشقاق ، وتعاون وثيق على الخير واحسان من الولاة لشعوبهم ونصح من الشعوب لولاتهم ؟

ألم يأن لنا أن تخشع قلوبنا لذكر الله وما نزل من الحق ، وان نعتز بحقوقنا فلا نفرط فيها وان نحترم ارادتنا فلا نسمح بقيد عليها من هنا او هناك ، وان نأبى الذل والهوان ، وان نقيم شريعة الله لينتشر العدل والطهر والحرية والعزة في ربوع بلادنا .. ان ذلك هو السبيل الوحيد لإنقاذنا مما نحن فيه وهو الذي يبدل شقاقنا ونزاعنا الى أخوة صادقة ، والفة جامعة ، ووحدة قوية آمينة تقوم على العمل بالاسلام وتنفيذ شريعته قال تعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) .. (**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**) .. (**ان هذه امتكم امة**

واحدة وانا ربكم فاعبدون) .

ايها العرب : لقد اختار الله اجدادكم ليكونوا مادة الاسلام الاولى ، فكانوا ـ باهتدائهم به وتنفيذهم لاحكامه ـ سادة الدنيا واساتذة العالم ، واعلام الطهر والعدل ومن واجبكم لتسعدوا بالحياة ان تسلكوا طريق الله الذي سلكوه .

ان ما تسيرون عليه الآن ـ ازاء عدوان الصهيونية والصليبية والشيوعية على بلادكم ومقدساتكم ـ من الشجب والاستنكار والاحتجاج والاحتكام الى الهيئات الدولية المحكومة (**بالفيتو**) من الدول الكبرى التي تعمل على اذلالكم وسلب حقوقكم ، لن يجديكم نفعا ولن يعيد لكم حقا ، بل انه يزيد الداء ويضاعف العلة ، ويرسخ اقدام العدو وييسر له المزيد من العدوان !! .. والطريق الصحيح للخلاص هو العمل . والعمل الجاد الذي ينبعث من الايمان وتقوم به الشعوب المؤمنة بالاسلام ملتحمة مع الحكام الذين يعملون بالاسلام .. وانتم لا تنقصكم القوة المادية فقد منحكم الله وسائلها وما عليكم الا ان تضيفوا اليها قوة النفوس بالايمان بالله والعطاء في سبيله ، والتضحية من اجل الحق والكرامة والشرف ، **(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله)** .

ويوم ان تستجيبوا لنداء الكرامة وتسلكوا طريق العمل ـ كما امر الاسلام ـ ستخشاكم جميع القوى الأرضية الظالمة وتكف اذاها عنكم وتسلم لكم بكل حقوقكم .. ومن يعمل ويجاهد في ظل مرضاة الله يزداد ايمانا كلما خوفه الناس من تجمع القوى الكافرة لحربه فيمضي في جهاده لا يلوي على شيء ولا يخشى من الناس احدا **(الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)** .

فلنقابل الاعداء بما يقهرهم ، ويعيد لنا الحقوق المغصوبة ، ولنعتصم بالقول السديد الذي يصحبه العمل القوي المفيد ، ولنعلم ان مواجهة السيف بالحجة فشل ذريع ، وترك لسبيل الهدى ، وعزوف عن طريق النصر !! وقد قال رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل » وقال تعالى : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)** .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



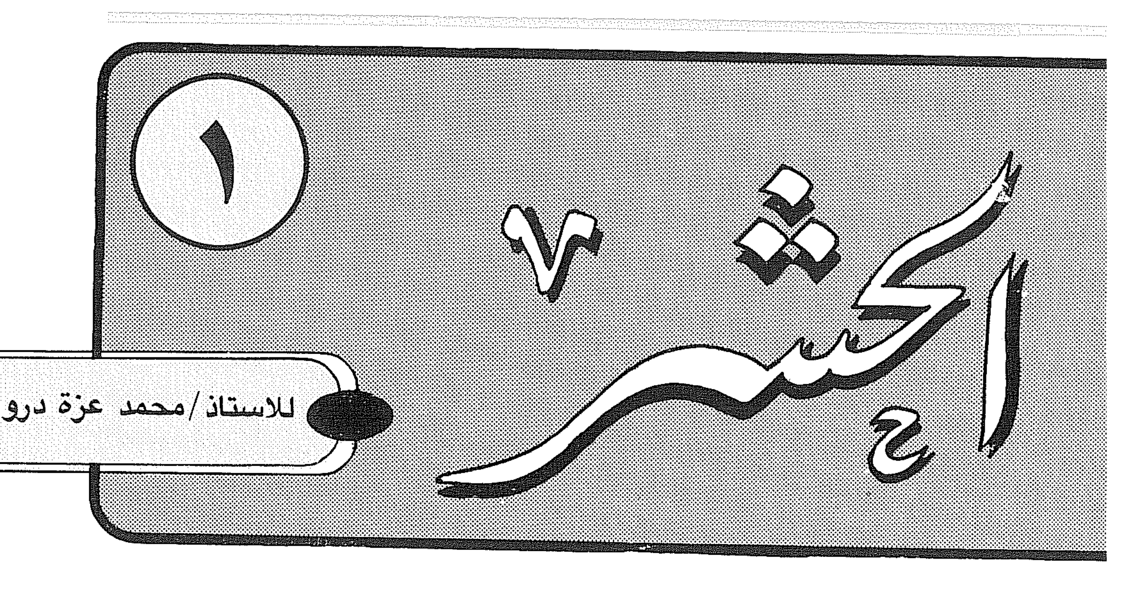
تعريف بالسورة

جل هذه السورة في صدد اجلاء فريق من اليهود عن المدينة المنورة . وما كان من مواقف المنافقين في ظروف ذلك . وتشريع للفيء الذي أفاءه الله منهم ومداه وما كان من تشاد حوله . وفيها أكبر مجموعة لأسماء الله الحسنى . ونرجح أنها نزلت دفعة واحدة أو متتابعة حسب ما جاءت في المصحف .

والمفسرون وكتاب السيرة متفقون على أن الفريق اليهودي هم بنو النضير إحدى قبائل اليهود الاسرائيليين الذين كانوا يقيمون في المدينة . ومتفقون كذلك على أن حادث إجلائهم وقع بعد نحو خمسة أشهر من وقعة احد . ويسمي المفسرون السورة باسم بني النضير أيضا عزوا إلى ابن عباس وغيره .
(انظر تفسيرها في الطبري والبغوي وابن كثير وغيرهم وانظر ابن هشام (ج ٣ ص ١٩١ ـ ١٩٨) .
وفيها إشارات إلى ما كان لليهود من حصون وعدة حرب . وإلى دخول فريق من أهل المدينة للاسلام قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إليها .

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم[1] هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين



فاعتبروا يا أولى الأبصار[٢] ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار[٣] ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب[٤] .

شرح معنى الآيات

١ ـ إن الله الذي يذكره كل ما في السموات والأرض بالحمد والتقديس والخشوع (وهذا معنى التسبيح) القوى الجانب الحكيم القدير هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من موطنهم لأول الحشر في حين أنه لم يكن المؤمنون يظنون ذلك يتم . وأن اليهود كانوا يظنون أن حصونهم مانعتهم من نكال الله . ولكن هذا النكال أتاهم من حيث لم يكن يخطر ببالهم ويحسبوا حسابه . وقذف في قلوبهم الرعب حتى أنهم خربوا وهدموا بيوتهم بأيديهم فضلا عن أيدي المؤمنين . وأن في ذلك لعبرة يجب أن يعتبر بها أولو الأبصار والعقول .
٢ ـ لقد اقتضت حكمة الله أن يكتفي باخراجهم وجلائهم مع أنهم مستحقون لعذاب أشد في الدنيا . ولسوف يكون لهم في الآخرة عذاب النار . وذلك بسبب ما كان منهم من مشاقة لله ورسوله ومناوأة وعداء . ومن يفعل ذلك يتعرض لغضب الله الشديد العقاب .



١) وأسلوب الآيات يدل على أنها جاءت للعظة والعبرة . وتذكر المسلمين بما يسر

الله لهم بحيث لو لم يكن تيسيره لما تم ما تم . ولم تأت للسرد القصصي . وهذا شأن سائر حوادث الجهاد في القرآن بل سائر قصص القرآن . ولما كانت الآيات التالية لها قد احتوت تشريع تخصيص جميع ما افاءه الله من هذا الحادث من غنائم لبيت مال المسلمين والفئات المحتاجة بأسلوب قوي حاسم . فمن السائغ أن يقال أن هذه الآيات قد جاءت بأسلوبها الذي جاءت به لتبرير ذلك التشريع والله أعلم .

٢) ويتضمن هتاف الآيات : (**فاعتبروا يأولي الأبصار**) بشرى ربانية تمد المسلمين بالروح والأمل في ظرفهم الحاضر المشابه للظرف الذي كان فيه المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث يحتل الذين كفروا من أهل الكتاب . الصهيونيون اليهود - جميع فلسطين عدوانا وقهرا وإغتصابا بعد أن قتلوا الآلاف من أهلها دون تفريق بين ذكر وأنثى وصغير وكبير ومحارب وغير محارب وشردوا معظم من بقي منهم حيا بمساعدة وتأييد طواغيت الاستعمار الطامعين بالسيطرة على بلاد العرب وثرواتها . فالمسلمون الآن يظنون كما كان يظن المسلمون الأولون أنهم غير قادرين على إخراج المغتصبين من أرضهم . والمغتصبون يظنون أنهم لن يغلبوا ولن يقدر المسلمون على استرداد ما إغتصبوه منهم بسبب ما هم عليه من قوة تمدهم بها أميركا طاغوت الاستعمار الأكبر اليوم وبسبب تأييد هذا الطاغوت لهم . ولكن الله تعالى أتى الذين كفروا من أهل الكتاب الأولين من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب وجعلهم يخربون بيوتهم بأيديهم فضلا عن أيدي المؤمنين وأجلاهم عن الأرض المقدسة . وهو قادر على أن يفعل ذلك مع الذين كفروا من أهل الكتاب الجدد الطغاة المعتدين وأنصارهم . ومن تحصيل الحاصل أن نقول أن على المسلمين أن يقوموا بما أوجبه عليهم كتاب الله في آيات عديدة أخرى ليستحقوا نصره وتأييده فيتضامنوا أشد تضامن ويتخلوا عن ما هم فيه من تمزق وتخاذل وتهاون . - وكل هذا هو الذي مكن عدوهم وأنصاره من بلادهم - ولا يهنوا في كفاحه ويعدوا له كل ما يستطيعون من قوة . وقد منحهم الله نعمته العظمى التي فيها قوة عظمى لو عرفوها وقدروها واستعملوها حق معرفتها وقدرها واستعمالها .

٣) ولقد كان في المدينة ثلاث كتل يهودية . يمتد سكناها فيها إلى أمد غير قصير على ما يدل عليه ما هو يقيني من أنها كانت تتكلم بالاضافة إلى العبرانية العربية ، وتقيم علاقات وثيقة حلفية وغير حلفية مع العرب ، وكان لها مزارع ومرافق وحصون وبالتالي مركز راسخ قوي .

والمفسرون ورواة السيرة متفقون على أن موضوع الآيات هم إحداها المسماة ببني النضير . أما الأخريان فهما بنو قينقاع وكان تم اجلاؤها قبل هؤلاء بنحو سنة . وبنو قريظة وقد تم إجلاؤها بعد هؤلاء بنحو سنتين .

ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة كتب عهدا لهذه الكتل الثلاث ،

آمنهم فيه على أموالهم وأملاكهم وحريتهم الدينية والطقسية ، وأقرهم على ما كان بينهم وبين قبيلتي الأوس والخزرج العربيتين من محالفات قبل الاسلام ، وأوجب عليهم الموادة والمسالمة وما يوجبه الحلف عليهم من واجبات غير أنهم رأوا في هجرته وانتشار الاسلام ما يهدد مصالحهم ومنافعهم فوقفوا منه ومن الاسلام والمسلمين موقف الكفر والمناوأة إلا أفرادا معدودين ، ولقد عمدوا إلى أساليب متنوعة في المناوأة والدس والتشكيك والحجاج ، فوسع الله صدر النبي صلى الله عليه وسلم لذلك . ولكنهم خرجوا عن هذا النطاق إلى نطاق الخيانة والغدر فاستحقوا النكال .

ونخلص من كل ما تقدم إلى ترديد ما جعلناه عنوانا لكلمتنا ، وهو أن الحاجة الملحة ليست إلى مبادرات جديدة بل إلى الجد العربي داخليا وسياسيا وعسكريا ثم إلى موقف عربي جاد تجاه الولايات المتحدة ، التي لولا تأييدها المطلق على أوسع قياس في كل شيء وموقف ، لما كان العدو المجرم وقف وظل يقف موقفه المستهتر المتغطرس المهين من العرب ومن جميع المبادرات والقرارات ، بحيث صارت بحق هي أعدى أعداء العرب وأشدهم لؤما . ويزداد هذا اللؤم نصاعة أو بشاعة حينما تتنطع لزعامة الدفاع عن حقوق الانسان في الدول الأخرى بسبب حوادث فردية ، بينما تؤيد ذلك التأييد الواسع عصابات الاجرام فيما تمارسه من أبشع أعمال العدوان على حقوق الانسان بالنسبة لوطن كامل وشعب كامل ، وفيما تدوسه من مواثيق دولية وفيما تتحداه من قرارات وإدانات دون توقف لحظة واحدة ..

٤) وخلاصة ما ذكرته الروايات في صدد حادث بني النضير موضوع التفسير ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب مع بعض أصحابه إلى محلتهم للاستعانة بهم على دية قتيل ، كان بين قوم قاتله وبينهم حلف وعهد جريا على التقاليد الجارية ، فتظاهروا بالاستعداد لتلبية طلبه . ولكن بعضا منهم قال لبعض ، إنكم لن تجدوا فرصة أحسن من هذه الفرصة لقتل محمد ، وأخذوا يدبرون طريقة ذلك ، فأوحى الله إليه محذرا ، فانسحب بسلام وأرسل إليهم في اليوم التالي إنذارا بالجلاء في ظرف عشرة ايام على أن يأخذوا أموالهم المنقولة ويقيموا وكلاء على أراضيهم وبساتينهم . وكانوا حلفاء لكبير المنافقين في المدينة عبدالله بن أبي بن سلول أحد رؤساء قبيلة الخزرج العربية المقيمة في المدينة . وكان معه في نفاقه جماعة من عشيرته ، فاستشار بنو النضير هذا الرئيس فحرضهم على الرفض ، ووعدهم بالنصر مع جماعته فاغتروا ورفضوا ، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم مع المسلمين المخلصين الذين كان منهم كثير من قبيلة الخزرج وزعمائهم أيضا ، وضيقوا عليهم ولم يف المنافقون بوعدهم لهم فاستولى الرعب عليهم ورضوا بالجلاء بشروط أشد من الأولى بسبب رفضهم وعنادهم ، وهي تسليم سلاحهم وتنازلهم عن أراضيهم وبساتينهم والخروج بمنقولاتهم فقط .

ومما روته الروايات أن بني النضير أرادوا التجلد وإظهار الخيلاء وهم يخرجون ، فكانت قيانهم يعزفن وأصحاب الدفوف والمزامير يضربون بدفوفهم

ومزاميرهم . وأنهم هدموا بيوتهم وحملوا سقفها وعضائدها وأبـوابها من الخشب . لئلا ينتفع بها المسلمون وأن بعض الأبنية بقيت قائمة فخربها وهدمها المسلمون . وأن اثنين منهم أسلما فبقيا حيث هم سالمة لهم أموالهم وأن منهم من ذهب إلى بلاد الشام ومنهم من ذهب إلى خيبر فأقام مع يهودها . ومن هؤلاء زعماؤهم الذين هم يهود خيبر . وأن عدد السيوف التي استولى عليها المسلمون منهم ٣٤٠ وعدد الدروع خمسون وعدد البيض أو مغافر الرأس خمسون .

٥) ولقد تعددت تأويلات المفسرين ورواياتهم لجملة (**لأول الحشر**) . من ذلك أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أين نخرج فقال لهم إلى أول الحشر في الشام ومن ذلك أن معناها هذا هو الحشر الأول أي الجلاء الأول ويعقبه حشر ثان أو جلاء ثان وهو ما تم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ومن ذلك أنهم استسلموا وقبلوا الخروج لأول ما حشر النبي وشدد الحصار عليهم واستعد لقتالهم . ولعل التأويل الأخير هو الأوجه . لأنه لم يقع بينهم وبين المسلمين قتال . وهو المتسق مع روح الآية الثانية التي هي بسبيل تقرير ما كان من تيسير الله لخروجهم بسهولة وسرعة لم تكونا متوقعتين لاحد .

٦) وجملة (**ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله**) في الآية الأخيرة واسعة المدى والشمول . وتدل على أنه كان من يهود بني النضير مواقف عديدة مؤذية ومزعجة تجاوزت موقف الجدل والمناظرة في شؤون الدعوة بل وتجاوزت مواقف التشكيك والاستهتار والاستخفاف والطعن وإن محاولتهم اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت السبب المباشر .

ولقد كان كعب بن الأشرف منهم . وكان شاعرا يجيد العربية وينظم فيها ، فكان يهجو النبي والمسلمين بقصائده المقذعة ، ويتشبب بنسائهم ويحرض مشركي قريش عليهم ويرثي قتلاهم في وقعة بدر حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم انتدب بعض أصحابه لاغتياله فذهبوا واغتالوه فعلا وكان ذلك قبل وقعة إجلاء قبيلته بوقت قصير على ما ذكره ابن هشام في سيرته وابن سعد في الطبقات .

٧) وزعيم المنافقين هو زعيم عشيرة بني عوف من أقوى عشائر قبيلة الخزرج . وقد روى ابن هشام عن ابن اسحق أن قومه كانوا ينظمون الخرز ليصنعوا له تاجا ويعلنوه ملكا عليهم . وفي هذه الأثناء تم الاتصال بين النبي صلى الله عليه وسلم وبعض رجال الخزرج والأوس في مكة فآمنوا وبايعوا النبي على نصرته والدفاع عنه إذا هاجر هو وأصحابه إلى مدينتهم ، وتم ذلك وبدأت الهجرة وأخذ الاسلام ينتشر في المدينة حتى قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فشغل هذا الحادث العظيم قوم ابن أبي بن سلول عنه ، وخاب أمله في الملك فحقد على النبي صلى الله عليه وسلم وحركته وتعصب له بعض عشيرته . ولقد كان الظرف مانعا لهم من

التظاهر بالكفر والشرك ، فتظاهروا بالاسلام وكانوا يصلون ويزكون ويشتركون في الجهاد ، ولكنهم ظلوا يضمرون الكفر والعداء ويقفون مواقف المناوأة والأذى والتنشيط والمراوغة والدس بل والتآمر مع الأعداء من مشركين وكتابيين في مختلف المناسبات والأوقات وخاصة في أوقات الأزمات والحرج مما رددته آيات كثيرة في سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والأحزاب ومحمد والحديد والمجادلة و « المنافقون » .

ولما تطير يهود المدينة من هجرة النبي والمسلمين إليها على ما ذكرناه قبل . سارعوا إلى الاتصال بالمنافق الكبير وتم بينهم تحالف جديد . وكانوا وراءه في معظم مواقفه حتى سماهم القرآن شياطين في آيات سورة البقرة هذه التي كانت أولى آيات نزلت فيهم :

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) البقرة ٨ ـ ١٥ .

وكان من أشد وأنكى مواقف هذا الزعيم ما رددته سورة « المنافقون » من تحريض الأنصار على عدم مساعدة فقراء المهاجرين ـ وكان جلهم فقراء ـ لأنهم تركوا أموالهم وأملاكهم في مكة ـ ومن قسمه بأن يخرج الأعز في المدينة الأذل منها حاسبا نفسه الأعز والنبي والمهاجرين الأذل : **(هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون . يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)** المنافقون ٧ و٨ .

وكان هذا الموقف أثناء غزوة قادها رسول الله وكان كبير المنافقين وجماعته فيها مع معظم الأنصار والمهاجرين . وهتف المنافق الكبير في الأنصار قائلا (هكذا فعلتم في أنفسكم وحق عليكم المثل (سمن كلبك يأكلك) ثم قال ما حكته الآيات) .

ولقد استأذن أحد كبار المهاجرين النبي بقتله فقال النبي لا أريد أن يتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه . والتمس زعيم من الأنصار من النبي توسيع صدره وقال له لقد جئتنا يارسول الله وقومه ينظمون الخرز له لتتويجه وأنه ليحسب انك استللته ملكا . فقال نعم سنوسع صدرنا له . وكان له ابن مخلص الايمان هو عبدالله فجاء إلى رسول الله وقال له إن كنت آمرا بقتل أبي فأمرني فأنا أقتله . لأني أخشى أن يقتله غيري وتأخذني العصبية فأقتل مؤمنا بكافر . فقال له رسول الله بل نتسامح معه . فقال الابن أما وقد قلت هذا فليعلمن غدا أن رسول الله هو

الأعز وأنه هو الأذل . ثم وقف بباب المدينة ومنع أباه من دخولها حتى يعلن أنه هو الأذل ورسول الله هو الأعز ففعل .

ونكتفي بما تقدم لان الموضوع ليس موضوع المنافقين في أصله . مع التنبيه على أن نطاق النفاق ومواقف المنافقين المؤذية لم تكن قاصرة على هذا الزعيم وجماعته بل كان هناك أفراد آخرون من أهل المدينة وجماعات من البدو منهم المعروفون ومنهم المستورون الذين تفضحهم مواقفهم على ما ذكرته آيات قرآنية عديدة في سورة التوبة وغيرها وعلى ما ذكرته الروايات وإن كانت مواقف ذلك الزعيم وجماعته كانت هي الأشد نكاية وأذى . ومع التنبيه كذلك على أن مركز هؤلاء أخذ يضعف وقوتهم تهن وعددهم يتناقص بعد طرد اليهود شياطينهم من المدينة واتساع نطاق الاسلام وسلطان النبي صلى الله عليه وسلم حتى وصل أمرهم بعد أن كانوا يظنون أنهم الأعز في المدينة إلى الحالة التي وصفتهم بها آيات سورة التوبة التي هي من أواخر ما نزل من القرآن (**ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون**) ٥٦ و ٥٧ . التوبة

(**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين**) (الحشر) ٥ .

شرح وتعليق :

١ ـ اللينة هي غرسة النخيل الفتية في قول ، ونوع من جيد النخل في قول آخر .

٢ ـ مما روته روايات السيرة إن النبي لما شدد الحصار على بني النضير أمر بسبيل ذلك بقطع غراس النخيل في بساتينهم . لارهابهم وإرغامهم . فهتف بنو النضير بالنبي منددين بما فعله بالنخيل وواصفين ذلك بالشذوذ والقسوة والعبث . ومما روى أن زعيم المنافقين وجماعته الذين كان بنو النضير حلفاءهم هم الذين هتفوا بذلك فاقتضت حكمة التنزيل بوحي الآية لتبرير الفعل . فان ما قطعوه من النخل كان باذن من الله وما أبقوه باذن من الله وأن القطع كان لخزي العاصين المتمردين . وكأنما أريد أن يقرر بها أن القطع كان عملا من أعمال الحرب التي تقرها ضرورات الحرب فلا يصح سوقها في معرض التنديد . والآية والحالة هذه استمرار للسياق وبسبيل حادث آني وقع في ظروف الحصار وهذا من أساليب التنزيل القرآني .

وقد يكون في التبرير القرآني اجازة لأي عمل من نوعه يؤدي إلى إرغام العدو حينما تقوم حالة حرب وعداء بين المسلمين وغيرهم ، والله تعالى أعلم .

قال تعالى :

(**وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن**

الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير[٦] ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب[٧]

معاني بعض الكلمات :

١) أفاء : منح أو يسر . ٢) أوجفتم : هيأتم . ومعنى جملة (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) لم تسيروا مسيرة تحتاج إلى خيل وركائب وتتحملوا فيها حربا وتضحية ومشقة فيما أفاء الله على رسوله حيث كان ذلك من تيسير الله تعالى .
٣) كيلا يكون دولة بين الاغنياء ـ لئلا يكون المال الذي يحصل من هذا الفيء الذي يسره الله بهذه السهولة مما يصح أن يتداوله الأغنياء .

شرح مضمون الآيات :

تضمنت الآيات :

١ ـ مقدمة تبريرية لتشريع الفيء . فأملاك اليهود المجليين التي منحها الله هي هبة وتيسير منه . وقد مكن الله رسوله من ذلك وهو الذي يسلط رسله على من يشاء وهو القدير على كل شيء ولم يكن على المسلمين في ذلك مشقة وكلفة في حرب واعداد ومؤونة للحرب .

٢ ـ تشريعا لما استولى عليه المسلمون من بساتين ومزارع الأعداء . فهو والحالة كما ذكرت لله والرسول وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . ولا يصح أن يكون منه شيء للأغنياء من المسلمين حتى لا يبقى المال محصور التداول بين الأغنياء .

٣ ـ تدعيما لهذا التشريع . فعلى المسلمين أن يسمعوا ويطيعوا . فما أتاهم الرسول أخذوه . وما نهاهم عنه ومنعه عنهم وجب عليهم ان ينتهوا ويمتنعوا عنه . وعليهم بتقوى الله والوقوف عند أوامره فانه شديد العقاب على من يخالف ويتجاوز حدوده المرسومة . والجملة الأخيرة تتضمن تقرير كون ما يفعله الرسول من مثل ذلك هو من وحي الله وأمره .

روايات سبب نزول الآيات :

لقد روى البغوي والخازن أن بعض المسلمين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم قسمة غنائم بني النضير كقسمة غنائم الحرب التي نزل تشريعها في سورة الأنفال ، أي إفراز خمسها للمصارف الستة المذكورة وتوزيع الأخماس الأربعة على المشتركين في الحصار . والطبري يروي أن الذين طلبوا ذلك كانوا جماعة من

الأنصار . وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى أن جميع غنائم بني النضير يجب أن تكون للمصارف الستة لأن المسلمين لم يوجفوا على إحرازها خيلا ولا ركابا وأن الآيات نزلت بسبيل تأييد رأي النبي صلى الله عليه وسلم .

تعليق على مدى تشريع الفيء :

إن أسلوب الآية الثانية يجعل التشريع فيها عاما شاملا لكل ما دخل في حوزة رسول الله وخلفائه من بعده بالتبعية من أموال العدو بدون تكلف المسلمين نفقة ومشقة ليكون لبيت المال وينفق على مصالح الاسلام والمسلمين العامة وعلى فقراء المسلمين ومحتاجيهم .

وهذا ثاني تشريع قرآني ورسمي بعد تشريع الغنائم الحربية في سورة الأنفال . وقد عرف باسم (الفيء) اقتباسا من نص الآيات وروحها . وهو أعظم خطورة وأبعد مدى من تشريع الغنائم لأن هذا التشريع جعل الخمس فقط للمصارف الستة بينما جعل تشريع الفيء جميع الفيء لها .

توضيح للمصارف الستة :

١ ـ هناك من قال أن المصارف خمسة وأن ذكر الله في أولها للتشريف . وهناك من روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفرز سهما للكعبة ويقول هذا سهم الله وينفقه على شؤونها وليس هناك حديث وثيق وصريح . ولقد ذكر (سبيل الله) في مصارف الزكاة التي وردت في آية سورة التوبة : (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل**) التوبة ٦٠ .

ويتبادر لنا ـ والله أعلم ـ أن كلمة (الله) في آية الفيء وجملة (سبيل الله) في آية الصدقات في معنى وهدف واحد . وسبيل الله هي الدعوة الاسلامية والدفاع عنها وضمان حريتها ويدخل في ذلك الحرب ووسائله حينما يقتضي الأمر ذلك ، فاذا صح هذا ونرجو أن يكون صوابا فيكون سهم الله هو سهم سبيل الله وتكون المصارف ستة . ومن تحصيل الحاصل أن التصرف بهذا السهم هو لولى أمر المسلمين .

٢ ـ هناك من روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ سهما فينفق منه ما هو في حاجة بيته ونسائه وشؤونه الخاصة ويضع الباقي حسبما شاء . وهناك ما روى أنه كان يعطي أقاربه ما فضل من هذا السهم أي سهم (الرسول) وليس من تعارض بين الروايتين . ولقد تعددت الروايات في هذا السهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . منها أنه صار لخليفته . ومنها أنه من حق أقاربه ومنها أن أبا بكر رضي الله عنه رده إلى بيت المال . ومنها أنه جعله لشراء السلاح والكراع .

وإن ما كان يفعله أبو بكر كان يتم بعد التشاور بينه وبين كبار أصحاب رسول الله . وإن هذا جرى على ذلك بعد أبي بكر أيضا .

والمستفاد مما أورده جمهور المفسرين من أهل السنة من روايات وأقوال أن سهم رسول الله ينفق على سبيل الله . ولقد اتفق أصحاب رسول الله على تخصيص نفقة لخليفته الأول وصار الخلفاء يأخذون نفقتهم من بيت المال . ولم يكن شيء من ذلك في زمن النبي في حياته فلم يكن من محل لتحويل سهم رسول الله لخليفته .

وقد وردت احاديث في صدد سهم رسول الله في الفيء الذي خصص جميعه لما خصص له خمس الغنائم . ولكن دلالتها شاملة لسهم رسول الله في حياته وبعد وفاته كما هو المتبادر القوي منها حديث رواه الخمسة عن عمر قال : « كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل وركاب فكانت خاصة للنبي ينفق على أهله منه وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله » . ومنها حديث رواه أبو داوود عن عمر جاء فيه : « كانت لرسول الله ثلاث صفايا ، بنو النضير وخيبر وفدك ، فأما بنو النضير فكانت جميعها لنوائبه وأما فدك فكان حبسا لابناء السبيل . وأما خيبر فجزأها رسول الله أجزاء ، جزأين بين المسلمين وجزءا لنفقة أهله وما فضل منه جعله في فقراء المسلمين .

وحديث رواه الشيخان وأبو داوود والنسائي عن عمرو بن الحارث قال : « ما ترك رسول الله عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شاة إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة » . وروى الخمسة عن عائشة قالت أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ويطلبان أرضهما من فدك وسهمهما من خيبر فقال لها أبو بكر سمعت رسول الله يقول « لا نورث ما تركنا صدقة . إنما يأكل آل محمد من هذا المال » .

وهناك صيغة أخرى لهذا الحديث رواه الأربعة جاء فيها : « إن فاطمة بعد وفاة النبي سألت أبا بكر ميراثها مما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه فقال لها : سمعت رسول الله قال « لا نورث ما تركناه صدقة » . وقال لست تاركا شيئا كان النبي يعمل به إلا عملت به ، إني أخشى إن تركت شيئا أن ازيغ .

وحديث آخر رواه الأربعة عن عائشة جاء فيه : « كانت فاطمة تسأل ميراثها عن النبي من صدقته بالمدينة ومن خيبر وفدك . فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعباس فغلبه عليها علي وأما خيبر وفدك فأمسكهما عمر وقال هما صدقة النبي كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من ولي الأمر قال فهما على ذلك إلى اليوم » .

فيكون في هذه الأحاديث الصحيحة حسم في صدد مآل سهم رسول الله بعد موته .

وننبه على أن الطبري والبغوي يرويان حديثا طويلا فيه كثير مما جاء في الأحاديث الصحيحة وفيه توضيح وحسم أيضا . وقد أورداه في سياق تفسير آيات

الفيء في سورة الحشر وقد جاء فيه :
« إن عمر بن الخطاب عهد بسهم رسول الله في الفيء إلى العباس وعلي رضي الله عنهما بعد أن أخذ عليهما عهدا بأن يجعلاه مجعل مال الله كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر من بعده ثم هو في السنتين الأوليين من عهده وقد اختلفا واختصما وراجعاه ليقضي بينهما فقال لهما اتئدوا أنشدكم الله ، هل تعلمون أن رسول الله قال لا نورث ما تركناه صدقة . قالا قد قال رسول الله ذلك ؟ فأقبل عليهما وقال : إني أحدثكم عن هذا الأمر وأن الله قد خص رسوله في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحد غيره . وكانت خالصة لرسول الله . والله ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم فقد عطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال فكان رسول الله ينفق على أهله نفقة سنتهم ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله ثم توفي فقال أبو بكر أنا ولي رسول الله فقبضها فعمل فيها بما عمل به فيها رسول الله . وأنتما حينئذ جميع . والله يعلم انه فيما فعل صادق بار راشد تابع للحق ثم توفي أبو بكر فقلت أنا ولي رسول الله وأبي بكر فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله وأبو بكر . والله يعلم إني فيه صادق بار راشد تابع للحق . ثم جئتماني كلاكما فقلت إنكما تعلمان أن رسول الله قال لا نورث نحن الأنبياء ما تركناه صدقة فان شئتما دفعته إليكما على أن تعملا فيها بما عمل به رسول الله وأبو بكر وما عملت منذ وليت ، وإلا فلا . فقلتما ادفعها إلينا بذلك فدفعتها إليكما . أفتلتمسان قضاء غير ذلك . فوالله الذي تقوم السماء والأرض باذنه لا أقضي فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما فادفعاها لي فاني أكفيكماها » . وفي هذا الحديث توضيح لنقطة مهمة في حديث عائشة الأول الذي رواه الأربعة وهي تسليم عمر عليا وعباس رضي الله عنهم جميعها « صدقة النبي في المدينة » فالحديث يوضح أن هذا بمثابة تولية من عمر لعلي وعباس لانفاقه على النحو الذي كان يفعله النبي وأبو بكر من بعده ، وليس على سبيل كونها إرثا لهما وحقا شخصيا . والطبري والبغوي من أئمة الحديث ، والراجح أنهما متثبتان من هذا الحديث .

٣ ـ وفي صدد سهم (ذى القربى) روايات وأحاديث متنوعة ، رواها المفسرون في سياق تفسير سورة الأنفال ، ووردت في بعض كتب الحديث . ومن الروايات أن هذا السهم لقريش لأن جميعهم أقارب لرسول الله . ومنها أنه لأقارب رسول الله الأدنين « بني هاشم أو بني هاشم وبني عبدالمطلب » لأن النبي حرم الصدقات عليهم في حديث رواه مسلم والنسائي عن عبدالله بن الحارث أن رسول الله قال : « إن هذه الصدقات من أوساخ الناس وأنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد » ومن الروايات رواية عن المنهال قال « سألت عبدالله بن محمد بن علي وعلي بن الحسين عن الخمس فقالا هو لنا . فقلت لعلي إن الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل . قال : يتامانا ومساكيننا . ومنها إن عليا طلب من النبي أن يدفع له سهم ذى القربى ليقسمه في بني هاشم حتى لا يزعجهم فيه أحد بعده ففعل ثم ولاه إياه

أبو بكر ثم عمر ثم عزله هذا عنه ثم أراد أن يرجعه إليه فقال له ما بنا إليه حاجة والمسلمون لهم حاجة به فقال له العباس إنك حرمتنا شيئا لا يرد علينا أبدا إلى يوم القيامة « هذه رواها أبو يوسف في كتاب الخراج .

ومنها أن سهم ذى القربى كان لرسول الله يضعه حسب ما يرى . صار بعد موته هو وسهم رسول الله لولي الأمر يضعهما حسب ما يرى أو يضعهما في مئونة الاسلام وأهله . وإن هذا كان نتيجة تشاور بين أصحاب رسول الله وجرى عليه عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم . وروى الامام أبو عبيد في كتاب الأموال عن عبدالله بن المبارك عن محمد بن اسحق قال سألت أبا جعفر محمدا بن علي فقلت كيف صنع علي في سهم ذى القربى حين ولي الناس ، قال سلك به سبيل أبي بكر وعمر . وهناك حديثان صحيحان في هذا الصدد رواهما البخاري وأبو داود عن جبير بن مطعم قال « مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله أعطيت بني عبدالمطلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال : إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد » وجاء في ثانيهما « لم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل . قال ابن إسحق وعبد شمس وهاشم والمطلب إخوة لأم . وأمهم عاتكة بنت مرة . وكان نوفل أخاهم لأبيهم » . وليس في الحديثين صراحة إن الذي أعطاه النبي لبني هاشم وبني عبدالمطلب هو سهم ذى القربى . وكل ما يفيده أنه أعطاهم شيئا من الغنائم أو الفيء .

وعلى كل حال ليس هناك حديث وثيق السند صريح النص في كتب الأحاديث المعتبرة بأن سهما من خمس الغنائم كان يوزع على أقارب رسول الله أو بني هاشم في زمن النبي وخلفائه الراشدين الأربعة . ومعظم الأقوال تؤيد أن هؤلاء الخلفاء جعلوا هذا السهم مع سهم رسول الله في بيت المال لينفق على السلاح والكراع ومعونة الاسلام وحاجة المسلمين عامة .

والمؤمن الحق الذي يعرف الخلفاء الثلاثة ، هم ممن مات النبي وهو راض عنهم ، وممن سجل الله رضاءه عنهم في الآية (١٠٠) من سورة التوبة ، لا يمكن أن يسلم بأنهم فعلوا غير ما عرفوا أنه الحق الموافق لسنة رسول الله وإلهام كتابه

ولقد أول بعضهم جملة (ذي القربى) بذي العمل الذي فيه قربى إلى الله في خدمة الاسلام والمسلمين ومصالحهم ومادام أنه لم يثبت بنص صريح صحيح أن النبي وخلفاءه أعطوا سهم ذي القربى لفئة ما من الأقارب وأتى عنهم أنهم كانوا يجعلونه في معونة الاسلام وأهله والكراع والسلاح مع سهم رسول الله فنحن نرى هذا التأويل وجيها ومتسقا مع ذلك بحيث يصح القول أن حكمة الله شاءت التنبيه على وجوب مكافأة ذي الجهد والخدمة النافعة للاسلام والمسلمين ويصبح القول بالتالي إن هذا السهم هو لمصلحة الاسلام والمسلمين العامة مثل سهام الله ورسوله . وقد يكون مقابلا أو شبيها لسهم المؤلفة قلوبهم المذكورين في مصارف الزكاة (الصدقات) والتوجيه القرآني في تخصص مكافأة لهذه الفئة مع احتمال كونها غنية تعليل مستمر المدى إذا ما صح التأويل الذي يؤيده ورود (ذى

القربى) بصيغة المفرد . فلو كان المقصود أقارب رسول الله الذين كانوا في حياته وذرياتهم من بعده لاقتضى - والله أعلم - أن يأتي بصيغة الجمع حتى يكون شاملا . ولقد إستعمل القرآن إشتقاق (قرب) في معان قريبة لهذا التأويل كما جاء في آية سورة التوبة هذه : (**ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم**) ٩٩ . وفي آية سورة سبأ - ٣٧ وسورة الزمر - ٣ شيء من هذا حيث يمكن الاستئناس به على وجاهة التأويل . وقد يؤيده أيضا أن معظم أقارب رسول الله حين نزول آية الغنائم في سورة الأنفال عقب وقعة بدر بل حين نزول آية الحشر كانوا غير مسلمين وفي مكة . ومنهم من إشترك في وقعة بدر في جانب المشركين . وممن ذكرت الروايات أسماءهم من أسراهم (العباس بن عبد المطلب عم النبي وعقيل بن الأسود بن أبي طالب ونوفل إبن الحرث بن عبد المطلب وأبو عزيزبن عمير بن هاشم والسائب بن هاشم ونعمان بن عمرو بن عبد المطلب . وأبو لهب عم النبي أرسل بديلا عنه . وروى أنه مات جزعا حينما علم بكسرة قريش .. (الاسماء من ابن هشام ج٢ . وفي تفسير الطبري وابن كثير لسورة الأنفال) والله تعالى أعلم .

٤ - وفي صدد (المساكين) الذين خصصوا بسهم . نقول إنهم ذكروا في الفيء والغنائم وحدهم في حين أنهم ذكروا في آية (الصدقات) مع الفقراء .

وليس كل فقير مسكينا في حين أن كل مسكين فقير . وقد عرف المسكين في حديث نبوي بأنه « الذي لا غنى يغنيه ولا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه » . وهكذا يكون في تخصص المساكين في تشريع الفيء والغنائم لفتة ربانية كريمة لهذه الفئة المعوزة المتعففة عن السؤال .

وهي لفتة تكررت في القرآن في مناسبات عديدة .

٥ - وفي صدد (اليتامى) نقول : إنه من تحصيل الحاصل أن يكون المقصودون هم الفقراء الذين لا مال لهم . وهم أشد من المساكين عوزا لأنهم صغار ضعاف . وقد حظي اليتيم بلفتة القرآن الكريمة في مناسبات عديدة هو الآخر .

٦ - و (ابن السبيل) هو على ما هو المتبادر المجتاز من أرض إلى أرض وقد نفد ما في يده وأصبح محتاجا إلى مساعدة ولو كان في بلده غنيا على ما يستفاد من معظم الأقوال التي ذكرها المفسرون ، وهناك من قال إنه الضعيف الطارق إطلاقا . وروح الآية تجعل الرجحان للقول الأول مع القول أن القول الثاني لا يفقد وجاهته وبخاصة إذا كان الضيف غريبا محتاجا .

وواضح مما تقدم أن مصارف الفيء نوعان إجمالا . واحد لمصلحة الاسلام والمسلمين العامة وواحد للمعوزين من المسلمين . وهذا ملموح في مصارف خمس الغنائم والزكاة أيضا .

تبدو روعة التشريع خاصة في صدد اختصاص الفئات المعوزة بنصيب من إيرادات الدولة وجعل مساعدة هذه الفئات واجبا إلزاميا من واجباتها . وفي الآيات التالية من السورة توكيد قوي ورائع لهذه النقطة .

ولقد تعددت أقوال المفسرين والفقهاء في كيفية توزيع السهام حيث قال بعضهم أنه تقسم إلى ستة أقسام متساوية ويصرف على كل مصرف حصته . وحيث قال بعضهم أن هذا متروك لولي أمر المسلمين يتصرف فيه حسب مصلحة الاسلام والمسلمين . وليس هناك حديث صحيح نبوي أو راشدي فيه حسم إلا ما كان في صدد سهم رسول الله حيث جاء في الأحاديث الصحيحة التي أوردناها قبل ، إن رسول الله كان يفرز سهمه فينفق منه على نفسه وبيته ويوجه ما بقي لوجوه البر ومصلحة المسلمين . ولقد أصبح هذا السهم لبيت مال المسلمين بعده . والآية مطلقة بأن الفيء لجميع المصارف المذكورة فيها والذي تذكره الروايات والسيرة والتاريخ من لدن النبي وبعده . إنه كان بيت مال إسلاميً يورد إليه جميع ما يجيىء من صدقات ويقبض من فيء وجزية وغنائم عينية ونقدية ويصرف منه بأمر ولي المؤمنين . ووكلائه على ما يقتضي . وهذا متسق مع القول الثاني . مع القول أن من الواجب ملاحظة جميع ما ذكر في الآية من مصارف مادامت حكمة الله تعالى قد اقتضت ذلك ذكرها .

تعليق على قوله تعالى : **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب)** .

١ ـ مع ان هذه الجملة جاءت لتدعيم تشريع الفيء الذي احتوته الجملة السابقة لها ثم لتوطيد سلطة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فانها جاءت في صيغة مطلقة فصارت تشريعا عام الشمول بوجوب اتباع أوامر النبي صلى الله عليه وسلم وسننه القولية والفعلية كجزء من العقيدة الاسلامية . وقد أكد القرآن هذا في آية أخرى في سورة النساء وهي : **(من يطع الرسول فقد أطاع الله)** ٨٠ بالاضافة إلى آيات أخرى فيها تدعيم مثل آيات سورة آل عمران : **(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين)** ٣١ ، ٣٢ ٧ وآيات سورة النساء : **(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)** ٥٩ و **(وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)** ١٦٤ و ١٦٥ . وآية النور هذه : **(قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين)** ٥٤ ٧ وغيرها وغيرها . والجملة التي نحن في صددها والآيات التي أوردناها وما في بابها تتضمن إيذانا من الله عز وجل بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم فيما يأمر به وينهي عنه عن الأمر إلا بما هو صالح وخير وعن النهي إلا بما هو ضار وشر وباطل .

٢ ـ وننبه على أن هذا ليس من شأنه أن يتناقض مع ما تضمنته بعض الآيات من عتاب للنبي صلى الله عليه وسلم عن بعض ما فعله مثل آيات سورة عبس : (**عبس وتولى . أن جاءه الأعمى**) ١ ـ ١٠ وسورة الاسراء : (**وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك**) ٧٣ ـ ٧٦ . وسورة الانفال : (**ما كان لنبي أن يكون له أسرى**) ٦٧ ـ ٦٩ . وسورة التوبة : (**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين**) ١١٣ ـ ١١٥ فهذا كان منه اجتهادا بأنه خير وصالح ولم يكن يعلم ما هو الأولى في علم الله بدون وحي .

٣ ـ ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر وينهي كثيرا باجتهاد منه ، فكان القرآن يسكت عن ذلك مقرا أو يؤيده نصا أو يعاتب عليه ويوحي بما هو الأولى حسب مقتضى حكمة الله تعالى .

ومما كان وأيده الله نصا : (**سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل**) الفتح/ ١٥ وليس في القرآن شيء وإنما هناك حديث قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم (لا يذهب معي إلى غزوة خيبر إلا من شهد الحديبية) رواه أبو داود وابن ماجة وكان هذا مثل سائر أحاديث رسول الله وحيا ربانيا غير قرآني فلم يدون قرآنا وبلغه النبي لاصحابه كحديث . ومن ذلك : (**وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم**) الانفال/ ٧ . وليس في القرآن شيء وإنما هناك حديث يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر إن الله وعدني إحدى الطائفتين أي الانتصار على الطائفة التي معها الغنيمة أو الطائفة الحربية التي جاءت من مكة للدفاع عنها .

٤ ـ ولقد أورد المفسرون أحاديث نبوية في سياق تفسير الجملة التي نحن في صددها فيها توضيح وتدعيم . منها حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم » .

وقد أورد الخازن حديثا في سياقها أيضا بهذا النص « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول ما أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » رواه أبو داود وابن ماجة والدارمي . والخازن لم يوثق الحديث . ولكن هناك حديثا صحيحا فيه مثل ذلك رواه أبو داوود والترمذي عن المقدام بن معد يكرب جاء فيه « ألا لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » .

٥ ـ والأمر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ميسور بالاستماع منه والرجوع إليه شخصيا . أما بعد وفاته فقد أصبح السير واجبا وفق ما روى وصح عنه من أوامر ونواه وسنن قولية وفعلية وهذا بطبيعة الحال يستتبع وجوب التثبت فيما ينسب إليه من ذلك . ولقد يسر الله رجالا مخلصين لله ورسوله لحقوا ما نسب إليه من

أحاديث ودونوا ما صح عندهم منها فصارت مرجعا عظيما من مراجع التشريع الاسلامي . ومن أهم الضوابط التي وصفها العلماء أن لا يكون بين ما نسب إليه وبين أحكام ومباديء القرآن الثابتة والحكمة الواضحة تعارض وتناقض لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يأمر وينهي بما يتعارض مع ذلك . والأحاديث النبوية الواردة في شؤون وأحكام قرآنية تدور على الأغلب حول تخصيص ما فيه إطلاق وتوضيح ما فيه غموض وإتمام ما يحتاج إلى إتمام وبيان ما سكت عنه القرآن من جزئيات وأشكال وفروع مثل عدد ركعات الصلوات وكيفياتها وأركانها ونصاب الزكاة وأنصبة الارث التي ستبقى في حالة وراثة النساء فقط واعمال الحج الخ الخ ..

هذا بالاضافة إلى أحاديث كثيرة أخرى في الشؤون الأخرى . وهي وتلك مراتب حسب الرواة والمدونين مما لا يتسع المجال لشرحه ومما هو مفصل في كتب الاحاديث وما وضع لها قواعد ومصطلحات وكثير جدا منها صحيح وحسن ووثيق السند .

فجزى الله رجال القرون الثلاثة الأولى الذين انطلقوا من إيمان عميق بالله ورسوله وبذلوا جهدهم العظيم الذي حفظوا به نصف الشرائع الاسلامية . وهو النصف المفصل الذي فيه التتمة العظمى لنصفه الأول أي القرآن .

تعليق على قوله تعالى : **(كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)**

١ ـ هذه الجملة وإن كانت في صدد حجب الفيء عن الأغنياء ومنع تداول ما يفيئه الله على المسلمين من الأعداء بين الأغنياء فانها تنطوي فيما يتبادر ـ والله أعلم ـ على معنى جليل بعيد المدى وهو أن الثروة لا ينبغي أن تكون محصورة التداول في أيدي الفئة الغنية القليلة من الناس ، وأن من حق السلطان الاسلامي أن يتخذ من التدابير ما يكفل توزعها بين أكبر عدد ممكن من الناس ولو بطريق تخصيص الفقراء ببعض موارد الثروة دون الأغنياء استئناسا بالآية التي فيها هذه الجملة حيث شاءت حكمة الله أن يخصص مورد الفيء جميعه لمصالح الاسلام العامة والفئات المحتاجة من المسلمين دون الأغنياء . ولقد أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين » (انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٩١) .

وعمر رضي الله عنه كان من أقرب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبالتالي من أكثرهم فهما لتوجيهات النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن وروحه . ولا شك في أنه صدر في قوله هذا عما اعتقده أنه يشق مع ذلك . ولقد تواترت الروايات إلى حد اليقين بأنه رتب المرتبات لمختلف فئات المسلمين . وكان يهتم كثيرا لمساعدة ونجدة المحرومين والضعفاء والفقراء مما فيه توثيق لصحة صدور ذلك القول عنه . « انظر تاريخ عمر بن الخطاب للامام ابن الجوزي حيث استوعب كثيرا من أقواله وأفعاله في هذا الصدد » .

العقل

للاستاذ محمود عبد اللطيف فايد

أ ـ العقل أس الفضائل

حاول بعض المحققين من أسلافنا الصالحين ـ رضي الله عنهم ـ تعريف العقل بقوله : « إن العقل هو العلم بالمدركات الضرورية » وذلك نوعان : أحدهما ما وقع عن درك الحواس ، والثاني ما كان مبتدأ في النفوس . فأما ما كان واقعا عن درك الحواس فمثل المرئيات المدركة بالنظر ، والأصوات المدركة بالسمع ، والطعوم المدركة بالذوق ، والروائح المدركة بالشم ، والأجسام المدركة باللمس ـ فكأن الحواس الخمس نوافذ للعلم والمعرفة على رأي شيخنا أقضى القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي في كتابه القيم : « أدب الدنيا والدين » ص ٢١ط الحلبي ١٩٧٣ م

ب ـ سبب التسمية

قال الماوردي : وسمي العقل بذلك تشبيها بعقل الناقة ، لأن العقل يمنع الانسان من الاقدام على شهواته إذا قبحت ، كما يمنع العقال الناقة من الشرود إذا نفرت ، ولذلك قال عامر بن عبد القيس : « إذا عقلك عقلك عما لا ينبغي فأنت عاقل » . ولا يخفى علينا أن لكل فضيلة أسا ، ولكل أدب ينبوعا ، وأس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلا ، وللدنيا عمادا فأوجب التكليف بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه ، وألف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم ، وتباين أغراضهم ومقاصدهم ، وجعل ما تعبدهم به قسمين : قسما وجب بالعقل فوكّده الشرع ، وقسما جاز في العقل فأوجبه الشرع ، فكان العقل لهما عمادا ؛ فبقدر عقل المرء تكون عبادته لربه ، أما سمعتم قول الفجار على ما حكي في القرآن الكريم : (**لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير**) الملك/ ١٠ . وقال عمر بن

الخطاب « رضي الله عنه » : « أصل الرجل عقله ، وحسبه دينه ، ومروءته خلقه » . وقال الحسن البصري - رضي الله عنه - : « ما استودع الله أحدا عقلا إلا استنقذه به يوما ما » . وقال بعض الحكماء : « العقل أفضل مرجو ، والجهل أنكى عدوّ » . وقال بعض البلغاء : « خير المواهب العقل ، وشر المصائب الجهل » . وبالعقل تعرف حقائق الامور ، ويفصل بين الحسنات والسيئات . ونظرا لأن العقل أصل الدين وعماد الدنيا قال الضحاك في قوله تعالى : (**لينذر من كان حيّا**) يس/ ٧٠ أي : من كان عاقلا .

جـ - من مفاخر الاسلام

ومن مفاخر الاسلام اعتماده على العقل في قضاياه الأساسية ، وعدم تناقض صحيح المعقول مع صريح المنقول فيه أبدا لدرجة أن قضية الألوهية ووحدانية الله عز وجل تعرض في القرآن الكريم وفيها قوة الاقناع العقلي : (**ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون**) المؤمنون / ٩١ و ٩٢ . وجاء في سورة الأنبياء ما يساند هذا الدليل ويؤكده : (**أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**) آيات/ ٢١ - ٢٣ .

د - العقل أساس التكليف

ولا عجب إذن أن يكون العقل أساس التكليف في الاسلام ، فقد جاء رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد أن بلغت الانسانية رشدها ، وجاءت رسالته عامة خاتمة تخاطب الانسانية في كل زمان ومكان ، ولذا وجدنا القرآن الكريم في غاية الاحكام ، ليس فيه تناقض أو اضطراب : (**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**) النساء/٨٢ . فاذا تعرض العقل لما يحول بينه وبين أداء وظيفته كالمرض والنوم أو كان المرء صغير السن غير ناضج - سقط التكليف عن صاحبه بالأمور الشرعية ، وفي الحديث الشريف : « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ » رواه احمد وأبو داود إذ النائم لا قدرة له على الطاعة ما دام مستغرقا في النوم ، والمجنون لا يعقل الطاعات ، ولا تتجه نيته إلى القربات إذا كان جنونه مستمرا ، والصبي لم يبلغ درجة من الرشاد تدفعه إلى الاقبال على العبادة ، وإن كان علينا أن نعّوده ونمرّنه بلطف متى ميز حتى يعتاد الصلاة ، ويقبل عليها ، ويخف إليها ، قال صلى الله عليه وسلم : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء

سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه احمد وأبو داود والحاكم .

هـ ـ وظائف العقل

ومن وظائف العقل الاستنباط ، والتعليل ، والتذكر ، والتفكر ، وبها تتمكن العقيدة من القلب ، وتأخذ بمجامع النفس ، ويحسن التأمل في المعاني ، والصبر على طلب العلم ، وحسن التلقي عن أهله ـ يبلغ الانسان درجة التفقه في الدين ، ثم يكون مهيأ لنقل الدعوة إلى الناس وموعظتهم ، قال الله تعالى : (**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا**) سبأ/ ٤٦ .

وقال عز وجل : (**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**) آل عمران/ ١٩٠ و ١٩١ .

وإنا لندرك أن الانسان لا ينقاد للشيطان ، ولا يقارف الذنوب إلا وهو في إسار غفلة عن عظمة الله وجبروته ، فاذا ما تذكر ارعوي واهتدى ، وعاد إلى الصواب ، واستغفر الرحيم التواب ، ونعوذ بالله من قرناء السوء ، ورفاق الشر الذين يدعون أصحابهم إلى الشرور ، ويلجون بهم أبواب الفسوق والفجور ، ويزينون لهم الضلال : (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون . وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون**) الاعراف/ ٢٠١ و ٢٠٢ .

إن طبيعة الحياة ومصالح الناس ، تقتضي تنوع الأعمال واختلافها ، ليتعاون الناس جميعا على شئون الحياة ، ويخدم كل منا أمته بما يستطيع في الميدان المشروع الذي يحب ، فلا بد من الناس ، وكل ميسر لما خلق له ، وخير الناس أنفعهم للناس قال الله تعالى : (**وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**) التوبة/ ١٢٢ .

و ـ من مهام الداعية العاقل

والداعية العاقل هو الذي يتخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) الأحزاب/ ٢١ . قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ : « إذا وعظت فأوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا » وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله ما لا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها » متفق عليه « والحسد » هنا بمعنى

الغبطة وهو أن نتمنى من الخير مثل الذي عند الغير .

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » متفق عليه ، الآناء : الساعات . ص ١٩٨ رياض الصالحين « المكتبة الأهلية ببيروت . وكان عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقول : « كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتخولنا بالموعظة مخافة الملل » رواه البخاري واحمد يتخولنا أي يتعهدنا بالموعظة عند توفر نشاطنا لها . ومن من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحب سماع الرحمة المهداة ، والنعمة المزجاة ؟ : (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**) التوبة/ ١٢٨ .

ولا يغيب عن بال الداعية العاقل أن الناس تتفاوت مداركهم ، فمنهم العامة ، ومنهم الخاصة وخاصة الخاصة ، وقد يكون المتخصص في علوم الدنيا قليل البضاعة في علوم الدين ، ومن ثم حسن ـ بل تحتم على الداعية أن يتخذ لكل طائفة أسلوبا ، وهو في ذلك يستجيب لقول العزيز الحكيم : (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**) النحل/ ١٢٥ ، ويقتدي بالرسول الكريم معلمنا الأعظم نبينا محمد « صلى الله عليه وسلم » إذ وجهنا إلى ذلك بالمأثور « امرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » .

ز ـ دعوة الاسلام إلى النظر والتأمل والتفكر

إن قارىء القرآن الكريم بتدبر ، يلمس اهتمام الكتاب العظيم بتثبيت العقيدة ، وتقوية اليقين فيتوجه عقله إلى الربط بين عظمة المصنوع وجلال الصانع المبدع ، وإلى الاستدلال بالمخلوق على وجود الخالق ، نلمس ذلك في قول الله عز وجل : (**أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت**) الغاشية/ ١٧ ـ ٢٠ وهي من السور المكية ثم يعقب على هذه المشاهد بقوله الكريم : (**فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر**) **الغاشية/ ٢١ و ٢٢ والله عزوجل صاحب الفضل العظيم أنعم علينا بنعمة العقل لتعيننا ـ بتوفيقه ـ على الهدى ، وتدفعنا ـ بعونه ـ عن الردى . يسوق لنا هذه الأدلة على وجوده ورحمته وفضله وعظمته في هذه الآية الكريمة** : (**إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة**

وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة/ ١٦٤ .

فاذا ما تتبع الانسان أنباء رحلات الفضاء ، وهبوط الانسان على القمر ، وعرف بعد الشمس عن الأرض وعرف أن من النجوم ما لم يصل إلينا ضوؤه بعد ـ تأكد أن هذه الكرة الأرضية ما هي إلا ذرة تسبح في فضاء الله الفسيح ، وتدور في كونه الرحب فازداد لله إعظاما ومنه خشية ، وله رجاء : ... وأثنى على أهل العلم ، ورجا أن يكون منهم : (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر/ ٢٨

وانظر يا أخي إلى هذه اللوحة ، وما تضمنته من مشاهد القدرة ، ومجال العظمة ألا تحس مع تلاوتها براحة الايمان ، وسعادة الاطمئنان لما تثيره في الفكر ، وما تدعو إليه من تأمل وأستبصار : (**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور**) فاطر/ ٢٧ و ٢٨ .

إن الادلة المتعانقة تطالع القارىء المتدبر فتنزل على قلبه بردا وسلاما : بردا يطفىء نيران الشكوك ، وسلاما واطمئنانا باشراق أنوار ملك الملوك ، ولذا كان من آداب قراءة القرآن الكريم الترتيل لأن المقصود من القراءة التفكير ، والترتيل يعين عليه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « لأن أقرأ البقرة وآل عمران وأرتلهما واتدبرهما ، أحب إلي من أن أقرأ القرآن الكريم كله هذرمة » « الهذرمة : السرعة في القراءة والكلام » . وجلي أن الترتيل والتؤدة أقرب إلى التوقير والاحترام ، وأشد تأثيرا في القلوب من الهذرمة والاستعجال ، قال الله تعالى : (**ورتل القرآن ترتيلا**) المزمل/ ٤ إن الانسان ليطالع الآية من كتاب الله مشتملة على دليل عقلي على أمر من أمور العقيدة في عبارات قصار ، تدعو إلى التسليم والانبهار .. ومن أحسن من الله حديثا ؟ وأصدق منه قيلا ؟.

وتدبر الأدلة المتهادية ، والبراهين السامية في هذه الآيات الفياضة بالاعجاز على ما فيها من إيجاز : (**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون . ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون . ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقوم**

السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون . وله من في السموات والأرض كل له قانتون . وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) الروم/ ١٩ ـ ٢٧ .

ح ـ العقل أساس التشريف

بالعقل يميز الانسان المدركات ، ويربط بين المقدمات والنتائج ، ويلتمس آثار الماضي في أحداث الحاضر ، وخيوط الحاضر في نسيج المستقبل . ومن قوى العقل الاستنباط والتذكر ، والفهم وهي كلها مرتبطة بالتعلم أوثق ارتباط ، ولله در الذي يقول :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى إلى شرف من الانسان

وبالعقل كان الانسان أهلا للتكليف ، ومن ثم كان الرسل من بني آدم ومن جنس الانسان : (**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير**) الحج/٧٥ ، وهو سبحانه جل شأنه وعظم سلطانه ـ أعلم حيث يجعل رسالته .

وبالتذكر والتعلم تجلت قدرة ربنا في آدم إذ علمه الأسماء كلها : (**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم**) البقرة/ ٣١ و ٣٢ .

وبالعقل تمكن الانسان من تسجيل الأصوات ووضع الكلمات رموزا للمحسوسات والمعقولات ، ومن ثم كانت نشأة اللغات ، وألهم الانسان صنع المطبعة فكانت الكتابة والمطبعة ذاكرة البشرية ، وعاملا من أهم العوامل في تقدم الانسانية ، ولذا نردد قول الله في يقين وإذعان بلسان الشكر والامتنان : (**وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**) النساء/ ١١٣ .

وبالعقل استطاع الانسان قيادة الجمل والفيل ، وهما أكبر منه حجما ، وأقوى جسما ، ثم استطاع ابتكار السيارات والقطارات والطائرات والغواصات ، وما هبوط الانسان على القمر في عصرنا الحاضر بأعجب من وضع القواميس منذ مئات السنين .. كلاهما احتاج الى طول تفكير ومواجهة صعاب ، وتخطي عقبات . قال تعالى :

(**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء/ ٧٠ بل إن الكفار الأشرار حاولوا أن يرموا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجنون ليتخذوا من ذلك ذريعة إلى رفض دعوته ، وإبطال رسالته : (**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا**) الكهف/٥ .

ط ـ من الأباطيل والتضليل

تداعت إلى خاطري بعض هذه

المعاني عقب مطالعتي لمقال في مجلة (آخر ساعة) المصرية ـ بعث به مراسل المجلة من برلين الغربية ونشر المقال في صفحتي ١٨ ، ١٩ من العدد ٢٤٤٣ الصادر في ١٩ من أغسطس ١٩٨١ الميلادية عن اتباع « بهوان » الذين ينتشرون في شوارع المانيا انتشار السيارات اليابانية .. يرتدون ملابس برتقالية اللون ، وعلى صدورهم سبحة طويلة في وسطها تحت الصدر صورة « مولانا بهوان » كما يقول الكاتب يتعبدون ويتأملون ، ويعقدون حلقات الذكر ، ويعيشون حياة فقراء الهنود ، ويسلكون طريق النسك والزهد ، ويتقربون الى الله بدوام القعود على أرض مفروشة بالبسط .. ويعتقدون أنهم ما داموا يذكرون ويتأملون ؛ ويتحررون من أسر المادة يرتاحون نفسيا ، ويتطهرون روحيا ... والمدهش أنهم يقولون : « هنا الأحذية والعقول تترك عند البوابة » وواضح ما في هذا القول من تحقير للعقول بتقديم الأحذية عليها مرة ، وعطف العقول عليها مرة اخرى وجلي ما في هذه النحلة من تناقض واضطراب لأن العبادة إذا كانت قائمة على التأمل فبم أتأمل وقد خلعت حذائي وعقلي عند البوابة ؟ وترحمت على اجدادنا الذين كانوا يقولون لنا عند التأهب للصلاة : « ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها » .

إن محاولة إبعاد العقل تمهيدا لانتشار هذا المذهب ـ دليل على خواء روحي ـ وانحطاط فكري عند بعض الغربيين ، وبرهان على أن الحضارة الغربية اهتمت بتعمير الظاهر ، ولم تهتم بالجانب الروحي فظهر كثير من شبابهم وقد صح فيهم قول الشاعر :

رب : ما أبين التباين فيه
منزل عامر وعقل خراب

وصدق الله العظيم : (**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**) الروم/ ٧ . إن بعض المقالات هابطة او هادمة أو مخدرة فهي كالخمور والمخدرات .. وكل مسكر حرام ، وكل مفتر حرام .. ونحن بحاجة إلى ما يزيد في عقولنا لا إلى ما يحجبها او ينقص منها ، وقد سئل أحد الأعراب · لم لا تشرب الخمر ؟ فقال : « كيف أشرب ما يشرب عقلي ؟ » وحكى الأصمعي رحمه الله قال : قلت لغلام حدث من أولاد العرب كان يحادثني فأمتعني بفصاحة وملاحة : أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق ؟ قال : لا والله ؛ قال : فقلت : لم ؟ قال الغلام : أخاف أن يجني علي حمقي جناية تذهب بمالي ، ويبقى علي حمقي .

ى ـ واجبنا نحو العقل

إن حفظ العقل كحفظ النفس والدين والعرض من أوجب الواجبات ، ومن ثم كان الاسلام دين الفاقهين المستبصرين الذين لا يلعب بعقولهم مضلل كنود ، أو صحفي شرود ، أو حاكم حقود ، إن الاسلام دين قام على العقل وكانت معجزته الخالدة « القرآن » رسالة دائمة للعقل ،

وخطابا للانسان في كل زمان ومكان ، ومجالا للتحليل والتعليل والاستنباط لانه يريدنا أمة يتمتع أفرادها بالوعي الاسلامي ، والعقل الرشيد الذي يميز الخبيث من الطيب . وما أروع القرآن الكريم وهو يقول : (**يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين**) المائدة/ ٩٠ ـ ٩٢ إننا لا نريد أن يتحول شباب الاسلام إلى قطعان ، ومبصروه إلى عميان : لأنهم إن صاروا كذلك صاروا كغثاء السيل فلعب بهم الدجالون ، وسيطر عليهم عملاء الصهيونية والصليبية والشيوعية ، وفسر لهم القرآن من ليس أهلا للتفسير فغرر بهم أيما تغرير .

ك ـ متاعب التفكير

إن الباحث الذي يعمل عقله وفكره ويحاول الاجتهاد لفهم دينه ، يشغل نفسه بامور أمته ودينه ومجتمعه .. ومن ثم يعاني ما يعاني الأعزاء عليه ... ولأمر ما قال الله عز وجل : (**إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا**) المزمل/ ٥ لأنه يتضمن التكاليف ، وما تقتضيه من مقاومة للمفسدين وإقرار للعدالة ، وكشف للضلالة ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر .. وقد قال أمير المؤمنين على ابن أبي طالب كرم الله وجهه : « ما تركت حقوق الله لامرىء مسلم في ماله درهما » فهل يوافق المترفون طواعية على أن يتخلوا عن بعض مظاهر الترف لصالح إخوانهم في الدين والوطن ؟ ومن أقوال السلف المأثورة : « من لم يهتم بأمر المؤمنين فليس منهم » ورحم الله أبا الطيب المتنبي الذي قال :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ويقول :

تصفو الحياة لجاهل او غافل
عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه
ويسومها طلب المحال فتطمع

ولكن ليس معنى ذلك ان نتخلى عن عقولنا ، ونهمل تنميتها بالقراءة الجادة ، وحسن الفهم ، ومجالسة العلماء رغبة في دعم وعينا الاسلامي ، ورد سهام أعدائنا إلى نحورهم : (**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق**) الأنبياء/ ١٨ . نسأل الله أن يديم علينا فضله ورحمته ، ويكتب لنا توفيقه وعونه ونصرته : (**ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**) النساء/ ١١٣ .

والله ولي التوفيق

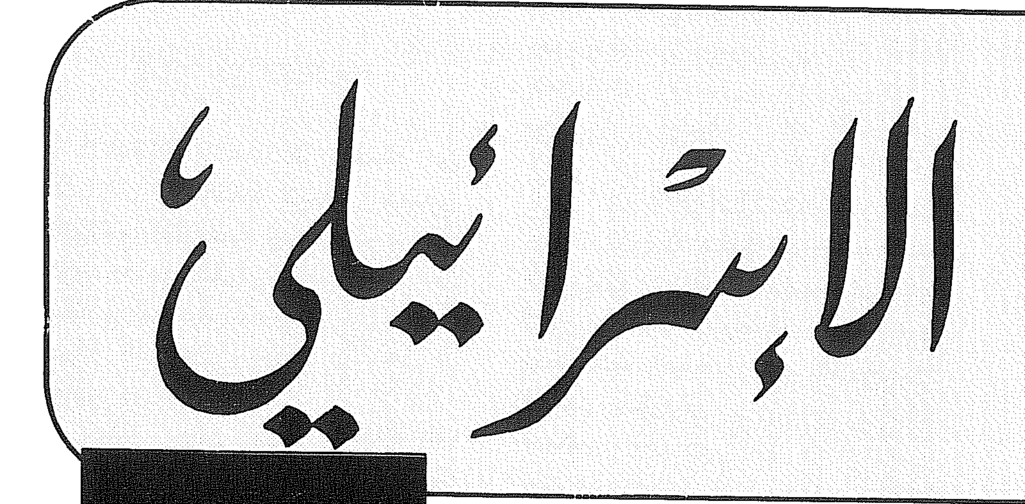


كان القطار الذاهب من حلب الى بيروت ينهب بنا السهول المنبسطة المترعة بالخضرة الفاقعة ، واشار بيده عبر النافذة الى حصن قديم يقف بأطلاله على مرتفع من الارض وقال : انه واحد من شواهد التاريخ الكثيرة المنتشرة في المنطقة .. ها هنا ادار الزمن صراعا بين المسلمين وبين الغزاة الصليبيين ، بلغ ما يقرب من القرنين قلت ، وانا اجاهد لكي اركز ابصاري بالحصن القديم : من كان يتصور - يومها - ان الصراع سوف يستغرق هذا المدى الطويل ؟ من كان يصدق ان الغزاة ، بعد ان ثبتوا اقدامهم هنا عشرات السنين ، سيضطرون للرحيل ، وترجع الارض الى اصحابها ..؟

قال ، وملامح الامل ترتسم على وجهه : ان تقادم الزمن على اسرائيل لا يعني شيئا ، فها هي ذي عبرة التاريخ .. وراح يتلو : (**قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين . ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**) آل عمران/١٣٧ - ١٤١ .

البحث عن الاسباب

ووجدتها فرصة طيبة لكي اسأله عن الموضوع الذي ظل يلح على ذهني ردحا طويلا .. ان القرآن الكريم يفرش مساحات واسعة من سوره وآياته للقصة التاريخية .. وان المرء ليتساءل عن الاسباب والدوافع التي



للدكتور/ عماد الدين خليل

تكمن وراء هذا الاهتمام المتزايد على مدى القرآن كله .

قال : انها الدوافع التي تكمن وراء اية مطالعة جادة ذكية واعية للتاريخ : اثارة الفكر البشري ودفعه الى التساؤل الدائم والبحث الدائب عن الحق .. تقديم خلاصات مركزة للتجارب البشرية عبرا يسير على هديها اولو الالباب .. ازاحة ستار الغفلة والنسيان في نفس الانسان وصقل ذاكرته وقدرته على المقاومة لكي تظل في مقدمة قواه الفعالة التي هي بأمس الحاجة الى تفجير طاقاتها دوما وهو يواصل الكفاح في عالم يرفض الذين يعانون الغفلة والكسل الذهني والتواكل واليأس والنسيان .. تقديم الدليل على علم الله الواسع الذي أحاط بحركة التاريخ ماضيا وحاضرا ومستقبلا .. ثم تأكيد البرهان على الحق الواحد الذي جاء به الانبياء السابقون جميعا وسعوا الى ان يقودوا أممهم الى مصدره الواحد الذي لا اله الا هو : (**وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين**) هود/ ١٢٠ (**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**) يوسف/ ١١١ (**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**) الاعراف/ ١٧٦ (**ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون**) الانبياء/ ٢٤ (**ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب**)

البقرة/ ٢١٤ .

فماذا عن النتائج ؟

قاطعته متسائلا : هذا عن الاسباب الاساسية لايراد القصص والوقائع التاريخية في هذه المساحات الواسعة من القرآن . ولكن ماذا عن النتائج النهائية المتمخضة عن دراسة حركة التاريخ البشري والتمعن في وقائعه واحداثه ؟

أجاب ، وهو يشير باعجاب الى بسيط من الارض تفجر في خضرته الريانة مهرجان من الالوان منحته حركة القطار السريعة تداخلا يثير الوجدان : ان القرآن يطرح علينا لأول مرة مسألة السنن والنواميس التي تسير حركة التاريخ وفق منعطفها الذي لا يخطىء ، وعبر مسالكها المقننة التي ليس الى الخروج عليها سبيل ، لانها منبثقة من صميم التركيب البشري ومعطياته المحورية الثابتة فطرة وغرائز وأخلاقا وفكرا وعواطف ووجدانا ، ومن قلب العلاقات والوشائج والارتباطات الظاهرة والباطنة في العالم الذي يتحرك فيه الانسان والتي تتجاوز في اتساعها وشموليتها نسبيات البيئة الجغرافية او الوضع الاقتصادي لكي تتسع للفعل التاريخي نفسه ، الفعل القائم على القيم الثابتة الدائمة في كيان الانسان والتي تنبثق عنها المواقف التاريخية سلبا وايجابا .

وهكذا ، فان حكمها على هذه الحركة يجيء منطقيا تماما لانه اشبه بالجزاء الذي هو من جنس العمل ، ومن خامته الاصيلة ، وعادلا تماما لانه يكافىء الانسان ، فردا وجماعة ، بما يوازي طبيعة الدور التاريخي الذي مارسوه ، حتى لكأن القرآن يلفت انظارنا الى اننا نستطيع ان نبني على مجموعة معينة من الوقائع التاريخية ، سلفا ، نتائجها التي تكاد تكون محتومة لارتباطها العضوي بمقدماتها اعتمادا على استمرارية السنن التاريخية ودوامها .. وعلى العكس ، فان اي تأخر او اهتزاز في نفاذ هذه السنن سوف يؤول الى تميع الحركة التاريخية وعدم انضباطها جزائيا ، وبالتالي سيؤول الى موقف نقيض لمفاهيم الحق والعدل .. ومن اجل ان نطمئن يبين لنا القرآن في اكثر من موضع ثبات هذه السنن ونفاذها وعدم تبدلها او تحولها .. انها موجودة اساسا في صميم التركيب الكوني وفي قلب العلاقات المتبادلة بين الانسان والعالم .. ولم يفعل القرآن سوى ان كشف عنها النقاب واكد وجودها وثقلها في حركة التاريخ

هذا في وقت ظل فيه المؤرخون والمفكرون عامة يتخبطون في دراساتهم ومعطياتهم التاريخية لانهم - حتى القرن الماضي - لم يستطيعوا ان يصلوا الى هذه السنن التي تحكم حركة التاريخ ويطمئنوا اليها ، ويجروا تحليلاتهم وتفاسيرهم وفق مؤشراتها ودلالاتها .. ولم يحدث الا اخيرا ، وفي القرن الماضي ، ان اكتشف كبار رجالات الفكر الاوروبي ناموسية الحركة التاريخية ، هذا اذا

استثنينا بطبيعة الحال : « ابن خلدون » الذي سبقهم بخمسة قرون ، ولكنهم سلطوا عليها معاييرهم النسبية ومقاييسهم الجزئية فجاءت انعكاسا صارما لفكرة ما او اعتقاد مذهبي محدد ..

اما في القرآن الكريم فان هذه السنن والنواميس لا تتحدد ولا تأسر نفسها بتفاصيل وجزئيات موقوتة ، بل تمتد وتمتد ، مرنة منفتحة شاملة ، لكي تضم اكبر قدر من الوقائع وتلامس اكبر عدد من التفاصيل والجزئيات وتبقى دائما بمثابة الحصيلة النهائية ، والرموز المكثفة والدلالات الكبرى لحركة التاريخ . انها تريد ان تقول لنا - باختصار وتركيز بالغين - ان حركة اية جماعة في التاريخ ليست اعتباطية ، وانها ، بما قد ركب فيها من قوى العقل والروح والارادة - خلافا لما هو سائد في العوالم غير البشرية - مسؤولة مسؤولية كاملة خلال حركتها تلك حيث ينتفي العبث واللا جدوى ، وحيث تتحرك الحرية من شكلها المهوش المتميع الغامض ، الى عمل مدرك مخطط يقف به الانسان بمواجهة الله والعالم لكي يحقق اعماره ورقيه وتقدمه ، وفق ما يجيء به انبياء الله ، حينا بعد حين ، من تعاليم وخطط تأخذ بيد الجماعة البشرية في هذا الطريق .. وحيثما انتفت هذه العلاقة الايجابية بين الانسان والله والعالم ، وأسيء استخدام الحرية ، وضاعت المسؤولية ، وانعدم التخطيط المدرك الواعي ، وتميعت القيم الاخلاقية المنبثقة عن قوى العقل والروح والارادة .. حيثما جاء الجزاء الموازي لجنس العمل ، وآل الامر بالجماعة البشرية الى التدهور والتفتت والانهيار : (**سنة من قد ارسلنا من قبلك من رسلنا ولن تجد لسنتنا تحويلا**) الاسراء/٧٧ (**فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا**) فاطر/٤٣ (**ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا . سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**) الفتح/٢٢و٢٣ .

تجاوز صوب الحركة والابداع

ان كتاب الله لا يؤكد ثبات هذه السنن وديمومتها فحسب ، ولكنه يحولها في الوقت نفسه الى دافع حركي يفرض على الجماعة المدركة الملتزمة ان تتجاوز مواقع الخطأ التي قادت الجماعات البشرية السابقة الى الدمار ، وان تحسن التعامل مع قوى الكون والطبيعة ، مستمدة التعاليم والقيم من حركة التاريخ نفسه وبهذا يتجاوز التاريخ في القرآن اطره النظرية ، او القصصية الغنية ، او الاكاديمية ، الى حركة وبحث وجهد وابداع تجيء دائما لخدمة المعاصرة وللسير نحو المستقبل بفهم اعمق والمام اكبر بسنن التاريخ . ومن ثم نلتقي بآيات الله وهي تطلب من اية جماعة معاصرة ان تسير في الارض لكي تنظر

لا ان تنظر فحسب ، بل تتعلم من هذا السير « السنن » التي حاقت بالذين خلوا من قبل من اجل بناء عالم لا تدمره تجارب الخطأ والصواب التي دمرت امما وجماعات وشعوبا : **(أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها)** محمد/ ١٠ **(ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين)** الانعام/ ٣٤ **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين)** الروم/ ٤٢ **(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)** النحل/ ٣٦ .

المستقبل .. المستقبل

وسألته عن المردود النهائي لهذا كله .

فقال : اترى الى حركة هذا القطار ؟ ان بداياتها الاولى قد اصبحت ماضيا بالنسبة لنا جميعا .. وذلك الجدول الصغير الذي سنجتازه عما قريب سيفقد بعده المستقبلي ويتحول الى حدث ماض .. ان القرآن الكريم يعرض علينا الحركة التاريخية من خلال هذا المنظور .. التوجه الدائم صوب المستقبل ، اذ ليس ثمة سكون في مكان ما على الاطلاق .. انه التيار الذي تتدفق مياهه فتختلط فلا يكاد احد يميز ، وهي تصب في البحر ، ماءها القادم من المنابع البعيدة من ذلك الذي ارفدها وهي تقترب من البحر .. الم تسمع مقولة « كروتشه » الفيلسوف الايطالي ، واحد رواد فلسفة التاريخ في العصر الحديث ؟

اجبته : اليست هي قوله : ان التاريخ كله تاريخ معاصر .

قال : بالضبط .. فلنرجع الى القرآن لكي نجده يؤكد في اكثر من موضع على ان النظر والبحث والتجوال في تاريخ البشرية ، انما هو جهد ايجابي لن يكون مردوده الا على الحاضر والمستقبل ، ولن يفيد منه الا الذين يشحذون كافة حواسهم وقدراتهم العقلية لكي ليتخلصوا المعنى والمغزى ويسيروا على هداهما : **(فكأين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد . أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)** الحج/ ٤٥و٤٦ . **(ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر . حكمة بالغة فما تغني النذر)** القمر/ ٤ و٥ . **(إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية . لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية)** الحاقة/ ١١و١٢ . **(ولقد انزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين)** النور/ ٣٤ .

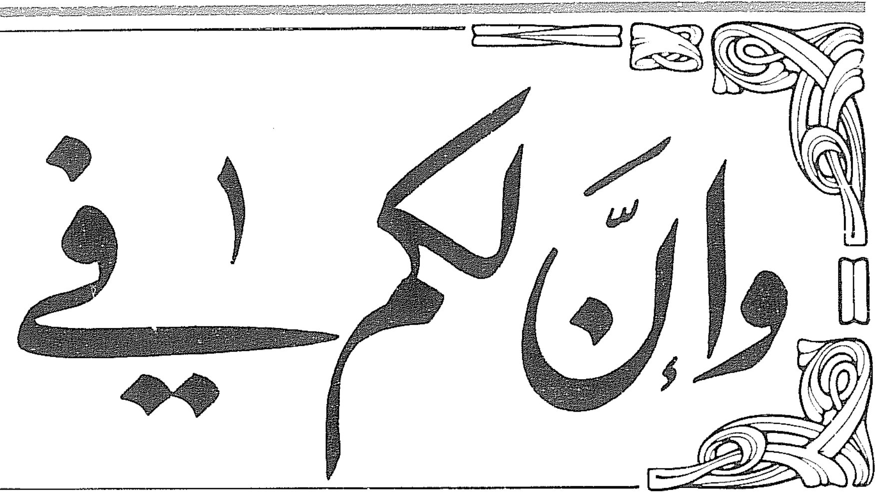
المقياس الاشد تأثيرا على المصير

ويبلغ من تأكيد القرآن الكريم على ايجابية البحث التاريخي واتساعه وشموله ان يسعى الى مده الى ما وراء التجارب البشرية الاولى على الارض .. الى بدء الخلق وحجر الزاوية على المستويين الجيولوجي والبيولوجي بما يتيح للانسان رؤية انفذ لقدرة الله المبدعة ، ولسننه الدائمة التي رافقت مجرى التاريخ منذ تكويناته الاولى : (**أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير**) العنكبوت/ ١٩و٢٠ .

وعبر عدد من المواضع يؤكد القرآن الكريم على ان سنن الله في التاريخ ثابتة ماضية ازاء الجماعات البشرية التي تتنكب عن الطريق ، بغض النظر عن حجم هذه الجماعة وعن مدى دورها الحضاري ومقدار منجزاتها المادية والادبية في مقاييس الكم ومعايير المساحات والاحجام .. فدائما يكمن وراء هذه المعايير والمساحات ، المقياس الحقيقي والمؤشر النهائي اللذين نستطيع بالتمعن فيهما ان نحكم على مسيرة الجماعة وعلى مصيرها السعيد او المفجع . ان وراء العطاء والتعامل الحضاري شيئا اكبر واخطر واشد تأثيرا على المصير ، انه « نفسية » الامة ، افرادا وجماعات واخلاقياتها ، ونظرتها الشاملة الى الحياة ، وطبيعة علاقاتها الانسانية ، والمواقع التي تتخذها بمواجهة الله والعالم (**وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم**) محمد/ ١٣ (**او لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**) الروم/ ٩ (**وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا**) مريم/ ٧٤ (**قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا**) القصص/ ٧٨ (**أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون**) غافر/ ٨٢ .

واذ كان القطار ينطلق على الخط الساحلي حتى ليوشك ان ينزلق الى البحر كانت بيروت ترتسم في الافق لكن ما تلبث ان تضيع في الضباب .. وكان صوت محدثي المترع بالدفء والايمان ، يمنح الحوار متعة وحلاوة .. وكنت اتمنى ان يطول الحديث ، ولكن وصولنا الى المدينة ، اضطرنا الى التوقف ريثما نبحث عن سيارة تنطلق بنا الى مصيفنا الاثير ..

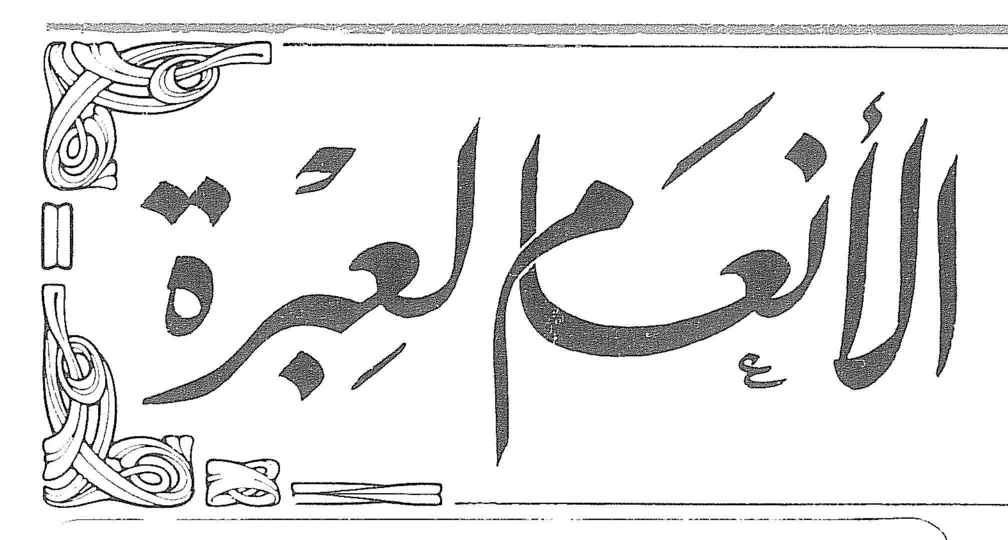
(بحمدون ».



يقول الحق تبارك وتعالى : (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين) الآيات/ ٥ ـ ٩ من سورة النحل . هذه الآيات المباركات جمعت معجزات الله تبارك وتعالى في خلق الأنعام . فاننا نجد دائما أن معظم مخلوقات الله مسخرة باذنه لخدمة الانسان . ومن أهم هذه المخلوقات الأنعام وهي المواشي التي يؤكل لحمها ويشرب لبنها ويستدفأ بجلدها ووبرها ..

وحينما ننظر إلى مطلع الآية الكريمة نجد أن المولى تبارك وتعالى بدأها بالتقديم حيث قدم الأنعام على خلقها « والأنعام خلقها » وهذا التقديم له فائدة وهدف عظيم حيث يفيد تكريم الأنعام وعظم شأنها عند خالقها وبالتالي فهذا نداء إلى الانسان بمعاملة الأنعام معاملة تليق بشأنها عند مولاها وذلك بأن يعطف عليها وألا يحملها ما لا طاقة لها به **(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)** .

فمن الأغنام يؤخذ الصوف وشاءت حكمة الله أن يكون هناك اختلاف وتشابه بين سلالات الأغنام . فنجد أن هناك أنواعا عديدة ذات الانتاج العالي من الصوف مثل اللنكولن ، الليستر ، المارينو ، السفولك ، هذا وتعطى هذه الأنواع كميات كبيرة من الصوف ذا درجة جودة عالية ، وتصنع منه أحدث وأفخر أنواع الملابس الصوفية التي تقي الانسان من برد الشتاء الشديد . ولم تقتصر منافع الأغنام فقط على إعطاء الصوف الذي هو مصدر



للدكتور/عزت أبوالفتوح حمودة

الدفء والحرارة للانسان ، بل تشترك مع باقي الأنعام في إعطاء منافع عديدة لا حصر لها ولكن على سبيل المثال نذكر ..

اولا ـ اللحوم :

اللحوم التي هي المصدر الأساسي للبروتين الذي يتغذى عليه الانسان فمن المعروف أن البروتين الحيواني عالي القيمة الغذائية وذلك نظرا لاحتوائه على معظم الأحماض الأمينية الأساسية اللازمة للجسم ، ومن هنا تظهر أهمية البروتين الحيواني للانسان والذي ينتج عن نقصه ظهور العديد من أمراض سوء التغذية . حيث أنه من المعروف أن احتياجات الفرد العادي كامل النمو من البروتين يوميا حوالي ٧٠ ـ ٩٠جم ويجب أن يكون نصف هذه الكمية على الأقل بروتينا حيوانيا حتى يؤدي الوظيفة المرجوة منه .

ثانيا : الألبان :

وهي تلي اللحوم من حيث الأهمية وفي هذا الصدد يقول الحق تبارك وتعالى : **(وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين)** الآية ٦٦/من سورة النحل .

وهذه الآية الجليلة تعتبر إحدى المعجزات القرآنية التي سبقت العلم منذ حوالي ألف وأربعمائة سنة لتؤكد كيفية تكوين اللبن حيث يتم تكوينه من بين فرث : « وهو عبارة عن الأشياء المأكولة والتي تم هضمها بالكرش » ودم . وأخيراً في مطلع هذا القرن جاء العلم الحديث ليفسر كيفية تكوين اللبن والذي يتكون أساسا عن طريق الدم بعد إتمام عمليات كميائية

وحيوية معقدة يكون ناتجها اللبن . والدليل على ذلك أن الدم يحتوي على سكر الجلوكوز واللبن يحتوي على سكر لاكتوز ، وكذلك بروتين الدم يختلف عن بروتين اللبن الذي يكون من لاكتو البيومين ، ولاكتوجلوبيلين ، وكازين فمن جلوكوز الدم يتكون لاكتوز اللبن عن طريق :

- جلوكوز الدم بمساعدة جالاكتوز .
- جلوكوز + جالاكتوز في وجود لاكتوز .

وبالنسبة للدهون الموجودة في اللبن ، غير معروف مصدر تكوينها على وجه التحديد ، ولكن هناك أقوالا بأنها تتكون من الكربوهيدرات وتتكون الأملاح المعدنية في اللبن من الأملاح المعدنية الموجودة في الدم وبعد إتمام هذه العملية الحيوية المعقدة لتكوين اللبن ، يتم إفرازه تحت تأثير هرموني البرولاكتين ، والاوكس توسين حيث يفرز الأول من الفص الأمامي للغدة النخامية ، ويفرز الثاني من نوع معين من خلايا الهيبوسلامسي ويخزن في الفص الخلفي للغدة النخامية ..

هذا وتعتبر الألبان مصدرا هاما للبروتين الحيواني والأملاح المعدنية وفيتامين « أ » ليس ذلك فحسب ، ولكن تعتبر أول كمية من اللبن والتي تفرز في الستة وثلاثين ساعة الأولى عقب الولادة مباشرة في الحيوانات والتي تسمى بالسرسوب ذات قيمة غذائية عالية جدا ، حيث أنها تكسب الرضيع مناعة طبيعية نظرا لاحتوائها على (Immune-Bodies) . كذلك يحتوي السرسوب على كمية هائلة من فيتامين « أ » . كذلك يحتوي على كمية عالية من البروتين الحيواني « عالي القيمة الغذائية » تصل الى حوالي ١٤ ـ ١٥٪ من النوع (Lacto-albumin) & (Gammau jlobulin) . وكذلك على نسبة جيدة من الأملاح المعدنية الهامة مثل الكالسيوم والفوسفور .. هذا وعلى اللبن تقوم صناعات الألبان العديدة من جبن فاخر وقشدة وزبدة وخلافه .

ثالثا : منظرها البديع المبهج للنفس وهذه تعتبر منفعة حسية بعكس المنافع المادية السابق ذكرها . حيث تشعر النفس بالسعادة والبهجة والسرور حين تغدو الحيوانات مساء ممتلئة ضروعها باللبن ، وممتلئة كروشها بالطعام ، وكذلك حين تهرول مبكرة طلبا وبحثا عن غذائها . أليس في كل هذا عبرة لأولي الألباب ؟؟

حقا سبحان الخالق المبدع الذي صنع فأبدع الصنع .

رابعا : **حمل الأثقال** :

لقد خلق الله الأنعام وسخرها من أجل راحة الانسان فجعلها مطيعة له باذنه وخلق فيها القدرة والاستطاعة على حمل الأثقال والأحمال من بلد إلى آخر وذلك لكي تستقر حياة الانسان على ظهر الأرض . حيث أن المولى عز وجل هو الذي خلق الانسان ، وأعلم بضعفه وعدم مقدرته على تحمل مثل هذه المشاق التي لا حول ولا قوة له بها وهنا تتجلى رحمة ورأفة الله عز وجل على عباده .

خامسا :

ثم تعود الآية الكريمة لتخص بالذكر والتحديد : (**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة**) ، فقد جرت العادة على التباهي والتفاخر بركوب الخيل لما فيها من متعة للنفس ووجاهة عند الناس . وقد خلق الله الانسان وغرس في نفسه حب ركوب الخيل ، وكان ولا يزال تعقد المسابقات الدورية لسباق الخيل حيث يتباهى الهواة من الناس بخيولهم الجميلة في إشباع غرائزهم النفسية .

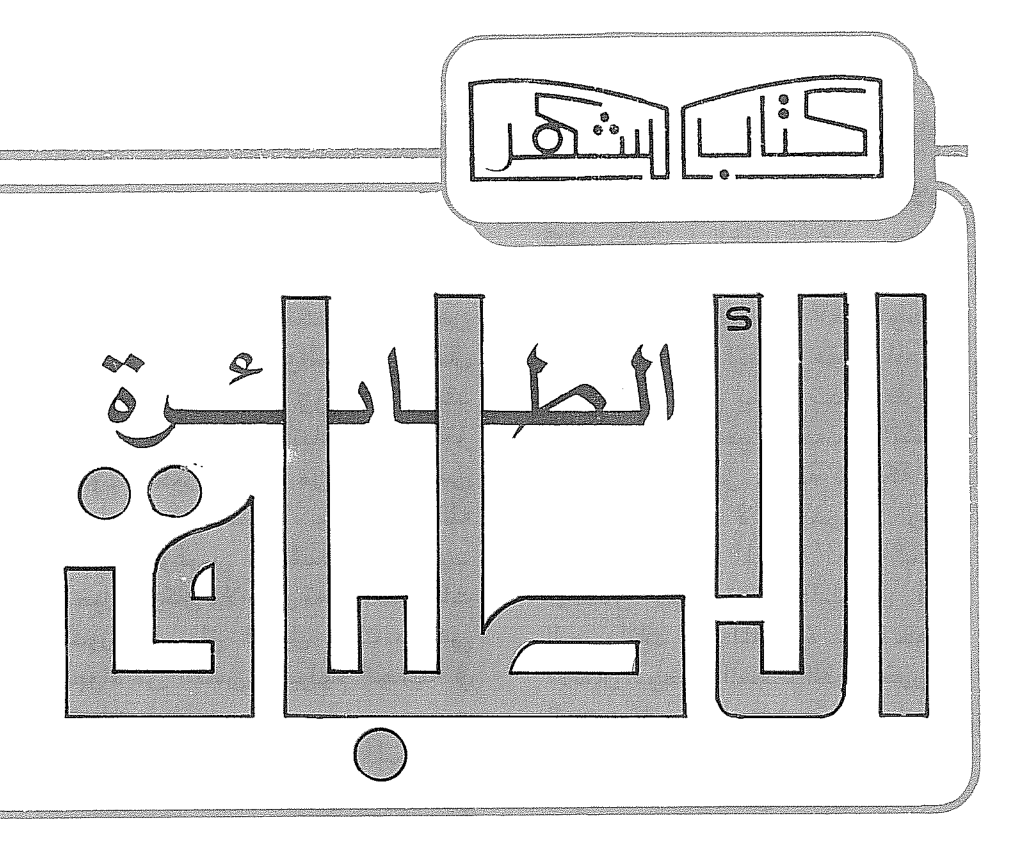
وهكذا تظهر عظمة المولى في الترتيب من حيث المتعة بالركوب فهي تكون أعلى في ركوب الخيل . ومتوسطة في ركوب البغال وقليلة في ركوب الحمير . وهذا الترتيب الوجيه نلمسه في حياتنا العملية .

وبعد هذا السرد الموجز لمنافع الأنعام التي أنعم بها الله سبحانه وتعالى على عباده ، أليست هذه الأنعام جديرة بالتكريم والعناية والرعاية الصحية ومعاملتها برفق وعطف وحنان ؟ حتى يمكنها أن تؤدي الغرض الذي خلقت من أجله وهو خدمة الانسان على ظهر الأرض .. أليست الأنعام ذات الخلق البديع والنظام الرائع أحق بالتفكر والتدبر والتأمل في خلقها وفي كنهها ؟؟

والمؤمن الحق هو الذي يرى بعين بصيرة وقلب ناضج وعقل متفتح ليقف مبهورا أمام عظمة المولى عز وجل في حكيم صنعه .

فهو يقول (**أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت**) الغاشية/١٧ . حقيقة أن هناك لعبرة للمتدبر ، الابل حيث الكرش الواسع لتخزين الغذاء وحيث الجلد السميك لتقليل فقد الماء في الصحراء ، لكي يمكنه تحمل ظروف البيئة الصعبة وحيث الخف ذو الشكل المفلطح « والمبطن بطبقة سميكة من الخلايا » حتى لا يغوص في رمال الصحراء وحيث المقدرة العالية لحمل الأثقال حيث تعتبر الجمال أولى الحيوانات في المقدرة على حمل الأثقال . وحيث السنام الذي تخزن به الدهون لاستخدامها في وقت الحاجة . وبجانب هذا كله فانه يمكنها إعطاء كميات ممتازة من اللبن . كذلك يستخدم وبر صغارها في صناعة أفخم المنسوجات والقبعات .

وفي نهاية مقالي هذا فانني أتوجه إلى كل قارىء كريم أن يتدبر في مخلوقات الله وخاصة الأنعام حتى يزداد ثقة وعظة ويقينا .. وبذلك يمكنه أن يقف صامدا في وجه تيارات الشرك والالحاد التي تعادي الدين الاسلامي الحنيف . كما أتوجه إلى كل من يمتلك أو يرى الأنعام أن يعاملها معاملة حسنة وأن يكرمها لأن خالقها قد كرمها من قبله ، وطالبه بالاحسان إليها ، لأنه لا فرق بين الانسان والحيوان سوى الوعي والنطق . فكان لزاما على الانسان الحفاظ على نعم المولى التي أنعم عليه بها ، حتى يكون بذلك عبدا مطيعا لأوامر ربه فيفوز بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .



هذا كتاب جديد للعالم المحقق معالي الدكتور محمد عبده يماني يحاول أن يقتحم به ظاهرة الأطباق الطائرة التي تحدث عنها العالم طويلا وأن يجيب من خلال المعلومات والأسانيد التي قدمها على السؤال الحائر :

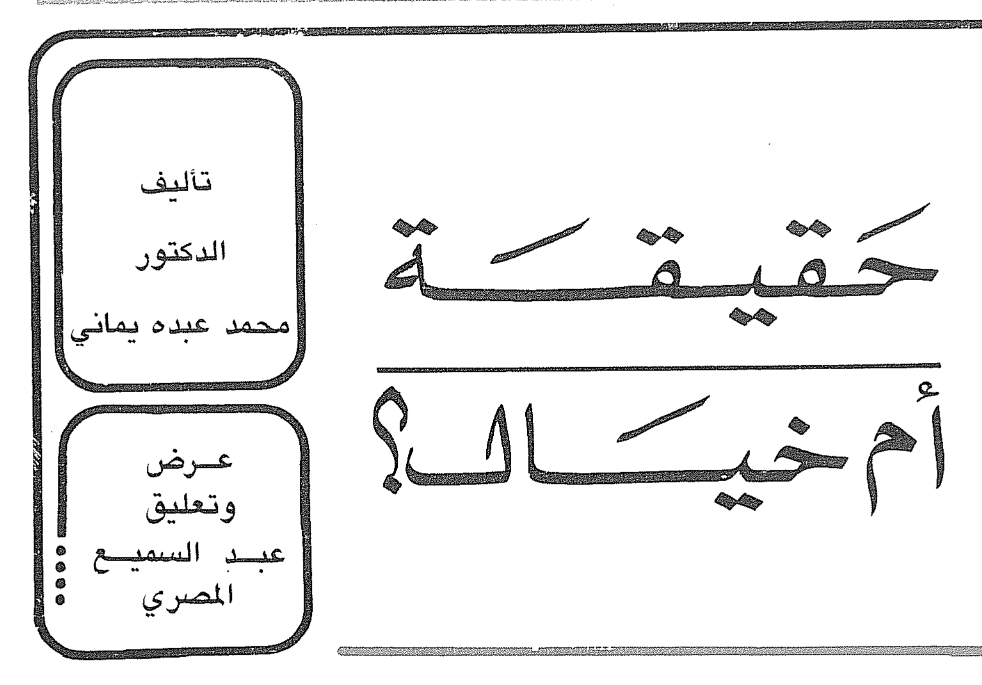
هل هي حقيقة أو خيال ؟ وهل هناك حياة على الكواكب الأخرى أو بعضها في هذا الكون ؟ وهل هي حياة كالتي نعهدها على الأرض ان وجدت ..؟

لا سيما ونحن « منذ ثلث قرن تقريبا والى يومنا هذا ، تتناقل وسائل الاعلام المختلفة في انحاء العالم أنباء ظواهر غريبة يتحدث عنها أشخاص يقولون انهم رأوها رأى العين ، وبعضهم التقط لها صورا فوتوغرافية في أوقات متفاوتة وظروف متباينة ، وكان معظم هذه الظواهر الغريبة يلتقي عند نقطة محددة ، هي أن هناك أطباقا طائرة تبدو في الجو ثم تختفي فجأة كما ظهرت ، دون أن تتاح لأحد فرصة التثبت مما رأى أو توكيد رؤيته بالدليل الملموس الذي يقبله العلم ويتقبله العقل » .

فهل تكون هذه الظواهر الغريبة سفنا فضائية جاءت من عوالم أخرى في هذا الكون العظيم ؟

واذا كانت هناك حياة في تلك العوالم الأخرى ، فما هي الغاية من وصول تلك السفن الفضائية الى كوكبنا وظهورها فجأة واختفائها فجأة ؟

اننا على هذه الأرض نعيش فوق كوكب صغير لا يعدو أن يكون ذرة في فضاء الكون وهذه الذرة جزء من



المجموعة الشمسية التي تتكون من حشد من الاجسام الفضائية ... كواكب ونجوم وأقمار وشهب ونيازك وغيرها تتوسطها الشمس بمركز جاذبيتها التي تمكنها من السيطرة على حركة المجموعة كلها وتمدها بالضوء والحرارة بما تشعه من طاقات حرارية وضوئية لأن تلك الأقمار والكواكب معتمة بذاتها مضيئة بانعكاس الشمس عليها وفي ذلك يقول القرآن الكريم : (**تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا**) الفرقان/ ٦١ .

والسراج هو الشمس التي لا تشكل مع مجموعتها سوى هباءة تسبح في كون الله الفسيح الذي يحتوي على ملايين من المجموعات الشمسية وهذه المجموعات تكون المجرات المختلفة التي تتداخل فيما بينها ـ كما يقول المختصون في علم الفلك ـ فتدخل مجرة تحتوي على مليارات النجوم السيارة في مجرة اخرى مثلها ثم تخرج دون ان تصطدم احداها بالاخرى وهذا ولا ريب احدى معجزات الخالق العظيم الذي أبدع هذا الكون بارادته والذي لم يصل الى العلم البشري عنه إلا أقل من القليل .. سبحانه وتعالى حيث يقول : (**لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) غافر/ ٥٧ .

وسط هذا الكون العظيم ذي الأبعاد الشاسعة التي لا يستطيع العقل البشري أن يتخيلها ، لم يجد الانسان وسيلة لتقريب هذه الابعاد الى ذهنه إلا السنة الضوئية يتخذها

وحدة للقياس .

والسنة الضوئية هي عبارة عن المسافة التي يقطعها الضوء بسرعته في مدة سنة كاملة . وسرعة الضوء كما هو معروف تبلغ ثلاثمائة كيلو متر في الثانية .. ولوصول اي رسالة من كواكب الفضاء الكوني للأرض يلزم لها ألف سنة ضوئية .

وتبدو لنا روعة الخلق الالهي المعجز ـ الى جانب ما ذكرنا ـ حين نعلم أن المسافة بين الارض والشمس ثابتة لا تتغير . ولو اقتربت الشمس من الارض أو حدث العكس لاحترق كل ما على الارض ، ولو تزايدت المسافة بين الارض والشمس لقضي على الحياة في الارض بالتجمد .

ولو كانت القشرة أكثر سمكا بمقدار عشرة أقدام ليس غير ، لما وجد الأكسجين الذي تستحيل الحياة بدونه على الأرض .

ونسترسل في هذه التأملات والافتراضات فنذكر أنه لو كان حجم الأرض أقل مما هي عليه الآن لاستحالت الحياة فوقها لأن جاذبيتها ـ اذ ذاك ـ تختلف .

ولو انخفضت الجاذبية الى مستوى جاذبية القمر لتجمد كل ما في الارض ليلا ، واحترق كل ما عليها نهارا أو لاستحال بقاء الماء على الارض مع ضرورته للاعتدال الموسمي .

ولو كان حجم الأرض أكبر ، لتضاعفت الجاذبية وازداد تبعا لذلك الضغط الجوي .

ولو وصل حجم الارض الى مثل حجم الشمس لأضحت الحياة مستحيلة على الأرض ..

وعلى ضوء تلك الحقائق الاولية ، التي أوردتها كأمثلة ليس غير ، نتبين أن الله تعالى قد خلق الأرض بحكمته بظروف مناسبة ، وأجواء مناسبة وسخر لنا الامكانات اللازمة كي نعيش عليها وان الحياة على كوكبنا هذا ليست صدفة وانما هي كما وصفها جل وعلا في كتابه الكريم : (**صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون**) النمل/ ٨٨ .

ولقد ثبت أيضا أن كل كوكب في المجموعة الشمسية وصل اليه الانسان أو تيسرت سبل اكتشافه وتوفرت المعلومات عنه .. لا توجد عليه حياة ..

لكن الكون يضم ملايين المجرات كالمجموعة الشمسية فهلا توجد بينها كواكب لها نفس ظروف الحياة على الارض من حيث الحجم والمسافة والظروف اللازمة لوجود الحياة ..؟

واذا وجدت هذه الحياة فهل هناك انسان مثل انسان الأرض ..؟

وقبل أن يجيب على هذا السؤال يطوف بنا الدكتور يماني في رحلة ممتعة ثرية بمعلوماتها يبدؤها في الفصل الثاني مع « العلوم الكونية في الاسلام » .. ويكون لنا رائدا يشرح ويوضح ..

فهو يقول « ليس هناك أي برهان أو دليل علمي على وجود انسان كانسان الأرض في أي كوكب من كواكب المجموعات الشمسية المختلفة ، وليس هناك من يستطيع أن يجزم بوجود ذلك

بأي شكل من الاشكال ..

لكن من المحتمل وجود لون من ألوان الحياة لا يعلم إلا الله تعالى كنهها وطبيعتها ومكوناتها وعناصر الاستمرار والفناء فيها على بعض كواكب المجموعات الشمسية المنتشرة في هذا الكون الواسع

ولقد كانت الآيات القرآنية المتعلقة بالحياة في السموات والارضين موضع كثير من التأمل والبحث ولقد كان من بعض معجزات القرآن أن ظلت هذه الآيات - وستبقى - منهلا يستقي منه المتسائلون في كل عصر وآوان .

لقد كانت دائما تنسجم مع ما يتوصل اليه العقل البشري من انجازات في محاولات اكتشاف العالم الذي نعيش فيه ، ولسوف تبقى كذلك ما دام في الأرض حياة وما دام هناك مزيد من الاكتشافات والانجازات ، وذلك لأن ما توصل اليه الانسان حتى الآن هو اقل - بما لا يقاس - مما احتواه القرآن الكريم من اشارات ومعلومات عن أسرار الكون ومداه وتكوينه » .

من تلك الآيات قوله تعالى :

(ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) الشورى/ ٢٩ .

(تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) الاسراء/ ٤٤ .

وغير ذلك كثير مما يشير الى وجود كائنات في السماوات بثها المولى عز وجل ويمكن جمعها بمشيئته كما يبعث من في الارض .

يقول ابن كثير في تفسيره :

« قوله تعالى (**ومن آياته خلق السموات والأرض**) .. (من آياته) الدالة على عظمته وقدرته وسلطانه القاهر (خلق السموات والأرض وما بث فيهما) أي ذرأ فيهما أي السموات والارض (من دابة) وهذا يشمل الملائكة والانس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف اشكالها وألوانها ولغاتها وطباعها وأجناسها وقد فرقهم في اقطار السموات والارض (وهو) مع هذا كله (على جمعهم اذا يشاء قدير) أي يوم القيامة يجمع الاولين والآخرين وسائر الخلائق على صعيد واحد فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق » .

وهو نفس ما قال به مفسرون معاصرون كثيرون منهم الاستاذ محمد الغمراوي في كتابه « الاسلام وعصر العلم » :

« لكن علم الله سبحانه أن يكون في السماء حياة ودواب سيكشف عنه العلم في عصر آت وسيلهج به الناس كما يلهجون الآن بحياة في بعض الكواكب يظنونها أرقى في العلم حتى من الحياة على الارض في عصر العلم هذا .. ومهما يكشف العلم في عصر الفضاء من حياة في الكواكب فهو انما يحقق معجزة علمية للقرآن تتجدد بها الحجة وتزداد الأدلة بها دليلا على أن القرآن من عند الله » .

ان الله تعالى يقسم بقوله :

(فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) الواقعة/٧٥ و ٧٦ ليلفت الانسان الى عظم السموات وعجز الانسان عن أن يقدر عظمتها التي بدأنا في عصر الفضاء نقف على اليسير من أسرارها .

لكن دراسة الفضاء لم تبدأ من فراغ بل كان لعلماء المسلمين القدامى فضل السبق في دراسة الفلك والفضاء وكانت مراصدهم منتشرة في عواصم الاسلام في طليطلة وسمر قند وبغداد واشبيلية بالاندلس والمراغة في فارس وابتكروا غير قليل من الادوات والمعدات الفلكية والمناظير التي حققوا بها الكثير من المعلومات عن الفضاء كاضطراب السيارات في افلاكها والنقص المتواصل في انحراف سمت الشمس والاختلاف الثالث في حركة القمر وغير ذلك كثير مما اعترف به علماء أوربة الذين بنوا على انجازات علمائنا هذا التطور العظيم الذي نشهده اليوم في علوم الفضاء .

وفي الفصل الرابع يتحدث الدكتور يماني عن الطوفان الذي اغرق الارض وعن الحضارات المتعددة التي سادت ثم بادت والآراء التي تزعم وجود حياة بشرية على الارض تسبق الحياة التي نؤرخها الآن والتي لا تزيد عن سبعة آلاف سنة ثم يختتم هذه الرحلة بقوله « انه لا يوجد لدينا حتى الآن أي دليل يؤيد الاعتقاد بوجود حياة انسانية سبقت الحياة المعروفة للانسان على الارض وربما يكون هذا هو السبب فيما يقوله بعضهم من أن مخلوقات قد أتت الى كوكبنا من خارجه كتعليل منطقي للظواهر الشاذة وغير الطبيعية التي يراها البشر أحيانا في كوكبهم » ..

فهل هذه الاجسام الطائرة المجهولة التي تشاهد في الفضاء دون أن يعرف كنهها بالضبط هي من هذا النوع من المخلوقات ..؟ أو أن بعض الناس تختلط عليهم بعض الاجسام الطائرة المعروفة كالبالونات وبعض أنواع الطائرات فيظنونها اطباقا طائرة ..؟

لقد حضر الدكتور يماني مؤتمرا علميا في أكابولكو - نشرت بعض التفاصيل عنه في مجلة نيوزويك الامريكية في يناير ١٩٧٩ - يضم نخبة من العلماء في الفلك والاجتماع ومهندسي الفضاء والاطباء ورجال الدين والمفكرين والكتاب بهدف « اصدار قرار موجه للأمم المتحدة يحثها على انشاء هيئة دولية استشارية للبحث في شؤون الاجسام الطائرة المجهولة » .

ثم يحشد الدكتور يماني في الفصل الخامس من الكتاب مجموعة ضخمة من الروايات والشهادات مدعمة بالصور عن رؤية هذه الاطباق الطائرة نذكر منها :

« في شهر نوفمبر ١٩٧٥ كان سبعة أشخاص من سكان أباتشسجراف بولاية أريزونا الامريكية يجتازون (الغابة الوطنية) حين رأوا طبقا طائرا بدون نوافذ يبلغ ارتفاعه عشرة اقدام وقطره خمسة عشر قدما يحوم حول الغابة .

ورغم تحذير زملائه قفز ترافيس

والتن من السيارة واتجه نحو الطبق وعندما أصبح تحته صدمته بقوة أشعة مكثفة من الضوء الازرق، جعلته يسقط أرضا ثم يختفي أو يتلاشى لفترة من الزمن، وان كان بعض الشهود قالوا إنه فقد وعيه فقط، أما والتن نفسه فانه قال ـ بعد غياب الطبق وعودته الى وعيه ـ انه لا يتذكر شيئا مما حدث ».

لكن على كثرة رؤية الاطباق الطائرة في أماكن مختلفة من العالم فان أحدا لم يقدم حتى الآن دليلا ماديا واحدا يثبت هذا القول بصورة علمية مقنعة وجميع هذه الحوادث قد اقتصرت على مجرد الحديث والوصف بصرف النظر عن مدى جدارة المتحدث بالثقة .

ونتيجة لاستمرار الحديث وقر في اذهان الرأي العام العالمي أن الاطباق الطائرة ما هي الا مركبات من بعض الكواكب الأخرى ـ دون تحديد للكوكب أو المجرة التي يتبعها ـ وقادتها مخلوقات قصيرة غريبة التكوين رؤوسها اكبر من أجسامها . وهذه الكائنات وأطباقها ذات تأثير عميق على من يقف بالقرب منها لأنها قادرة على احداث تأثير اشعاعي لا حدود له بحيث يفقد الشخص الذي يتعرض له ذاكرته فجأة، كما أن لها تأثيرا بواسطة الاشعاعات من الأجهزة التي تستخدمها، يعمل على تغيير البيئة المحيطة بها كتغيير مجال الجاذبية » .

لكن رجل العلم يأبى ان يقطع برأي في أي موضوع دون أن تكون تحت يديه معطيات كافية من الأدلة والمعلومات .

لذلك يميل بعض العلماء مثل وليم سبولدنج المتخصص في شؤون الفضاء الى التصور او التأويل فيقول « من المحتمل أن تكون هذه الأجسام نوعا من الاسلحة السرية التابعة لأمريكا أو روسيا ولكن هذه الدولة لا ترغب في الكشف عنها ولذا فهي تترك الناس يتخيلونها أطباقا طائرة مع أنها تعلم تمام العلم أنها ليست كذلك ».

وكما سبقت الاشارة فالفضاء حافل بملايين النيازك والشهب والمذنبات ذات السرعة الفائقة والاشكال التي قد توحي ـ على ضوء التهيؤ الذهني المسبق ـ بأنها أطباق طائرة .

حتى الرئيس الامريكي كارتر وعد اثناء معركته الانتخابية بنشر كل ما لدى الحكومة الامريكية من معلومات حول الاطباق الطائرة بعد ان توفرت « أطنان من الوثائق التي تثبت وجود مخلوقات في الفضاء الخارجي ينبغي ان نزيح الستار عنها، حتى ولو كانت محيرة وانني سأضع جميع المعلومات السرية المتعلقة بهذا الموضوع تحت تصرف الأمة لأنني مقتنع بها شخصيا ولأنني شاهدتها بنفسي » .

لكن كارتر بمجرد وصوله الى موقع المسؤولية لزم الصمت وتنكر لوعده مما يحمل على الظن بأن « الأسرار الموجودة لدى الحكومة الامريكية مرتبطة بالمصالح العليا للدولة » .

ورغم الجوائز التي رصدت لمن يقدم أدلة ايجابية تثبت وجود هذه

الأطباق من الصحف العالمية والهيئات العلمية فقد «تبين أن معظم الصور التي قدمت على أساس انها تمثل اطباقا طائرة هي صور مزيفة والقليل منها في نظر العلماء لا يكفي لاثبات وجود هذه الاطباق » ... وهي نفس النتيجة التي انتهى اليها تقرير اللجنة العلمية الكبرى التي شكلها سلاح الطيران الامريكي برئاسة ادوارد كوندن الحاصل على جائزة نوبل في العلوم الطبيعية والذي يؤكد « بأنها ليست الا تهيؤات » .

واذا كان بحث الدكتور عبده يماني قد انتهى الى أنه لا وجود للأطباق الطائرة فانه لا ينفي احتمال وجود أجسام تغزو الأرض في المستقبل لا سيما وأن ما ورد في القرآن الكريم عن هذا الكون العظيم لا يتعارض مع احتمال وجود حياة في كون الله الواسع لا يعرف كنهها غير الله جلت قدرته .. ومن المحتمل ان رحلات هذه المخلوقات تكون قد بدأت منذ مئات السنين .. كما أنه من المحتمل أيضا أن الله جلت قدرته قد هيأ لتلك الكائنات من الاسباب ما هو أسرع من سرعة الضوء والقرآن الكريم يدلنا بوضوح على هذا الموضوع في قصة النبي سليمان عليه السلام عندما طلب احضار عرش سبأ أمامه ، فقال له عفريت من الجن : (**أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك**)النمل/ ٣٩ **(قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي)** النمل/ ٤٠ .

والعلماء المعاصرون أول من يؤمن بأن العلم الذي وصل اليه الانسان على عظمته وسعة آفاقه ما زال يحبو بالنسبة لما حواه هذا الكون من أشياء لا يعلم بها الا خالقها ..

وهناك فريق كبير من العلماء يجلسون في مرصد (جودريك) بأمريكا ينصتون لكل همسة او حركة تجري في الفضاء الخارجي ، معهم أحدث الاجهزة مقتنعين بأن هناك حياة في الكون هي في الغالب ليست مثل الحياة عندنا على الارض .

ويخلص من ذلك الدكتور يماني الى أن « الانكار المطلق للأجسام الطائرة لا يغير من واقع الأمر شيئا ، وستظل موجودة في اعتقادي وكل ما ينقصنا هو أن نعرف كنهها ونحدد طبيعتها ليس غير » ..

لقد وفق الدكتور محمد عبده يماني حقا في حشد هذه المجموعة من الدراسات المدعمة بالصور والرسوم والاحصاءات التي تتيح للقارىء الى جانب الفائدة العلمية وقتا ممتعا في مطالعة صفحات الكتاب ، وفرصة فريدة لارتياد آفاق ذلك العالم العجيب » الذي كان اسلافنا بكل فخر ، هم من أوائل من ارتاده وحققوا فيه منجزات لا تنسى » .

بل ان الكتاب في مجموعه نداء الى مزيد من التأمل في كتاب الله « القرآن الكريم » بعد ان كشف أمامنا عن واحدة من معجزات هذا الكتاب الخالد في دراسة الأكوان .. معجزة الحيوات المختلفة المنبثة في السموات والأرضين .



لقد انعم الله على البشرية بالاسلام ، وارسل رسوله محمدا « صلى الله عليه وسلم » هاديا ومعلما ، فكان الاسلام هو الدين الوحيد الذي جمع بين الدنيا والاخرة ، واهتم الاسلام بالروح والجسد ، ولم يفضل واحدة عن الاخرى ، فجاء العلاج متكاملا وشاملا وبذلك يعيش المسلم في حياة قوامها التوازن بين روحه وجسده ، ولا يتسع المجال هنا لحصر الامثلة على ذلك ، ولكننا سنتناول جانبا عنى به الاسلام اكثر ما عنى الا وهو طب الفم ولا ادل على ذلك من ان نستعرض

الاحاديث النبوية الشريفة التي وردت في هذا المجال .

وقبل ذلك سوف نذكر نبذة بسيطة عن بعض المعارف الحديثة التي وصل اليها طب الاسنان ، ثم نطابق بين هذه النظريات الحديثة وما ورد في الاحاديث النبوية .

فالفم هو المدخل الرئيسي لاعضاء الجسم الداخلية ، ويمكن ادراك المخاطر التي يمكن ان تصيب هذه الاجهزة ، سواء الجهاز التنفسي العلوى ، أو الرئتين ، أو الجهاز الهضمي إذا ما اصيب الفم ، وعلاوة على ذلك فإن الجهاز العصبي المتصل بالاسنان وبمنطقة الوجه ، يمثل خطورة كبيرة على الانسان اذ هو اقرب المناطق الى الجهاز العصبي المركزي الرئيسي « المخ » لذا كانت الامه لا تحتمل . من هنا يتضح الاهمية القصوى لاهتمام الرسول بتنظيف الفم والعناية به .

تسبح الاسنان دوما في اللعاب وتكسو كل سن سليمة طبقة رقيقة من هذا اللعاب ، وتلتصق بها فاذا ما اتسخت هذه الغلالة اللعابية فان الاسنان يعلوها الكلس والاوساخ التي تضم بين جنباتها الجراثيم . ولقد وجد العلماء انه حتى بعد تلميع الاسنان تتكون هذه الغلالة في اقل من ساعة ، ولا يزداد سمكها عن ميكرون واحد ، وحالما تتكون هذه الغلالة تبدأ الجراثيم المتواجدة بالفم ، كقاطنين طبيعيين ، تبدأ في الالتصاق عليها ، أما إذا لم يتم إزالة هذه المادة الرخوة باستمرار لمدة ٢٤ ساعة فيتضح بمجرد النظر للاسنان ، تواجد رواسب رخوة عند اتصال اللثة باعناق الاسنان ، ولقد اثبت العلماء في تجاربهم على الحيوانات ان ترسب هذه المادة الرخوة لا يتأثر إطلاقا بمرور الطعام من عدمه في افواه الحيوانات التي تتغذى بطريقة الانابيب المعدنية . وبذا ثبت ان مضغ الطعام للمواد الليفية لا يمنع تكون هذه الرواسب الرخوة ولم يتمكن العلماء حتى الآن من معرفة كيفية التصاق هذه الرواسب الجرثومية على اسطح الاسنان ولكنه ثبت ان هذه الالتصاقات تزداد داخل افواه الاشخاص غير القادرين على تنظيف اسنانهم باستمرار وسرعان ما تبدأ الجراثيم الفمية بتكوين مستعمراتها الاستيطانية ، وحينئذ يبدأ نهجها الاحتلالي على الاسنان .

وتسمى الجراثيم الملتصقة على اسطح الاسنان « اللويحة السنية » وقد اعتبرها علماء العصر الحالي والقديم انها العامل الاساسي في نخر الاسنان وامراض اللثة التي تصيب الانسجة المحيطة بالاسنان .

ولقد اثبتت البحوث الحديثة ان الجراثيم المستوطنة في اللويحة السنية تغير شكلها وكميتها على الدوام وكذلك طرق التصاقها بأسطح الاسنان وبذلك يزداد عتوها ويتمركز تأثيرها على كل الانسجة الرخوة « اللثة » والصلبة « الاسنان ».

وقد يقل معدل تكوين هذه الالتصاقات بتأثير وقوام المواد الغذائية المتناولة وكذلك التركيب

الكيميائي والفيزيائي للعاب الانسان . ولقد تمكن العلماء من اصابة بعض المرضى بأمراض اللثة ، عندما طلبوا منهم الامتناع عن استعمال الفرشاة لمدة ٣ اسابيع ، وهكذا وصلوا لاستنتاج ان السبب المباشر لالتهابات اللثة ونخر الاسنان هو اللويحة الجرثومية حيث ثبتت العلاقة بين تواجد الجراثيم وامراض الفم والاسنان .

اما من حيث علاقة المواد الغذائية وتكون اللويحة الجرثومية ، فلقد اثبتت الابحاث ان المواد السكرية تساهم في تكوين هذه الطبقة وذلك بتغذي الجراثيم عليها ، كما انها تساعد على سرعة وقوة التصاق الجراثيم بسطح الاسنان . وتتحكم الظروف المحيطة باللويحة السنية وما تحتويه من جراثيم في قوة تأثير هذه الترسبات على الانسجة المجاورة ، فمثلا نسبة الحموضة ، تركيز السكر في اللعاب ، وكذلك الاحماض الامينية والفيتامينات . كما تقوم المواد السامة التي تفرزها هذه الجراثيم بتنظيم ديناميكية الانزيمات المطلوبة في عملية التمثيل والنمو الجرثومي للويحة . وهنا يجب ان نذكر ان هذه المعدلات يعتمد بعضها على البعض حتى انه اذا ما اصيب احدها بالخلل اصيبت باقي المعدلات بالخلل ايضا .

ويراعي انه كلما ازداد سمك اللويحة السنية ازداد تمثيلها الغذائي ، كلما قاومت قوة الازاحة باستعمال اي الة لازالتها كالفرشاة مثلا . واذا ما اردنا تطبيق هذه المعلومات على ما اوصى به الرسول : « صلى الله عليه وسلم » من وجوب اهتمام الانسان بنظافة الفم حين قال : « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » (رواه البخاري).

وفي الصحيحين ان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : « لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة »، اتضح من ذلك ان مستعمل السواك في احسن حال وذلك من جهة تكرار ازالة اللويحة بتكرار استعمال السواك في اليوم .

ومما سبق تتضح النظرة العلمية الدقيقة لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » فلقد ثبت فعلا تراكم الجراثيم مباشرة بعد الانتهاء من تنظيف الاسنان الامر الذي جعل الرسول يوصي بازالة هذه الترسبات التي لا تزول الا بالحك الالي .

وكلما ركد اللعاب كما ذكرنا من قبل ازدادت ترسبات اللويحة السنية التي تشجع استيطان الجراثيم ، ولقد اتخذ محمد « صلى الله عليه وسلم » عادة ازالة هذه الالتصاقات من على الاسنان حتى اثناء الليل حيث ورد في الصحيحين ان النبي « صلى الله عليه وسلم » كان اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك » .

ولقد امر رسول الله « صلى الله عليه وسلم » باستعمال السواك في حقبة من الزمن ، لم تكن تعرف فيه المعارف الطبية . ولا جدال اذن ان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » كان اول من امر بالعناية بنظافة الفم وحفظ صحة الاسنان عند المسلمين .

والسواك ذكر انه من شجرة تسمى الراك واسمها العلمي هو السلفادورا براسيكا وهي تنمو في مناطق عديدة حول مكة وفي المدينة المنورة وفي اليمن وفي افريقا وهي شجرة قصيرة ، لا يزيد قطر جذعها عن قدم ، اطرافها مغزلية ، اوراقها لامعة ، جذوعها مجعدة ولونها بني فاتح ، والجزء المستعمل هو لب الجذور ولاستعماله تجفف ثم يحفظ في مكان بعيد عن الرطوبة ، وقبل استعماله يدق بواسطة الة حادة ، ثم يبدأ في استعماله او اذا كان جافا يغمس في الماء ثم تسوك به الاسنان ، ويظل استعماله هكذا حتى اذا ضعفت وتاكلت يوقف استعماله ثم يقطع هذا الجزء ويستعمل جزء اخر وهكذا .

ولقد ثبت بتحليله كيميائيا انه يحتوي على الاتي :ـ

١ ـ مادة شبه قلوية يمكن ان تكون سلفارورين .

٢ ـ تراي مثيل امين .

٣ ـ نسبة عالية من الكلوريد والفلوريد والسيليكا .

٤ ـ كبريت .

٥ ـ فيتامين ج .

٦ ـ كمية قليلة من مادة الصابونين والتانين والفلافونيد .

٧ ـ كمية وفيرة من مادة السيتو ستيرول .

وبنظرة بسيطة على المكونات الكيميائية للسواك يمكن معرفة الاتي :ـ

أ ـ ثبت ان لها تأثيرا على وقف نمو البكتريا بالفم وذلك يمكن ان يكون بسبب وجود مادة تحتوي على الكبريت .

ب ـ مادة التريمثيل امين تخفض من الاس الايدروجيني للفم « وهو احد العوامل الهامة لنمو الجراثيم » وبالتالي فان فرصة نمو هذه الجراثيم تكون قليلة .

جـ ـ انها تحتوي على فيتامين ج ومادة السيتوستيرول ، والمادتان من الاهمية بمكان كبير في تقوية الشعيرات الدموية المغذية للثة وبذلك يتوفر وصول الدم اليها بالكمية الكافية علاوة على اهمية فيتامين ج في حماية اللثة من الالتهابات .

د ـ تحتوي على مادة راتنجية تزيد من قوة اللثة .

هـ ـ تحتوي على مادة الكلوريد والسيليكات ، وهي مواد معروفة بأنها تزيد من بياض الاسنان .

ولقد وجدنا انه من المناسب ان ندرس هذا الموضوع دراسة علمية ونقارن النتائج ببعض المستحضرات الموجودة في الاسواق حاليا .

لقد اجرينا البحث على ثمانين شخصا وقسموا الى اربع مجموعات بحيث استعمل كل عشرين شخصا السواك ، والسواك المصحون ، ومسحوق اسنان تجاري . ومادة النشا . وكان الغرض من البحث هو ايجاد اجوبة على الاسئلة التالية :ـ

١ ـ هل يحل السواك كما هو محل فرشاة ومعجون الاسنان بالرغم من كونه الة مستقيمة لا يمكن استعمالها في اماكن معينة من الفم مثل الاسطح اللسانية للاسنان ؟

٢ ـ عند طحن السواك الى مسحوق ناعم واستعماله مع فرشاة الاسنان هل يمكن بهما ازالة اللويحة السنية كما يفعل المعجون التجاري والفرشاة ؟

٣ ـ كم تبلغ درجة كفاءة المسواك او المسواك المسحوق كمنظفين للاسنان اذا ما قورنت هذه الكفاءة بكفاءة المساحيق المصنعة سواء الناعم منها او الخشن ؟

٤ ـ ما هي مكونات المسواك الطبيعية التي يمكن استعمالها بعد استخلاصها كيميائيا بالتوالي لتقرير صلاحية اي من هذه المكونات في نظافة الاسنان ؟

ولقد اثبت البحث السريري العديد من النقاط اهمها :ـ

١ ـ ان تعاليم الاسلام وتوجيهات رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في استعمال السواك تماثل ـ تماما ما ترنو اليه مهنة طب الاسنان الحديثة ، الا وهو ضرورة ازالة اللويحة الجرثومية وهي بكر قبل نضوجها وازدياد عتوها على الانسجة الرخوة والصلبة .

٢ ـ عملية استمرار السواك يوميا قبل الصلاة وبصورة متكررة ، كما ورد في تعاليم الرسول في هذا المجال تؤدي الى درجة عالية من نظافة الفم .

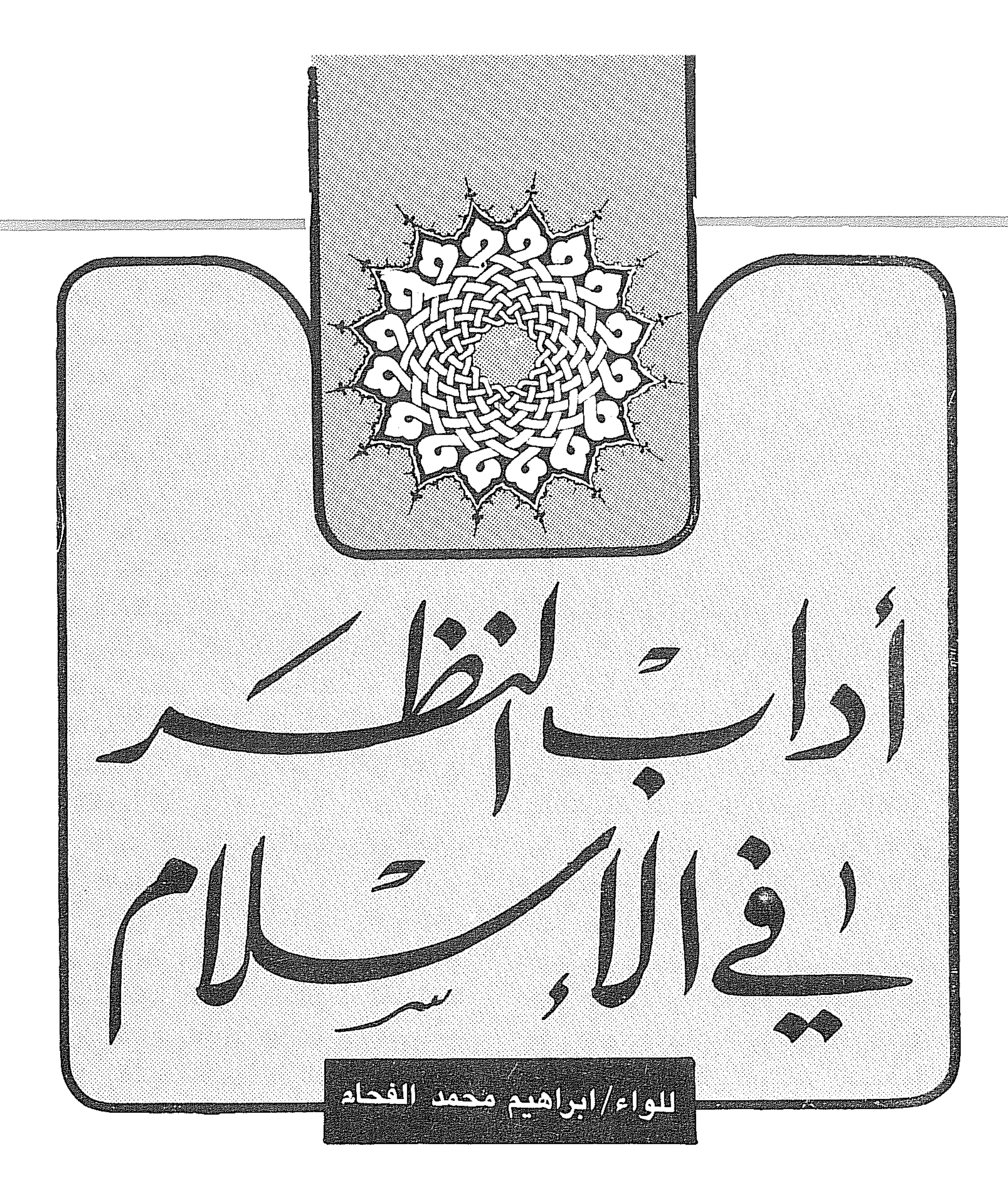
٣ ـ احتواء المسواك على المواد الطبيعية ، اعطى المسلم الذي داوم على استعمال المسواك منذ الصغر ، اعطاه نعومة للاسنان ، وباحتوائه على مادة السيليكا ، صلابة في مينائها ، وباحتوائه على مادة الفلورين ، قوة في لثته ، وباحتوائه على التانين وفيتامين ج ، وذلك بتقوية الاوعية الدموية اللثوية واحتمال وجود مادة مطهرة للفم خاصة « الكبريت ».

٤ ـ اظهر البحث ان نظافة فم مستعملي السواك المسحوق ، قد وصلت الى درجة عليا من النظافة وغياب الالتهاب ، وذلك بالمقارنة مع المسحوق التجاري والنشا المستعملين في مجموعتين اخريين .

٥ ـ تحسنت التهابات اللثة التي سجلت قبل بدء البحث في المجموعتين اللتين ـ استعملتا السواك ، والسواك المسحوق عن المجموعتين اللتين استعملتا المسحوق التجاري والنشا .

٦ ـ واستخلص البحث ضرورة تطبيق استعمال السواك اذا ما ابتدأت احدى البلدان ـ الاسلامية في اجراء بحوث وقائية لسلامة الفم والاسنان خصوصا وان المسواك متواجد بكثرة في هذه البلدان ، ورخيص الثمن ، وكفانا ان المسلم قد تبين استعماله دوما ومتكررا كجزء من تعاليم الدين الحنيف .

وهكذا يتضح مما سبق ان للسواك فوائد صحية للفم ، تفوق ما استحدث من ادوات ـ وادوية تستعمل في نظافة الفم ، وان اول من افاد باستعماله هو محمد « صلى الله عليه وسلم » الذي عاش في القرن السابع الميلادي بعقلية ، وتفهم القرن العشرين الميلادي بعد ان عبر عن معلومات لا تنتمي الى افكار عصره ، وانما ثبتت صحة أوامره في صحة الفم بعد قرون عدة .



آداب النظر في الإسلام

للواء/ ابراهيم محمد الفحام

لا شك أن النظر من أجل نعم الله على خلقه . وقد حثنا جل جلاله على الافادة من هذه النعمة الكبرى بامعان النظر فيما حولنا من معالم الحياة وأحداثها ، لاستنباط مدلولاتها النافعة ، واستخلاص العبر النافعة منها فيقول سبحانه وتعالى في سورة الأنعام :

(قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الآية/ ١١ ويقول في سورة العنكبوت :

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير) الآية/ ٢٠ .

ويقول في سورة فاطر :

(أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات

ولا في الأرض انه كان عليما قديرا) الآية/ ٤٤ .

وبينما يشجع الاسلام ـ بتلك الآيات وغيرها ـ النظرة الواعية الداعية الى التذكر والاعتبار ، فهو ينهي عن النظرة الفاسقة ، التي تثير الغرائز ، وتطلق عنان الشهوات ، كما ينهي عن النظرة المتطفلة التي تقتحم على الناس أسرارهم ، والنظرة الحاسدة الحاقدة ، التي تستكثر نعم الله على عباده .

ففي النهي عن النظرة الفاسقة ، يقول تعالى في سورة النور : **(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن)** الى آخر الآية ٣٠/ ٣١ .

وهذه دعوة الى كف النظر الى ما يحرم النظر اليه . والغض : إطباق الجفن على الجفن بحيث يمنع الرؤية .

ويقول الامام الغزالي في كتابه « منهاج العابدين » أن قوله تعالى : **(ذلك أزكى لهم)** ينطلق على معنيين « الأول : ذلك أطهر لقلوبهم والزكاة الطهارة ، والتزكية والتطهير والثاني : ذلك أنمى لخيرهم وأكثر ، والزكاة في الأصل النمو . أي في غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير . »

ولما نزل قوله تعالى في سورة طه : **(ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم)** طه/ ١٣١ .

أمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي « من لم يتأدب بآداب الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات » .

ومما رواه ابن هذيل من الحكم الاسلامية المأثورة في كتابه « عين الأدب والسياسة » :

« ادمان النظر أحد الفسقين »

و« أسباب الفتن ثلاثة : عين ناظرة ، وصورة باهرة ، وشهوة قادرة » .

كما قيل : « الخير كله في ثلاثة : السكوت ، والكلام ، والنظر . فكل سكوت لا يكون فكرة فهو سهو . وكل كلام لا يكون حكمة فهو لغو ، وكل نظر لا يكون عبرة فهو لهو » .

ويدعو الامام الغزالي المؤمن أن ينظر الى كل عضو من أعضائه ويتأمل فيما خلق له ، وأن يعمل على صونه في ضوء ذلك . ويقول : « فالرجل للمشي في رياض الجنة وقصورها ، واليد لكأس الشراب ، وتناول الثمار ـ يقصد شراب الجنة وثمارها ـ والعين انما هي للنظر الى رب العالمين سبحانه .. وليس في الدارين كرامة أجلّ وأكبر من ذلك .. فحقيق بشيء ينتظر ويرجى له مثل هذه الكرامة أن يصان ويحفظ ويعز ويكرم » .

ويروي أن امرأة جاءت الى الجنيد فقالت له : « زوجي يريد أن يتزوج علي » .

فقال لها : « إن لم يكن له أربع جاز له أن يتزوج »

قالت : « لو جاز النظر الى الأجانب لكشفت لك عن وجهي حتى تنظر الى فتعرف أن من له زوجة مثلي ، لا ينبغي

له أن يتزوج غيري »

فوقع الجنيد مغشيا عليه . ولما أفاق سئل في ذلك فقال : « كأن الحق سبحانه يقول : لو جاز لأحد النظر الي لكشفت له الحجاب عن وجهه ، حتى ينظر الي فيعرف أن من له مثلي ، لا ينبغي أن يكون في قلبه سواى »

ورأى الخواص رجلا تحت شجرة قد أشرف على الموت من العطش فقال : « يا الهي .. أنهارك في الأرض جارية ، وبحارك في أقطارها طامية ، وهذا المحب يموت عطشا » ففتح عينيه وقال : « يا خواص .. لو سقاني بحار المشارق والمغارب ما رويت الا بالنظر الى وجهة الكريم » .

فمن حرص ألا يدنس عينيه بالنظر الى المحرمات في الدنيا جاز له أن ينعم برؤية نور الله يوم الدين .

وخير ما يجزى به المؤمن في دنياه عن كفه حواسه عن الحرمات ، صيانة الله لهذه الحواس من عوادي الزمن . وقد قيل للقاضي أبي الطيب : « كيف كبرت سنك ولم تتغير أعضاؤك ؟ » فقال : (حفظتها في صغري ، فحفظهاالله في كبري) .

وفي النهي عن النظرة المتطفلة ، يقول جل جلاله في سورة الحجرات : « **ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا** » الآية/١٢ .

ولذلك قالوا في آداب الحسبة إنه : « ليس للمحتسب أن يتعرض لمن أغلق باب داره واستتر بحوائطها ، الا أن يظهر من الدار من الأمارات والآثار ما يدل ظاهرا على حدوث المنكر بها ، كأصوات استغاثة أو أصوات منكرة للسكارى بالكلمات المألوفة بينهم ، بحيث يسمعها المارة فان ذلك يعد ظهورا للمنكر يستوجب تدخل المحتسب لازالته ومنعه » ومن الأدعية المأثورة : « اللهم اني أعوذ بك من مال يكون على فتنة ومن ولد يكون على كلا ، ومن حليلة تقرب الشيب ، ومن جار تراني عيناه وترعاني أذناه ، إن رأى خيرا أخفاه ، وان سمع شرا طار به »

ولقد أفتى بأن البالغ أو المراهق اذا نظر من نافذة أو ثقب باب عمدا ، ولم يكن له في الدار زوجة أو محرم فرمي بحصاة أو نحوها فعمي أو مات فدمه هدر ، ولا يقبل قوله « لم أتعمد النظر » أما اذا نظر من نافذة واسعة أو باب مفتوح فلا يجوز رميه .

ويقول بعض الحكماء : « من غض بصره عن عيوب الناس ، غضوا أبصارهم عنه » كما قيل : « استر عورة أخيك بما تعلم فيك » كما قال الشاعر :

لا تلمس من مساوىء الناس ما فيكا
فيكشف الله شرا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا
ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وفي النهي عن النظرة الحاسدة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والخلق بفتح الخاء وسكون اللام ـ فلينظر الى من هو أسفل منه » رواه البخاري .

قال ابن بطال : « هذا الحديث جامع لمعاني الخير ، لأن المرء لا يكون

بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهدا فيها الا وجد من هو فوقه ، فاذا طلبت نفسه اللحاق به فيكون أبدا في زيادة تقرب من ربه ، ولا يكون على حال خسيسة من الدنيا الا وجد من أهلها من هو أسوأ حالا منه . فاذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله وصلت اليه دون من فضل هو عليه بذلك من غير أمر أو جبه ، فيلزم نفسه الشكر فيعظم اغتباطه بذلك في معاده »

وروى الترمذي عن ابن عمرو بن العاص : « خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا : من نظر في دينه الى من هو فوقه ، فاقتدي به ، ونظر في دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه ؛ كتبه الله شاكرا وصابرا ، ومن نظر في دينه الى من هو دونه ونظر في دنياه الى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا » رواه الترمذي عن ابن عمرو بن العاص .

وفي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين بقوله : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » أي صائبة .

وقيل انما قال يعقوب عليه السلام لأولاده : **(لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة)** يوسف/٦٧ . خوفا من شر العين .

وقال القرطبي في سورة يوسف « واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يقول : تبارك الله أحسن الخالقين ، اللهم بارك فيه »

وفي شرح المهذب « يستحب اذا رأى شيئا أعجبه أن يدعو بالبركة واذا رأى شيئا يكرهه يقول : اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ولا يذهب بالسيئات الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم »

وفي الأذكار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى ما يحب قال : « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات واذا رأى ما يكره قال : « الحمد لله على كل حال » رواه ابن ماجه

آداب النظر الى النفس :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نظر في المرآة قال : أحسنت خلقي فأحسن خلقي » رواه أحمد .

قال ابن عباس : « ما تركتها منذ سمعتها منه صلى الله عليه وسلم » وكان يقول : « لا يمس وجه من قالها سوء أبدا »

ويقال أنه يستحب أن يديم المصلي النظر الى موضع سجوده الا عند الكعبة فينظر اليها ، كما جزم به الماوردي والروياني .

وفي التتار خانية للحنفية : « ينظر المصلي الى موقع سجوده ، وفي ركوعه الى موقع رجليه ، وفي سجوده الى أرنبة أنفه ، وفي قعوده الى حجره » .

وقال آخرون : « يندب للمصلي أن ينظر الى اصبعه المسبحة »

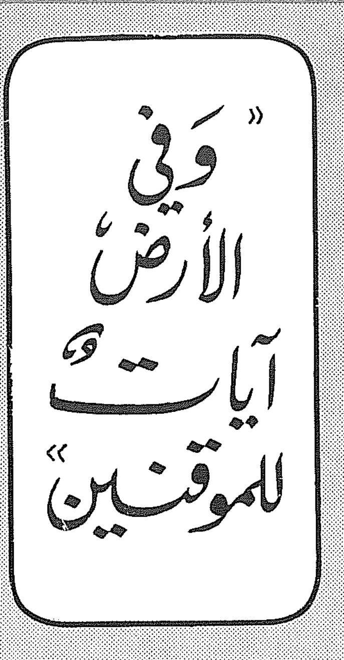
وفي شرح المهذب عن البغوي : أنه ينظر في سجوده الى الله تعالى « أي يستحضر جلاله » .

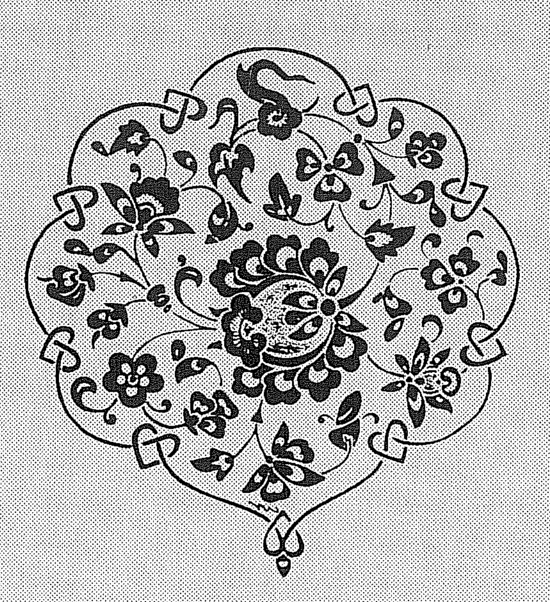
كُونُوا يداً واحدة

للأستاذ/محمود محمد بكر هلال

كانت بماضي الدهر في جوف الصحارى شجره
عظيمة مكسوة بالزهر تبدو نضره
تشابكت أغصانها في قوة ومقدرة
وقد بدت أوراقها مثل الشباب خضره
مرت عليها أعصر والله يجري قدره
سعيدة في أرضها رضية مزدهره
فلم ترع بقاطع أو تخش يوما خطره
لأنها عن شره بعيدة مستتره !!!
لكنما الدهر الذي صافي وجلي زهره
قد بدد الأمن الذي فيها وأبدى نذره !!!
وضن بالعيش السعيد في الورى وبعثره
فقد صحت من نومها بيومها مستبشره
وسبحت خلاقها تقية مكبره
لكن رأت ما لم تطق بين الصحارى منظره !!!
وأجفلت أغصانها وأرعشتها قشعره

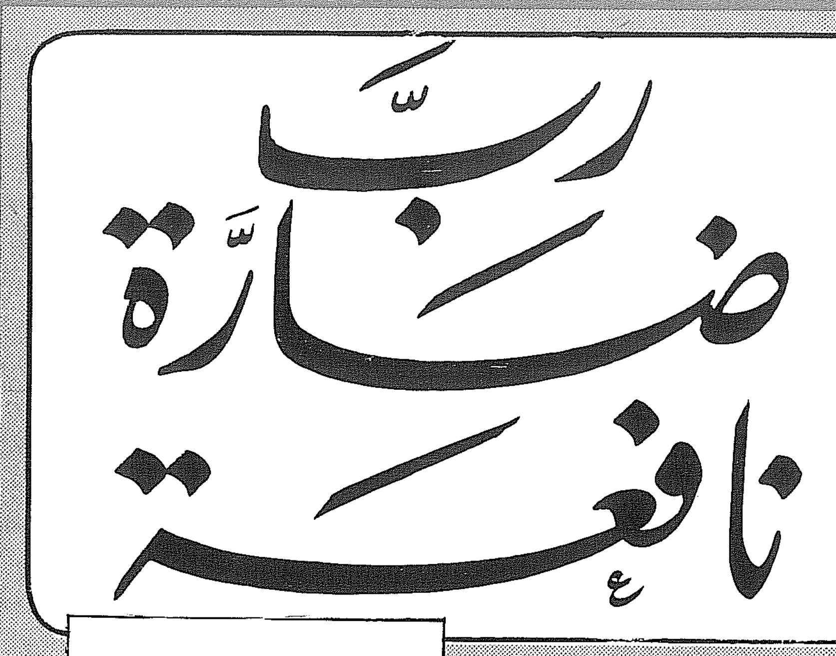
وأصبحت أوراقها | من هوله منتثره !!!
رأت هناك قطعة | من الحديد محضره
كأنها الفأس التي | تهوى لقطع الشجره !!!
وعندها تململ الجذع وألقى بصره
فالتفت الأغصان من | رعب ومالت حذره
وأيقنت بأنها | في يومها محتضره
وأن هذي بلطة الحطاب تلقى نذره
وعن قريب يعتدي | وتستبين أثره
فيحرم العيش الرغيد والحياة المثمره
ويحرم الطير الغنا | ء واللحون المسكره !!!
ويحرم الفراش من | تنقلات مزهره
وتحرم الصحراء من | ظل يصد الهاجره !!!
ومن مقيل ينعش الجماعة المسافره
فأعولت أغصانها | وولولت منذعره !!!
لكن صوتا هادئا | يحيي النفوس النخره
نادى به فرع حبا | ه الدهر قدما عبره ؛
فراح يروي في الصحا | رى للحيارى خبره
وقال : يا أحبتي | خذوا اليكم تذكره
فرددوها جيدا | ففي سناها تبصره !!!
فانني رأيتكم | في رعشة وثرثره
خفتم حديداً ليس يخشى المؤمنون خطره !!!
فهذه الفأس التي | ترونها مدمرة ؛
لا تستطيع وحدها | مهما تناهت مقدره ؛
أو كان حدها به | أسنة مشرشره
فلن تضر وحدها | ولن تمس زهره !!!
ولو أتاها حاطب | من الرجال المهره !!!
ما لم تكونوا أنتمو | أجنادها المسخره !!!
فشرها من بيننا | وكامن في الشجره !!!
فلو غدا غصن لها | يدا تكون المجزره !!!
وعندها يا إخوتي | يقضي العدو وطره !!!
وليس يجدي بعدها | تخلص أو معذره
فوحدوا صفوفكم | في همة وتبصره
وقاطعوا عدوكم | في قوة مؤزره
حتى تنال أرضنا | أمجادها المنتظره





من طبيعة الناس انهم يحبـون ويكرهون ، وهذا امر لا غبار عليه ولا مأخذ ، فلا احد مثلا يحب المرض والجهل والفقر والموت ، ولهذا نسعى لنتداوى ونتعلم ونعمل ونقاوم ، حتى نتخطى هذه المكاره ، ومع ذلك فهناك اشياء تحدث لنا في حياتنـا ، قد نحسبها في ظاهرها شرا ، لكنها تطوي في باطنها خيرا ، او العكس ايضا صحيح ، لكننا لا نعرف ذلك الا بعد وقت قد يقصر او يطول ، من ذلك مثلا ان يتخلف الانسان مرغما عن سفر هام قد يظن فيه الخير ، وقد يلعن حظه العاثر ، لكنه بعد ذلك يحمد ربه حمدا كثيرا ، عندما يعلم ان وسيلة السفر التي كان سيستقلها قد غرقت او تحطمت بمن فيها ، واشياء اخرى من هذا القبيل ، فلا احد يستطيع ان يلم بأحداث الغيب .

وفي هذه المعاني عبرت بعض ايات القرآن الكريم عن ذلك اجمل تعبير : (**وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون**) البقرة/ ٢١٦ : (**فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) النساء/ ١٩ . وفي سورة الكهف ايضا يتقابل موسى عليه السلام مع عبد من عباد الله الصالحين ، فيرى منه اشياء حسبها موسى شرا ، وهي لم تكن كذلك حقا : (**فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال أخـرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا إمرا . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا**) الكهف/ ٧١ و ٧٢ . الى اخر هذه الاحداث التي ذكرها الكتاب المبين ، ولهذا فلن نتعرض لها هنا ، فـذلك ليس من تخصصنـا ، بـل



للدكتور/عبد المحسن صالح

سنتعرض لقصة مثيرة من قصص الخلق التي لم ترد قبل ذلك في مجال اية مجلة اسلامية ، ولا في اي مجال اخر يناقش امور الدين والعقيدة .

تناقض واضح

وسر اختيارنا لمقدمة هذا الموضوع ، انها تمهد لنا الطريق لنتعرض لظاهرة من ظواهر الحياة التي تنطوي على امور محيرة ومتناقضة ، لأنها تختص بغزو ميكروب وتكاثره في داخل انسجة جذور نبات ، لتصيبه بعد ذلك بأورام كثيرة ، فمجرد ذكر الورم والميكروب يثير في النفس خوفا وقنوطا وفزعا ، فلا احد مثلا تطاوعه نفسه ان يأتي لمريض بمرض عضال كالاورام السرطانية ، فيواسيه بقوله : **(وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم)** او لوالدي طفل اصيب بفيروس شلل الاطفال ، فيخفف عليهما بنفس القول ، لأن المناسبة هنا لا تحتمل ذلك ، فليس من وراء السرطان الا الموت في معظم الاحيان ، وليس من وراء الشلل الا العجز مدى الحياة ، ولذلك فان لكل مجال مقالا ، ولكل مكروه ما يناسبه من اقوال تريح ولا تثير او تغيظ ، فلا احد منا مثلا يحب ان يسمع ان اصابته بمرض عضال فيها خير له !

ومع ذلك ، فان قصة الغزو الميكروبي ، وما يسببه من اورام ، مناسبة هنا تماما لمقتضى الحال ، وينطبق عليها القول الكريم : **(وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم)** ،

ودون ان يجانبنا في ذلك الصواب ، صحيح ان الاية تخاطب البشر ، لكن احيانا ما يتعدى معناها الى ما هو اعم واشمل ، وتصبح شريعة صالحة لبعض صور الخلق ، لأن الاصابة وما يتبعها من اورام تعود علينا بالنفع والخير في حين ، وعلى التربة الزراعية في حين اخر ، وعلى الكائن الحي الذي اصيب ، بزيادة في النمو والثمرات !

ولا شك ان في ذلك السرد تناقضا واضحا ، اذ كيف تحدث الاصابة بالميكروب ، ثم تصبح هذه الاصابة مصدر صحة وقوة وازدهار ؟.. ثم اوليس ذلك مخالفا لما وقر في العقل من امور لا يختلف عليها اثنان ؟

وهذا صحيح ظاهرا ، لكن القصة تنطوي على تعاون حقيقي بين الميكروب الذي اصاب ، وبين الكائن المصاب ، فالاصابة هنا لازمة من لوازم حياته ، وهي من العوامل المؤثرة في قوته ، فان غاب عنه ميكروبه ، ولم يصبه بالاورام ، فلا شك ان الكائن سيصاب بالضعف والهزال !

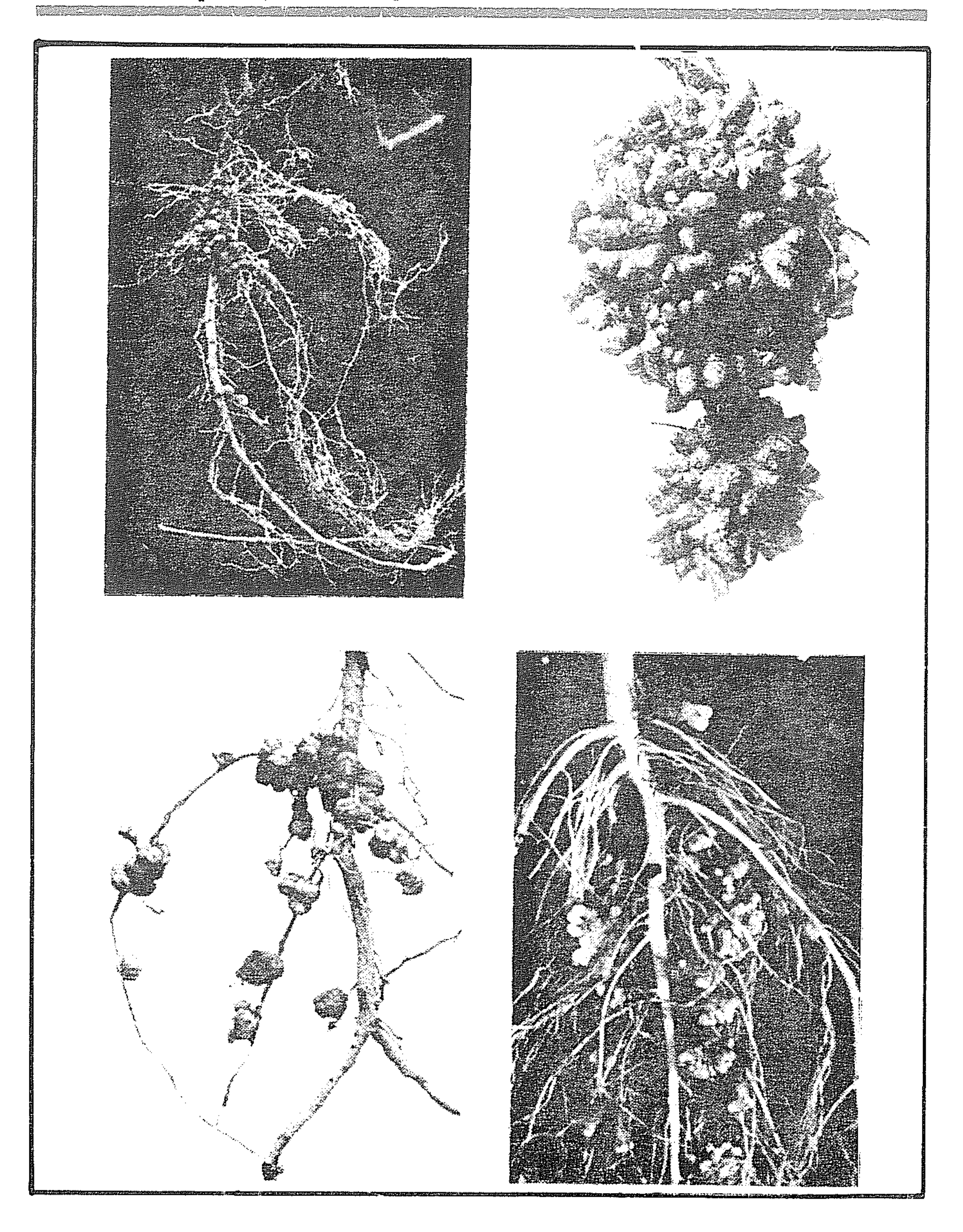
ولقصتنا هذه جذور قديمة ، لأنها تحدث بين نبات بقولي ، وبين ميكروب يسكن الارض ، ولقد بدأت احداثها قبل ان يظهر الانسان على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين ، ولا زالت قائمة حتى اليوم ، وستستمر الى ان يرث الله الارض بمن عليها .

فمن المعروف من قديم الزمن ان زراعة الارض بأحد النباتات في اعقاب حصاد نبات بقولي ، يمنح المزروع بعده مزيدا من النمو والثمار ، فكأنما النبات البقولي في هذه الحالة قد اضاف الى الارض بعض عناصر خصوبتها ، فيثاب بها النبات الذي يليه ، وقد لا يحتاج الى اسمدة يضيفها اليه الانسان ، لأن النباتات البقولية كالبرسيم والفول وفول الصويا والفاصوليا والترمس .. الخ ، قد سمدت الارض ، واعادت اليها خصوبتها ، هذا رغم اننا نعرف ان اي نبات يزرع في الارض وينمو ، فلا بد ان يحرم الارض بعض خصوبتها ، لأنه يستولي منها على العناصر اللازمة لحياته ، لكن لكل قاعدة شواذ ، فالنباتات البقولية تعطي الارض اكثر مما تأخذ منها !

وطبيعي ان الاجيال السابقة لم تكن تعرف السر في هذه الخصوبة ، لكنها عرفتها عن طريق الملاحظة والممارسة عبر اجيال طويلة ، ثم يجيء العلم بعد ذلك ليكشف عن سر بديع ، ينم عن تنظيم متقن ، له مغزاه ومعناه في عقول قوم يتدبرون ما في الخلق من ايات محكمات ، ربما مصداقا لقوله تعالى : **(وفي الارض آيات للموقنين)** الذاريات/ ٢٠ .

كلمة سر لها مغزاها !

وطبيعي ان الارض تموج بجيوش هائلة من الميكروبات .. بكتيريا وفطريات وفيروسات وحيوانات اولية ذات خلية واحدة او عديدة الخلايا .. الخ ، ولها انواع كثيرة جدا تعد بعشرات الالاف ، ثم ان بعض هذه الانواع تحوم حول جذور النباتات ، لتقتنص الفرصة المناسبة لكي تغزوها



الصور الاربعة توضح ما يشبه الاورام على جذور نباتات مختلفة ، ويختلف الورم باختلاف سلالة الميكروب ونوع النبات البقولي .. هذه الاورام تعرف باسم العقد البكتيرية التي تكفل النبات ويكفلها .. لاحظ كيف ان جذور النبات في الصورة الاولى (اعلى الى اليمين) قد تحولت الى اورام ضخمة واضحة (شكل ١)

وتتطفل عليها وتمرضها وتضعفها ، واحيانا تصيبها بالذبول والموت ، الا ميكروب « الرايزوبيام » الذي عقد صفقة تجارية بينه وبين النبات البقولي ، ليتعاون معه على البر والخير ، لا على الاثم والعدوان ـ كما يفعل ابناء عمومته من الميكروبات المتطفلة او الممرضة !

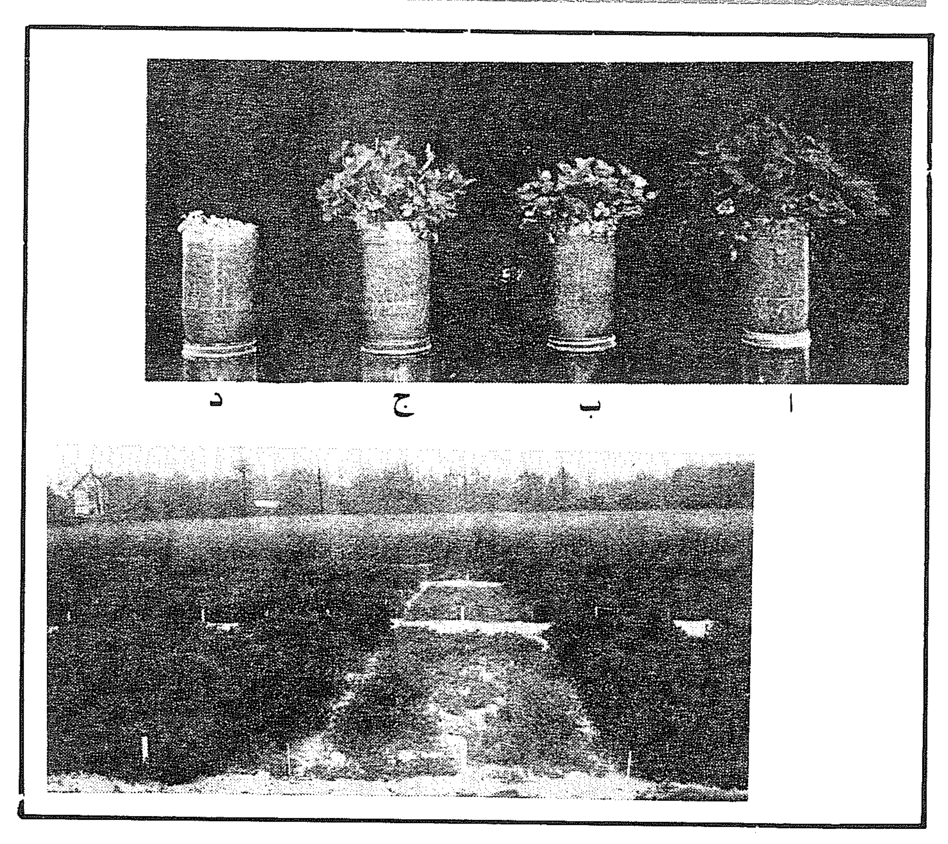
لكن .. كيف يعرف النبات البقولي العدو من الصديق ، او ما ينفعه مما يضره ، خاصة وان الارض تموج بعداوات وصراعات ودفع ازلي بين الميكروبات ، او بين الميكروبات وجذور كل النباتات ؟.. ثم كيف يهتدي الميكروب الى جذور النبات البقولي ، ويعرف ان شريك حياته قد حل بأرضه ، فيسعى اليه ، ويطرق ابوابه ، ليسمح له بالدخول دون سواه ؟

لا شك ان هذه الكائنات لا تمتلك عيونا ولا اذانا ولا السنة ولا اية حاسة من الحواس التي نعرفها نحن في عالمنا ، لتوضح لنا العدو من الصديق ، او الحلو من المر ، او الحيوان من النبات .. الخ ، ومع ذلك فهي تعرف ذلك تمام المعرفة ، فلم يخلق الله خلقا ـ صغر شأنه او عظم ـ الا وامده بالوسائل الحكيمة التي تهديه الى ما ييسر له حياته ، حتى ولو كان يعيش في عالم تكتنفه الظلمات والمتاهات .

لا تحمل لذلك هما ، فكل شيء قد جاء بنظم مذهلة لا تتفتح الا للعقول الواعية التي تسعى سعيها للكشف عن اسرار الله في خلقه ، فتتبين لنا قدرة من خلق فأبدع فتجلى .. (**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر/ ٤٩ : (**فقدرنا فنعم القادرون**) المرسلات/ ٢٣ .

فواقع الامر ، ان التعارف بين ميكروب الرايزوبيام وبين جذور النبات البقولي ، يتم « بكلمة » سر ، بل « بكلمتين »، او ربما بأكثر .. كلمة منها للنبات ، وكلمة للميكروب ، وطبيعي ان هذه الكلمات غير منطوقة ولا مسموعة ، لكنها مكتوبة ، ليس ذلك بحروف لغتنا ، ولا بحروف اية لغة بشرية اخرى ، بل بذرات مختلفة تتآلف مع بعضها في جزيئات ، كما تتآلف الحروف هنا مثلا في كلمات ، ليكون لها في عقولنا معنى ، وكذلك تكون الجزيئات الكيميائية التي « يؤلفها » كل كائن حسب الخطة او « البروجرام » الوراثي الذي جاء به الى الحياة ، لكن ما علينا من كل ذلك ، لأن الحديث فيه قد يتشعب ويطول ، المهم ان جذور النبات البقولي تفرز مادة او مواد كيميائية محددة ، لتتخلل حبيبات التربة ، ورغم ان تركيزها ضئيل غاية الضالة ، الا انها فعالة ، فتخرج بها الميكروب المنشود من وحدته وسكونه ، وكأنما هي ـ لو ترجمناها بلغتنا ـ قد تعني « لقد حللت بأرضك ، فقم من سباتك ، والى جذوري تحرك ، ووضح لي هويتك »!

وبالفعل يستجيب الريزوبيام لهذا النداء الكيميائي الصامت ، وتزيد اعداده حول جذور النبات البقولي دون سواها ، ويحل بها ضيفا ، لكن الخلايا لا تفتح ابوابها لكل ما هب



الصورة العليا توضح مجموعة من الاصص مزروعة بنبات بقولي .. الاصيص الى اليسار (د) هو الوحيد الذي لا يحتوي على بكتيريا التكافل ، ولهذا كان نموه ضئيلا ، والاصص الباقية تحتوي على سلالات مختلفة من البكتيريا .
الصورة السفلى توضح حقلا تجريبيا ، حيث تظهر المنطقة الوسطى بنمو نباتي ضعيف ، لأنها عقيمة من البكتيريا .

ودب ، بل لا بد من « طرقة » كيميائية لها مغزاها ومعناها ، او كأنما الميكروب والنبات يستخدمان فكرة شبيهة بالقفل والمفتاح ، فكما ان لكل قفل مفتاحه الذي يفتحه دون سواه ، كذلك تتوافق مادة كيميائية تفرزها جذور النبات ، مع مادة كيميائية اخرى يفرزها الميكروب ، فاذا تفاعلت هذه مع تلك ، او تطابقت معها ، واشتغلت بها ، فان ذلك يكون بمثابة جواز مرور الى خلايا النبات ، وبهذا تتم الصفقة الرابحة التي تبارك احداثها السماء !

الموضوع طويل جدا ، وعويص جدا ، ولا زالت تكتنفه الغاز ومتاهات ، رغم مئات والاف البحوث التي تمت في هذا المجال حتى الان ، وهذا ينبئك بأن الخلق يحتوي على

اسرار ما بعدها اسرار ، وكل سر مكتشف يسعدنا ويقربنا من خالق هذه الاكوان ، لنعرف عن علم معنى قوله : (**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**) الفرقان/٢ .

المهم ان العلماء قد توصلوا الى اكتشاف كلمة السر في جذور النبات ، واطلقوا عليها اسما معقدا وطويلا « بولي جالا كتورونيز » واكتشاف كلمة السر ايضا في الميكروب .. « اندول اسيتيك الحامضي ، او اندول حامض الخليك »، ولا تهمنا هنا الخطوات التي تسير فيها التفاعلات الكيميائية المعقدة ، اذ يكفينا اننا بسطناها بفكرة القفل والمفتاح ، او الشفرة والشفرة المضادة .

غزاه فأصابه فأعطاه

بعد ان فتحت خلايا الجذور اسوارها لتسمح لبكتيريا الرويزوبيام بالمرور دون سواها ، تبدأ البكتيريا في التكاثر لتصبح بلايين فوق بلايين ، وفي النهاية تتحول الى اورام واضحة على الجذور (شكل ١).. وهذه نطلق عليها اسم العقد البكتيرية .

وبمجرد ان يحدث الغزو ، ويستضيف النبات الميكروب ، يبدآن في عمل متناسق يعود بالفائدة على نوعيهما ، فالميكروب لا يتكاثر في التربة الزراعية ، لأنه لا يستطيع ان يكون المواد السكرية ، لكن النبات الاخضر يستطيع ذلك من خلال عمليات التمثيل الضوئي ، ولهذا يأخذ الميكروب من هذه السكريات نصيبا ، وبها يتكاثر ، ولو اقتصر الامر على ذلك ، لاعتبرنا الميكروب متطفلا ، لأن الطفيلي يأخذ ولا يعطي ، او انه يعيش على كد غيره ، دون مشاركة حقيقية لنفع من اعطاه من كده ، لكن الميكروب يقابل هذا الجميل بجميل اكبر ، فيعطي النبات مددا دائما من سماد نيتروجيني غير عضوي ، والنبات البقولي في حاجة ماسة الى هذا السماد « اي النيترات »، ليحوله في داخل انسجته الى مواد نيتروجينية عضوية تتمثل لنا في الاحماض الامينية ، ومن الاحماض الامينية تتكون البروتينات ، ليختزنها النبات في حبوبه وثمراته ، ولهذا فان غنى حبوب البقوليات بالبروتينات ، يرجع اساسا الى التعاون والترابط الوثيق بين النبات البقولي ، وبين هذا النوع من الميكروبات .

لقد تمخض الغزو والاصابة عن اورام ، لكنها - في الوقت ذاته - مصانع حية دقيقة من اروع وادق ما عرفه العلماء ، ذلك ان كل فرد من البلايين التي تسكن الورم او العقدة البكتيرية ، هو بمثابة معمل كيميائي على درجة هائلة من التعقيد ، لأنه يستطيع ان يصطاد غاز النيتروجين الخامل من الهواء ، ثم يدخله في سلسلة من العمليات الكيميائية التي حيرت العلماء ، وقضوا في فك بعض الغازها سنين طويلة ، لكن بقيت الغاز اخرى تستحق مزيدا من البحث والدراسة ، ولن نتعرض هنا - بطبيعة

الحال ـ لهذه العمليات المعقدة ، لأنها تستلزم من القارىء ان يكون على دراية كبيرة باصول الكيمياء الحيوية ، لكن يكفي ان نقول ان غاز النيتروجين الخامل يتحول في النهاية الى مركب النيترات ، وهذا بالضبط ما يحتاجه النبات البقولي ، فيعطيه الميكروب النصيب الاكبر ، ويحتفظ لنفسه بالنصيب الاصغر ، ثم ان هذه العملية تسري ليل نهار ، وفيها يتم انتاج النيترات باستمرار ، وفي النبات يتحول النيترات في سلسلة من العمليات الكيميائية الى بروتينات ، فيختزن نصيبا كبيرا منها في الحبوب والثمرات ، ليستفيد منها الانسان والحيوان .. والارض الزراعية ايضا ، اذ عندما يحصد النبات ، فان جذوره بما حوت من هذه المصانع الحية الدقيقة ـ اي الميكروبات ، تتحلل في التربة ، فتضيف اليها من السماد الجاهز نصيبا يتراوح ما بين ٤٠ ـ ٢٠٠ كيلو جرام للفدان في كل عام ، تتوقف قيمة هذه الكمية على نوع النبات البقولي ، وطبيعة الارض الزراعية ، وسلالة الميكروب .. الخ ، وهذا يعني بوضوح ان كوكبنا يستفيد سنويا بملايين فوق ملايين من اطنان السماد ، ومن صناعة هذا الميكروب وحده ، وايضا بالمجان !

علاقات وطيدة

ولقد حاول العلماء فصل العقد البكتيرية ، وزراعتها في الدوارق والانابيب ، وامدادها بكل ما تحتاجه من سكريات وفيتامينات وكل اطايب عناصر الغذاء التي تهواها ، لكنها لم تستجب ولم تتعاون مع العلماء ، بل هي تفضل ان تتعاون مع النبات البقولي اذ مما لا شك فيه ان هناك علاقات وطيدة ، ومواثيق قديمة بين الميكروب وبين من اواه ، ولا بد ايضا من وجود تفاهم وتناسق في العمل بين الاثنين على اعلى مستوى ، ويوم ان نتوصل الى معرفة كل اصول هذا الترابط ، فقد نسيطر على العملية ونوجهها لصالح نباتات اخرى ، ولصالح الارض الزراعية ، ولصالح البشرية ، ذلك ان كشف اسرار الحياة ليس بالامر الهين : (**ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) سبأ/٢٨ .

ثم ان احتياج البشرية لمزيد من الاسمدة النيتروجينية يتزايد في كل عام ، وهناك مصانع كثيرة لانتاج السماد ، لكنها تحتاج الى طاقات كبيرة ، وحرارة عالية ، وضغوط شديدة ، وعوامل مساعدة .. الخ ، لكن هذا الميكروب الدقيق يقوم بالعملية دون ضجة او ضوضاء ، وفي درجة الحرارة العادية ، والضغط العادي ، وقليل من المادة السكرية التي يحصل عليها من النبات ليحرقها ، ويحرر طاقتها ، ليدير بها عملياته الكيميائية على اسس اقتصادية تهون بجوارها كفاءة مصانعنا : (**صنع الله الذي اتقن كل شيء**) النمل/٨٨ .

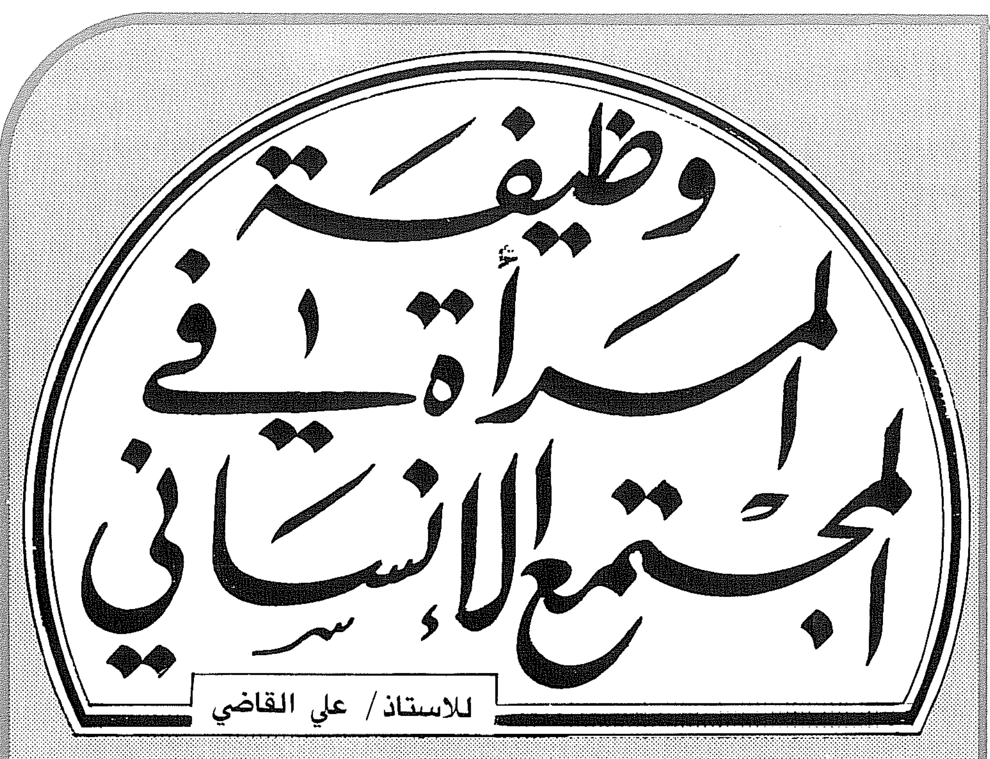
وفي الوقت الذي يدق فيه عالمنا المعاصر نواقيس الخطر ، محذرا من امكان نضوب مصادر الطاقة ، وما قد

يتبع ذلك من قدوم العالم على كارثة ، في هذا الوقت نرى ميكروبا قد عقد صفقة تجارية مع النبات منذ عشرات الملايين من السنين ، وبهذه الصفقة الرابحة والعادلة قد حل بنفسه ولنفسه مشاكل الطاقة ، فهو لا يستطيع - كما اشرنا - ان ينتجها بذاته - ولا بد - والحال كذلك - ان يستوردها من مصادرها ، فنظمت له الامور ادق تنظيم ، وتآخي مع النبات في منفعة متبادلة ، فيأخذ سكرا ، ويعطي سمادا !

ونحن نعرف ان الصفقة المتبادلة بين اثنين من البشر ، لا تفيد غالبا الا من شارك في الصفقة ، لكن صفقة الميكروب مع النبات اكثر عطاء ، واعم فائدة ، لأنها توزع بعض ما غنمته على المحروم ، وكأنما هي « تزكي »- ان صح هذا التعبير - على ما حباها الله من نعم استمرت معها كل هذا العمر الطويل ، فضمنت للميكروب تكاثره وانتشاره ، وللنبات البقولي قوته وازدهاره .. قلنا انها توزع بعض غنيمتها على المحروم ، لأن هناك نباتات اخرى تسكن في جيرتها ، ولا تجد في الارض من الاسمدة النيتروجينية الا اقل القليل ، لكنها مع ذلك تستفيد مما يعود الى الارض ، لأن الارض بدورها تستفيد ، وكذلك نحن والحيوان نستفيد ، وما اجمل ان تعم الفائدة على الجميع ، وبارك الله في تعاون وتآلف حتى لو كان ذلك على مستوى نبات وميكروب ، فالعبرة دائما بالنتائج او الخواتيم ، خاصة اذا كانت عملا متقنا يتجسد ، لا قولا معسولا يتردد ، فما اكثر اقوالنا ، وما اقل اعمالنا ، وواقع حالنا خير شاهد على ما نقول .

بقيت كلمة اخيرة نوضح بها مدى الارتباط بين النبات البقولي والميكروب ، فمن البحوث التي اجريت في هذا المجال ، يتبين ان اعداد هذا الميكروب تتناقص بالتدريج في التربة الزراعية ، كلما طالت الفترة التي يغيب فيها النبات البقولي ، وقد تصل الامور الى الحد الذي يودع فيها الميكروب حياته ، دون ان يتعرف او يرتبط بنبات اخر ، فاما النبات البقولي ، واما الموت ، فاذا زرعت الارض بنبات بقولي ، وكانت خالية من هذا الميكروب ، ضعف النبات ، وهزل المحصول ، ولا بد والحال كذلك من حقن الارض بهذا الميكروب ، حتى تعود الامور الى مجاريها (شكل ٢).

هذه - اذن - قصة كائنين جد مختلفين ، ولقد قدمناها هنا ، لأن فيها درسا وعبرة في معنى التعاون والتآلف وتبادل المنفعة او التكافل ، وكلها امور قد بدأت تضمحل في زمننا المعاصر ، ثم هي تبين بوضوح صورة جديدة لحياة تسكن التراب ، ولا مانع من حكمة تنبع من تراب ، ثم لا يعرف الكثيرون عن اصولها شيئا ، ثم ما اكثر ما لا نعرف من اسرار الكون والحياة ، وعندما تزيد معارفنا ، يكون ذلك مرشدا وهاديا لروعة الخلق ، ومعرفة تقربنا من الله : (**الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى**) الاعلى ٣/٢ .. وفي ذلك الكفاية لقوم يتدبرون .



الحديث حول وظيفة المرأة في المجتمع الانساني يطول ويطول ، وتختلف الآراء فيه من جيل الى جيل ، ومن مجتمع الى مجتمع .

ولقد مرت علينا فترات طويلة كنا نظن فيها أن وظيفة المرأة مساوية لوظيفة الرجل تقريبا - حتى كاد ان يكون هذا من المسلمات في المجتمع الغربي وبالتالي في المجتمعات المقلدة له والتي أخذت ثقافتها عنه - وأصبح الايمان بذلك دليلا على التمدن والحضارة وما عداه دليل على التخلف والرجعية وعدم الفهم لتطورات الزمن .

وهذا أخذ للامور من زاوية واحدة وما زال الغربيون يكررون ويعيدون هذه المعاني حتى صدقها المقلدون ثم ما زالوا يكررونها حتى صدقوها هم أنفسهم .

وترتب على هذا توحيد مناهج التعليم للفتيان والفتيات في جميع المراحل كما ترتب عليه اشتراك المرأة في جميع الوظائف والاعمال الخارجة عن البيت وبالتالي ترتب عليه أيضا ترك المرأة لوظيفتها الاصلية التي خلقها الله لها وهي تربية الاجيال - وبدأ الاطفال يتربون في المحاضن والحضانات والمستعمرات وما الى

ذلك .

ولقيت البشرية من وراء ذلك متاعب لا حصر لها حين شب هؤلاء الذين لم تربهم أمهاتهم وخرجوا الى المجتمعات بأمراض جسمية وأمراض نفسية وسببوا للمجتمعات متاعب لا حصر لها وألوانا من المشكلات التي يحاولون أن يخففوا من حدتها وأن يوجدوا الحلول لعلاجها .

ثم بدأ جنس ثالث في طريقه الى الظهور لأن المرأة حين تخلت عن وظيفة الامومة بدأت تضمر فيها هذه الخصائص حتى اصبح من المتوقع ظهور جنس ثالث تضمر فيه خصائص الانوثة التي رسختها الممارسة الطويلة لوظيفة حواء .

ويبدأ العلم الغربي يعطينا بأبحاثه معلومات جديدة تفيدنا في بيان حكمة الاسلام في تشريعاته ذلك ان الله الذي خلق الانسان هو الذي شرع له وهو أدرى به وباحتياجاته وليس من حق أحد أن يشرع للبشرية اذ أن علمه قاصر على زاوية واحدة . وبين الرجل والمرأة فروق في التكوين البيولـوجي والفسيولـوجي والسيكلوجي مما يدل على أن لكل منهما وظيفة في الحياة وان كانت وظيفة كل منهما متممة لوظيفة الآخر .

الفروق البيولوجية :

والفروق موجودة بين الرجل والمرأة من قبل الحمل ويظهر ذلك في الفرق الموجود بين الحيوان المنوي للذكر والحيوان المنوي للانثى ، والسؤال الذي طرحه العالم الامريكي دكتور شبنلر على نفسه وعلى أعوانه هو : هل الكائنات الدقيقة التي تسمى علميا (الحيوانات المنوية أو بذور الحيوان للانسان كما يسميها الدكتور شبنلر نفسه هل هذه الكائنات المنوية التي تنطلق نحو البويضة لها نفس الطبيعة ؟) .

ومن المعروف أن الكائنات التي تحمل الكرمسوم × اذا لقحت البويضة جاء المولود أنثى واذا كانت تحمل معها الكرمسوم Y جاء المولود ذكرا ـ وأخذ العالم وأعوانه يفكرون لماذا يسبق الكرمسوم × الكرمسوم Y في سباق الحياة أو العكس ؟ هل يحدث هذا عفوا حسب الظروف واذا كان الأمر كذلك فهل بينهما اختلاف في التكوين البيولوجي وبعد أبحاث طويلة وجد العالم وأعوانه ان الكرمسوم × الذي ينتج الانثى يتميز بأنه يتجمع جنبا الى جنب وبأنه بطيء الحركة وان كان أكثر تحملا للبيئة ولذلك يعيش مدة أكبر ـ كما أنه ينتعش ويزداد حيوية اذا وجد في المواد الحمضية ـ أما الكرمسوم Y الذي ينتج الذكر فانه يتمتع بسرعة الحركة والحيوية الشديدة ويزداد حيوية وانتعاشا اذا وجد في المناخ القلوي ولكنه أقل تحملا لظروف البيئة ويموت بسرعة أكبر .

ويوضح العالم الفاضل دور كل من الابوين في تكوين البويضة فيقول : ان الاب والأم يسهمان بقدر متساو في تكوين البويضة التي تولد كل خلية من خلايا الجسم

الجديد لكن الام تهب علاوة على نصف المادة المنوية كل البوتوبلازم المحيط بالنواة .

وهكذا يتضح منذ البداية الفرق بين بويضة الذكر وبويضة الانثى في خصائص كل منهما كما يتضح مقدار اسهام كل من الابوين في تكوين الجنين .

ومن ناحية أخرى يبين الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل للعلم الفرق بين الرجل والمرأة في كتابه (الانسان ذلك المجهول) فيقول : ان الامور التي تفرق بين الرجل والمرأة لا تتحدد في الاشكال الخاصة بأعضائها الجنسية والوحم والحمل ـ وهي لا تتحدد أيضا في اختلاف طرق تعليمهما بل ان هذه الفوارق ذات طبيعة أساسية نابعة من اختلاف نوع الانسجة في جسم كليهما ـ كما أن المرأة تختلف عن الرجل كليا في المادة الكيماوية التي تفرز من الرحم داخل جسمها فكل خلية في جسمها تحمل طابعا انثويا وهكذا تتكون اعضاؤه المختلفة بل وأكثر من ذلك فهذا هو حال نظامها العصبي) ثم يقول (ان قوانين وظائف الاعضاء محددة ومنضبطة كقوانين الفلك حيث لا يمكن احداث أدنى تغيير فيهما الا بفناء البشرية وعلينا ان نسلم بها كما هي دون أن نسعى الى ما هو غير طبيعي .

ثم يهتف قائلا : (والذين ينادون بمساواة الجنس اللطيف بالرجل يجهلون هذه الفوارق الاساسية ، وعلى النساء ان يقمن بتنمية مواهبهن بناء على طبيعتهن البشرية وان يبتعدن عن تقليد الرجال) ويمضي مبينا أثر هذا الاعتقاد في السير بالمرأة الى طريق لا يتناسب مع استعداداتها فيقول : « ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الانوثة الى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا أو أن يمنحا سلطات واحدة ، ومسؤوليات متشابهة ـ والحقيقة أن المرأة تختلف عن الرجل اختلافا كبيرا فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها والامر نفسه صحيح بالنسبة لاعضائها ، وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي فالقوانين البيولوجية غير قابلة للين شأنها شأن قوانين العالم الكوكبي فليس في الامكان احلال الرغبات الانسانية محلها ومن ثم فنحن مضطرون الى قبولها فعلى النساء ان ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور فان دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال فيجب عليهن الا يتخلين عن وظائفهن المحددة » .

ثم بين خصيصة من خصائص الانثى البشرية فقال : « وعلى أي حال فيبدو أن النساء من بين الثدييات هن فقط اللاتي وصلن الى نموهن الكامل بعد حمل أو اثنين كما أن النساء اللاتي لم يلدن لسن متزنات توازنا كاملا كالوالدات فضلا عن أنهن يصبحن أكثر عصبية منهن » .

ومن العلماء الغربيين الذين كان لهم أثر في بيان الفروق البيولوجية الاساسية بين الرجل والمرأة (بار) وهو أول مكتشف للخاصية التي تتلخص في أن خلية الانثى تحتوي في طرف منها على جسم كروي صغير لا يوجد في خلية الرجل . ثم بدأ بعد ذلك في كل الخلايا في الدم والكبد والقلب والامعاء وباقي الانسجة فثبتت

الحقيقة وهي : أن كل خلايا الانثى تتميز عن خلايا الذكر بهذا الجسم الكروي وأضيفت صفة اخرى للانوثة غير الصفات العضوية والوظيفية المدونة .

وكان علماء الوراثة قبل ذلك قد كشفوا عن وجود كروموزمين للجنس في كل الخلايا المذكرة والمؤنثة تحتوي خلية الذكر على كروموزم × وآخر Y بينما تحتوي خلية المرأة على زوج من كروموزم × وتصبح علاقة الذكر YX وعلاقة الانثى × × ويقول بار : ان الجسم الكروي الذي اكتشفه هو أحد الكروموزمين الموجودين في الخلايا الانثوية ـ ولقد أكد ذلك ان الذكور الذين يعانون من تشويه خلقي وراثي يحملون كروموزمينات جنسية أكثر من المعدل كأن يحمل أحدهم YXX أو YXXX .

ولقد اثبت علم الاحياء أن المرأة تختلف عن الرجل في الصورة والسمت والاعضاء الخارجية وفي ذرات الجسم والجواهر الهيولينية (البروتينية) لخلاياه النسيجية فمن لدن حصول التكوين الجنسي في الجنين يرتقي التركيب الجسدي في الصنفين في صورة مختلفة ـ فهيكل المرأة ونظام جسمها يركب كله تركيبا تستعد به لولادة الولد وتربيته ـ ومن التكوين البدائي في الرحم الى سن البلوغ ينمو جسم المرأة وينشأ ليكمل ذلك الاستعداد فيها . وهذا هو الذي يحدد لها طريقها في أيامها المستقبلة .

الوزن والعظم :

أثبتت الدراسات العالمية التي اتجهت الى بحث هذه الفروق بين الرجل والمرأة في هذه الناحية : أن الرجل أثقل وزنا وأطول قامة ـ وهذا راجع الى الكثافة النوعية لعظام الرجل حيث يوجد نوعان من العظام منها العظام المحبوكة أو المكتنزة والعظام الاسفنجية وتمتاز العظام الاولى بصلابتها وشدة تماسكها في حين تفتقر الاخيرة الى شدة التماسك والصلابة وذلك لقلة الكالسيوم فيها أو لسوء التوزيع الترسيبي لمكونات العظام ـ وتمتاز عظام الرجل الطويلة بأنها من النوع الاول في حين نجد أن النوع الثاني ينتشر عند المرأة أكثر منه عند الرجل وذلك نتيجة لعوامل طبيعية وفسيولوجية .

وعظام الرجل قوية ومتماسكة نتيجة لكثرة أليافها وقوة شدها كما أنها تمتاز بالبروز عند نهاياتها وكمية النسيج العضلي عموما عند الرجل اكبر منه عند المرأة اذ تبلغ نسبته ٤١٪ من فروق جسمه في حين تبلغ عند المرأة ٣٥٪ فقط .

ونتيجة لطول عظام الاطراف عند الرجل وقصره عند المرأة فأننا نجد أن مركز الثقل عند المرأة يعد أكثر انخفاضا ـ وهذا له تأثير في الحركة من حيث القوة ـ كما أن عمودها الفقري أكثر انحناء من الرجل وهذا يؤدي الى ظهور الشيخوخة مبكرة عندها .

وفي منطقة الحوض نجد أن الله وهب المرأة حوضا يمتاز باتساعه وضعف

أربطته فحرقفتاه متعرجتان الى الخارج كثيرا ومنطقة التحامهما متسعة وذلك لتيسير العملية البيولوجية التي اختصت المرأة بها دون الرجل في حين نجد أن حوض الرجل تزداد استطالته ويقل اتساعه وتزداد شدة الربط في العضلات حوله .

وبالنسبة للصدر نجد أن صدر المرأة أضيق منه عند الرجل بكثير ـ وعظام البدن والاكتاف تكون عندها أضعف وشكلها ليس مستقيما تماما ـ أما عضلات ذراعيها فهي أضعف بكثير منها عند الرجل . وجسم المرأة له قابلية اكثر لتخزين الشحم اذ أن كل جسمها قابل لتجميع الدهون على صورة شحم في حين انه يتجمع في مناطق معينة عند الرجل في البطن والردفين ـ وتبلغ نسبة الشحم عند الرجل ١٨٪ من وزنه وعند المرأة ٢٨٪ ويمكننا أن نلاحظ العلاقة بين النسيج العضلي والنسيج الدهني ـ ومن هنا نجد أن عضلات المرأة تقل في القوة عن عضلات الرجل بمقدار ٢٥٪ كما ان الرجل بمقدوره زيادة قوة عضلاته بممارسة الالعاب الرياضية بنسبة ٨٪ في حين أن المرأة لا يمكنها ذلك الا بمقدار ٤٪ فقط كما أن متوسط حجم المخ للرجال اكبر بقليل من متوسط حجم مخ النساء .

والفتيات في الغالب اقل في القوة البدنية عن الصبيان وأعصابهن اكثر تأثرا واسرع توترا من البنين ـ ولذا فأنهن أكثر تعرضا للتعب والاجهاد العصبي ـ وربما فسر هذا باستنفاد جزء غير قليل من الكلسيوم المختلط بالدم .. وهن أقل كفاية لقلة الهيموجلوبين به مما يجعلهن اكثر تعرضا للانيميا بعد البلوغ وعند بلوغ سن الخامسة نجد أن معظم الاطفال يكونون على وعي بكثير من أنواع السلوك مع جنسهم ـ ولو أنك عرضت عليهم سلسلة من الصور التي تعرض أشياء أو أوجه نشاط تتفق مع اللعب التي تتناسب مع الاولاد واللعب التي تتناسب مع البنات لوجدنا أن الغالبية العظمى في سن ٣ ـ ٥ يصرحون بأنهم يفضلون الاشياء التي تتناسب مع جنسهم ويزداد ذلك خلال سنوات ما قبل المدرسة فالفتيات يفضلن اللعب بالعرائس وأدوات المطبخ والفتيان يفضلون اللعب بالمسدسات وهكذا يتجه كل جنس الى اعداد نفسه اعدادا يؤهله لاداء وظيفته في مستقبل أيامه .

وفي فترة المراهقة يتصف النمو الجسمي بالزيادة السريعة المفاجئة ويزيد معدل السرعة في بدء المرحلة عنه في نهايتها ويتأخر الذكور عن الاناث بعامين تقريبا بالنسبة لبداية هذه التغيرات ، والاناث عادة أطول وأكبر وزنا من الذكور والقوى البدنية تتضاعف في الذكور فيما بين سن ١٢ ـ ١٥ والاناث لا يبلغن هذه النسبة ويزداد وزن البنت قليلا عند بداية المراهقة أو نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة حيث تزن في المتوسط ٨٨,٥ رطلا بينما يقل الولد العادي عن ذلك ثلاثة أرطال تقريبا ـ ويكون رأس الولد عادة أكبر حجما من رأس البنت في جميع مراحل النمو تقريبا .

فالنمو الجسمي أسرع في البنات ولذلك فان الانثى تشعر بحاجتها الى اهتمام الذكر قبل أن يشعر الذكر بحاجته الى اهتمام الانثى . والبنات في السنوات الاولى

من المراهقة يبدأن في التكوين بسرعة تفوق سرعة تكوين الذكور فتصبح البنت أطول من زميلها في نفس السن ويتعرض جسمها لتغيرات أوضح ، ويبرز صدرها وتستدير أردافها .
وتبلغ البنات قبل البنين ـ وبعد البلوغ تقل كمية الهيموجلوبين التي بالدم عند البنات ولذلك فأنهن يصبحن عرضة للتعب وتقل قدرتهن على مواصلة العمل ـ وينتج عن ذلك سهولة تعرضهن للانيميا ، والنساء أطول عمرا من الرجال وأقوى على المحافظة على الحياة وأقدر على مقاومة الكثير من الامراض المعدية ، والذكور أقل تعرضا من الاناث للتقلبات التي تعتري توازن البيئة العضوية الداخلية أي أنهم أكثر ثباتا كما في درجة الحرارة واتزان عمليتي الهدم والبناء ومستوى السكر في الدم وغير ذلك .

الفروق الفسيولوجية :

ومن الناحية الوظيفية أو الفسيولوجية فأن أعضاء الجسم تتخذ شكلا يتناسب والاختلافات التشريحية فنجد أن كبد الرجل ودمه يحتويان على كمية أكبر من الحديد والذي يتحد مع المادة البروتينية ليكون اليحمور الذي اختص بنقل الاوكسجين المستخدم في الاحتراق وانتاج الطاقة التي تستخدم في الحركة والتفكير كما نجد أن دم الرجل المدفوع من القلب الى الجسم كل دقيقة يبلغ ٣٢ لترا في حين أنه عند المرأة ٢٥ لترا فقط ـ وتبلغ نسبة اليحمور الموجود في دم الرجل ٨٨٠ جراما وعند المرأة ٦٦٤ جراما ـ وتبلغ نسبة الاوكسجين المستخدمة في كل دقيقة ٢٥٠ ملليمترا في حين تبلغ عند المرأة ٢٠٠ ملليمترا أو أقل نتيجة لحجم العمل وتقل كفاءة دمها في نقل الاوكسجين ـ وفي ذلك يقول فيروسيه في دائرة معارفه : « انه نتيجة لضعف دم المرأة ونمو مجموعها العصبي نرى مزاجها العصبي أكثر تهيجا من مزاج الرجل وتركيبها اقل مقاومة لأن تأديتها لوظائف الحمل والامومة والرضاع يسبب لها أمراضا قليلة أو كثيرة الخطر » .
أما مقدار ما يفقده الرجل من الحديد يوميا في عمليات الامتصاص والاخراج فيبلغ ٦٪ ملليجرام بينما تبلغ نسبة مقدار فقدان المرأة ١ ، ٢ ملليجرام يوميا أثناء العادة الشهرية ونتيجة لقابلية جسم المرأة لتجميع الشحوم نجدها اقل حيوية واكثر عرضة لتصلب الشرايين والجلطة التاجية . كما ان العمليات الطبيعية كالعادة الشهرية والحمل والوضع والارضاع نجد أن لها تأثيرا عضويا وذلك لفقدها كميات كبيرة من المواد الغذائية الضرورية اثناء هذه الحالات وهذا يؤدي الى ضعفها وضعف نشاطها يقول الدكتور درفاريني في دائرة المعارف الكبيرة (ان المجموع العضلي عند المرأة اقل منه كمالا عند الرجل وأضعف منه بمقدار الثلث والقلب عند المرأة أصغر وأخف بمقدار ٢٠ جراما في المتوسط فالرجل أكثر ذكاء وادراكا والمرأة أكثر انفعالا وتهيجا) كما يقول نيكوليه ديبلين في دائرة المعارف

الكبيرة « ان الحواس الخمس عند المرأة أضعف منها عند الرجل » .

ومن المعروف فسيولوجيا أن هناك فرقا بين الاحبال الصوتية للمرأة فهي قصيرة ورقيقة أما في الرجل فهي طويلة وغليظة .

وقد لاحظ أطباء القلب في ضيق الصمام الميترالي أنه يوجد بنسبة أعلى قليلا في النساء عنه في الرجال وأن أمراض القلب الناتجة عن نشاط زائد في الغدة الدرقية تكون نسبة اصابة النساء فيها ثلاثة أضعاف اصابة الرجل وذلك لان مرض الغدة الدرقية التسممي أكثر حدوثا للنساء لماذا ؟ قال الاطباء قد يكون للتغيرات الشهرية وتأثير الحمل والولادة والرضاعة أثر في ذلك .

الفروق السيكلوجية :

ومن الناحية النفسية أو السيكلوجية نجد أن العاطفة عند المرأة قد بلغت حدا ميز تصرفاتها وشعورها عن نظيرتها عند الرجل وهذه هبة من الله الذي قدر كل شيء فأحسن تقديره اذ أن الوظيفة الرئيسية للمرأة هي تربية الاطفال وتنشئة الاجيال وهذا يتطلب كثيرا من العطف والحنان يعجز الرجل عن توفيرها لابنه ـ ونتيجة لعاطفتها القوية نجدها أكثر حساسية وأكثر تأثرا بالظواهر الطبيعية فلا تستطيع كظم غيظها عند حدوث مكروه ولا تستطيع التحكم في سرورها عند الفرح .

كما أن نفسية المرأة أضعف بكثير منها عند الرجل حيث أنها لا تستطيع حفظ الاسرار لحظة حتى قالوا فيها : اذا أردت افشاء سرك فبلغه للمرأة وقالوا : المرأة التي تحفظ السر ليست امرأة ولذلك سميت الجنس اللطيف .

وقد سأل الباحثون النفسيون أنفسهم سؤالا : كيف يختلف الرجال عن النساء في استجابتهم للاحباط وكانت الاجابة : هناك من الشواهد النفسية ما يبين أن النساء على الاقل كما يصفن أنفسهن في اختبارات الشخصية أكثر حساسية وأكثر انفعالية ويسهل تأثرهن وانخراطهن في البكاء اذا قورن بالرجال ـ ولقد اتضح ان النساء يبدين على هذه الاختبارات مخاوف أكثر من الرجال وأنهن يحصلن على درجات في القلق أعلى منهم .

ولقد اتضح لفيشر في بحوثه التي أجراها عام ١٩٦٨ : ان الاناث بصفة عامة يحكمن على الوقائع المضايقة بأنها مضايقة بدرجة أكبر من الذكور وفي الوقت نفسه قدر الاناث الوقائع السارة باعتبارها ممتعة بدرجة أكبر من الرجال ، وخلاصة بحثه أن الخبرة المحبطة تثير النساء بدرجة اكبر من الرجال ويفرحن بالسار منها بدرجة أكبر .

والمرأة بوجه عام يجذب انتباهها حادثة ما أكثر من فكرة ما على عكس الرجال الذين يهتمون بعلاقات الاشياء بعضها ببعض أكثر من اهتمامهم بالاشياء ذاتها ـ واتجاه العقلية النسائية نحو الماديات والمحسات أكثر من المعنويات . يقول

الاستاذ العقاد : ان المرأة لها تكوين عاطفي خاص لا يشبه تكوين الرجل لان ملازمة الطفل الوليد لأمه تستدعي شيئا كثيرا من التناسب بين مزاجها ومزاجه وبين فهمها وفهمه وبين مدارج حسها وعطفها ومدارج حسه وعطفه وذلك اصول اللب الانثوي الذي جعل المرأة سريعة الانقياد للحس والاستجابة للعاطفة فيصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكم العقل وتقليب الرأي وصلابة العزيمة . ويقول بيرت : « انفعالات الرجال أعمق وأطول أثرا من انفعالات النساء ولكنها اقل ظهورا بعكس النساء اللاتي تظهر عليهن الانفعالات الحادة الفجائية من غير كظم أو اخفاء ـ وسرعة تأثر النساء بالانفعالات تجعلهن أكثر تأثرا بالانفعالات والوجدانات كما أنهن أكبر اكتراثا للمدح والثناء أو التوبيخ ، والبنت تستمع للنصح من الرؤساء أو المعلمين وتتقبله من غير معارضة والصبي يعارض ويناقش ويحاور قبل أن يسلم ويخضع ـ والبنت تميل الى الاقتناع بسرعة بأشياء لا يقبلها الصبي الا بعد المناقشة » .

وقد قام بيرت بدراسة على المجرمين وقسم اجرامهم الى اقسام على اساس الدوافع الغرزية وقال : « ان جرائم الصبيان هي التشاجر والقسوة على الحيوانات والتشرد أما البنات فأن جرائمهن هي الامور الجنسية والكذب ومحاولة الانتحار » .

ومما هو جدير بالذكر ان المؤلفة السيدة جان موريس كانت رجلا وكان اسمها حبيس تزوجت وأنجبت كرجل ثم تحولت الى أنثى وأخذت تروي مشاعرها بلا خجل ـ وقد تعرض الكتاب لهجوم من نساء بريطانيا لانها انحازت في كيانها الى الرأي القائل بأن المرأة أضعف من الرجل واعادت تأكيد الشعار الذي تكرهه زعيمات النساء (ان قوة المرأة تكمن في ضعفها وامتيازها يكمن في نقصها) .

فروق عقلية :

وتثبت الدراسات أن هناك فروقا في النواحي العقلية بين الرجل والمرأة يقول الدكتور جابر عبد الحميد رئيس قسم علم النفس في جامعة قطر في كتابه الذكاء ومقاييسه (لوحظ على الدوام أن الذكور يمتازون في نواحي القدرة الميكانيكية كذلك يتفوقون على الاناث في الاختبارات العددية التي تتطلب الاستدلال وتتفوق البنات في اختبارات الدقة والخفة في استخدام الاصابع مع الادراك الكافي للتفاصيل كما يتفوقن في القدرة على القيام بأعمال السكرتارية .

والصبي في تفكيره أكثر ابتكارا واستقلالا في الرأي وأكثر انتباها وحذرا من الاخطاء المنطقية التي تتخلل المناقشة وهو يقدر على ادراك ما بين الاشياء من تشابه ـ وعلى اكتشاف العلاقة التي بين الحقائق أو الظواهر وهو أدق في ذلك من البنت ولكن البنت أكثر منه صبرا وأكثر أناة في جمع الحقائق وتبويبها وتصنيفها .

وقد أجرت احدى اللجان الانجليزية عام ١٩٢٢ احصاء في امتحانات جامعة

كمبردج وقارنت نتائج البنين بالبنات ـ فوجدت أن الصبيان تفوقوا في الرياضيات وفي الكيمياء والطبيعة واللغة اللاتينية وقليلا في الجغرافيا الطبيعية أما البنات فقد أظهرن تفوقا في الادب الانجليزي والانشاء والتاريخ والجغرافيا واللغة الفرنسية وفي رسم النماذج وتصميم الزخارف وأجريت احصائيات اخرى كانت نتائجها مثل ذلك .

كما أن الاجراءات التي أجراها بيرت وترومان أظهرت فروقا هامة بين الجنسين في النواحي العقلية التي أعطيت لكل من الجنسين تفوق الصبيان في الاختبارات التي تتطلب تعريف شيء ما أو ادراك التشابه بين الاشياء او التعليل الحسابي ـ وتفوقت البنات في الاختبارات التي بها مفردات لغوية او التي تتطلب اصدار حكم على القيم الجمالية المختلفة . فالبنون يهتمون بالافكار والاراء اكثر من الاهتمام بالاشخاص الذين صدرت عنهم هذه الافكار على عكس الفتيات وهم أكثر تقيدا بالاستنتاج المنطقي وخطواته أثناء تفكيرهم من البنات اللاتي كثيرا ما يهملن بعض خطوات التفكير ويصلن بذلك الى نتيجة خاطئة من جراء التسرع . أما الحفظ فيلوح لنا أن البنات يفقن البنين ولكن قد يفوقهن الصبيان في القدرة على تركيز الانتباه وحصره في موضوع معين .

يقول الدكتور فؤاد البهي السيد استاذ علم النفس بتربية عين شمس في كتابه الذكاء : « تواترت نتائج الابحاث العلمية النفسية في هذا الميدان على تأكيدات زيادة النمو العقلي عند الاناث منه عند الذكور حتى المراهقة ثم يزداد نمو الذكور عن الاناث خلال فترة المراهقة ثم تتقارب المستويات العقلية بعد ذلك عند الجنسين وبخاصة في النواحي العامة التي تدل على الذكاء ـ ويختلف المدى القائم في الفروق العقلية تبعا لاختلاف الجنس فيزداد عند الذكور ويقل عند الاناث أي أن الفروق العقلية عند الذكور أوسع وأكبر منها عند الاناث ولذا تزداد نسبة العباقرة وضعاف العقول عند الذكور عنها عند الاناث .

وقد تحقق من تطبيق مقياس برنووميتر على عينات من الجنسين أن الرجال أكثر ثباتا من النساء وأكثر اعتمادا على أنفسهم واقل انطواء وأكثر سيطرة وأكبر ثقة في أنفسهم من النساء .

ومن أبحاث ترمان ومليزلز (أظهر الذكور اهتماما متميزا بالمخاطرة وبالمهن التي تتطلب مجهودا بدنيا خارج المنزل بالادوات والآلات وبالعلوم وبالظواهر الطبيعية والمخترعات والتجارة ، ومن ناحية اخرى وجد ان النساء يهتممن بالمسائل المنزلية وبالموضوعات والمهن التي يدخل فيها التذوق الجمالي وقد فضلن مهنا واعمالا تتطلب مجهودا اقل داخل المنزل ومهنا تتصل برعاية الاطفال والصغار والضعاف والتعساء ومساعدتهم ـ وقد اظهر الذكور بطريقة مباشرة او غير مباشرة تفوقا في الثقة بالذات والعدوان وتعبيرا عن عدم الخوف وخشونة في اللغة والعواطف اما النساء فقد أظهرن تميزا في المشاركة الوجدانية والحساسية الجمالية والانفعالية والتأنق .

المرأة في الاسلام :

خلق الله آدم ليكون خليفة له في الارض يقوم بعمارتها وإحقاق الحق فيها (**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة**) البقرة ٣٠ ، وخلق حواء من آدم لتكون عونا له في هذه الحياة . يسكن اليها ، ويطمئن قلبه بها ، فالمرأة لذلك جزء من الرجل تكمله ويكملها ، ولكن مهمة كل واحد منهما تختلف عن مهمة الآخر والا لما كان هناك ضرورة لخلق نوعين من جنس واحد .

والعلاقة بين الرجل والمرأة تقوم على أساس عنصرين هامين في الحياة هما المودة والرحمة (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة**) الروم ٢١ وهذان المعنيان تتعلق بهما جميع المعاني الاخرى من حب وانسجام .. ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالمودة والرحمة وسمى نفسه الودود الرحيم ـ وحين تقوم العلاقة بين الرجل والمرأة على المودة والرحمة فأن ذلك يؤدي الى الاستقرار الذي يؤدي الى السعادة التي ترفرف على الرجل والمرأة وعلى الاسرة كلها وبالتالي على المجتمع الاسلامي كله ـ وهذه العلاقة تقوم على العقل والعاطفة . وامتزاج العقل بالعاطفة يضع الامور في نصابها ـ وبذلك يمكن التغلب على كل اختلاف أو تنافر أو خصام قد يحصل بين الزوجين .

ولقد حذر الله آدم وحواء من ابليس بقوله : (**فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**) طه ١١٧ وبهذه الاية حدد الله سبحانه وتعالى مهمة الشقاء والعمل والكد والكسب وجعلها للرجل وحده ، ولو أنه أراد الشقاء للمرأة أيضا لقال : **فتشقيا** بدلا من **فتشقى** ـ كما بين الله سبحانه وتعالى اختلاف وظيفة المرأة عن وظيفة الرجل وذلك في قوله تعالى : (**والليل اذا يغشى . والنهار اذا تجلى . وما خلق الذكر والانثى . ان سعيكم لشتى**) الليل/١ ـ٤ فسعي المرأة مختلف عن سعي الرجل ومهمة المرأة أن يسكن اليها الرجل فتخفف من آلامه ، وتهون عليه متاعبه ، وتقوم بكل ما يلزمه من متطلبات الحياة ، ثم هي بعد ذلك مصدر المودة والرحمة التي يحتاج اليها الانسان . فمن يرجع الى بيته يجد مصدرا من مصادر الحنان والعطف والرقة . وهي زوجه فاذا ما وجد ذلك استطاع أن ينفض عن نفسه كل أعباء الجهاد الذي كان يمارسه في الحياة . فالراحة التي فقدها في الخارج وهو متحفظ في ملابسه وفي مشيته وفي كلامه سيجد مكانها في بيته الراحة والسكن والاطمئنان .

ولقد كانت السيدة خديجة رضي الله عنها خير سند للرسول صلوات الله عليه منذ رسالته وحتى وفاتها ـ ومن هنا كان حزنه الشديد عليها طوال حياته حتى لقد غارت منها السيدة عائشة مع أنها كانت ميتة . ومن الامثلة الرائعة التي يحدثنا عنها التاريخ موقف أم سلمة زوج النبي الكريم وذلك حين اشتاق النبي وصحبه الى

مكة فلما ذهبوا ليعتمروا وكانوا على بعد عشرين كيلو من مكة وقف الكفار ليصدوهم عن الذهاب الى البيت وحدثت مفاوضات كان من نتيجتها ان عقد النبي صلوات الله وسلامه عليه معهم معاهدة تنص على أن يرجع هذه السنة بدون دخول مكة حتى لا تقول قريش : ان المسلمين دخلوا مكة عنوة وقهرا عنها ـ فيكون على المسلمين العودة هذا العام على أن تسمح لهم قريش في العام المقبل بالدخول الى بيتها بأمرها ـ واقتنع الرسول الكريم وكتب العهد ، ولكن المسلمين حزنوا وقالوا : يا رسول الله كيف نقبل الدنية على نفوسنا لابد وأن ندخل فكان النبي يقول لهم : أنا رسول الله لن أخالف أمره ولن يضيعني . ولكن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا غاضبين وبخاصة وأن من بنود الاتفاق أن من أسلم من الكفار وذهب الى محمد فعلى محمد أن يرجعه الى الكفار ومن كفر من المسلمين فليس عليهم أن يردوه ... فلما فرغ النبي الكريم من قصة الكتاب قال لهم : قوموا فانحروا ثم احلقوا (وذلك ليتحللوا من عمرتهم ويعودوا الى المدينة) فلم يقم منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من المسلمين فقالت أم سلمة : يا رسول الله انهم جاءوا يريدون دخول المسجد الحرام مقصرين ثم منعوا وهم على بعد قليل منه فهم مطرودون ولكن اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا حتى فعل ذلك ـ فلما رأى المسلمون ما صنع النبي زال عنهم الذهول وأحسوا خطر المعصية لأمر النبي صلى الله عليه وسلم فقاموا عجلين ينحرون هديهم ويحلق بعضهم بعضا حتى كاد يقتل بعضهم بعضا من الغم .

ثم ان هناك مهمة أخرى للمرأة لها أهميتها في استمرار الجنس البشري وهي انجاب الاطفال وتربيتهم التربية الكاملة التي يحتاج اليها الطفل ذلك أن المرأة تتميز بالامومة أي الانتاج البشري وتربيته ويتجلى ذلك في قوله تعالى : **(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة)** النحل/ ٧٢ ..

مواطن الاشتراك :

ولما كان الرجل والمرأة من جنس واحد فأنهما يشتركان في أشياء هي التي يشترك فيها الجنس الواحد ، فهما يشتركان في طبيعة التكوين للرجل والمرأة ، يقول الله تعالى : **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)** النساء/ ١ كما أنهما يشتركان في الكرامة الانسانية التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها : **(ولقد كرمنا بني آدم)** الاسراء/ ٧٠ وهو في ذلك يدخل الرجل والمرأة على السواء .

كما أنهما يشتركان في حرية الاعتقاد فكل من الرجل والمرأة حر في أن يعتقد ما يريد وكل منهما محاسب على ما يعتقد ـ وليس هناك قهر أو اجبار ـ والقرآن الكريم

يحدثنا عن بعض أنبياء الله الذين كانت زوجاتهم كافرات بالله كنوح ولوط عليهما السلام يقول الله تعالى : (**ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين**) التحريم/ ١٠ وقد أباح الاسلام أن يتزوج المسلم من كتابية - يهودية أو نصرانية - بدون أن يجبرها على دينه .

والرجل والمرأة يشتركان في الثواب والعقاب وكل ما يترتب على الايمان من عمل فهي كالرجل في حسابها على ما تقوم به من عمل صالح أو غير صالح - ولقد أفاضت الايات الكريمة في ذلك ، يقول الله تعالى : (**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**) الاحزاب/ ٣٥ كما يقول تعالى : (**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**) النحل/ ٩٧ ويقول الله تعالى في آية اخرى : (**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب**) آل عمران/ ١٩٥ .

وللمرأة مثل ما للرجل في الحقوق المدنية كالبيع والشراء والملكية والهبة والاجارة ، ولها أن تتصرف في ملكها بأي تصرف وليس عليها وصي قبل الزواج أو بعده - وهذه الناحية لم تحصل عليها بعض النساء في أرقي المجتمعات الغربية حتى الآن فهي قبل الزواج تحت وصاية الاب أو الاخ وهي بعد الزواج تحت وصاية الزوج - والنظام المالي في فرنسا يجعل المرأة تابعة لزوجها فالزوج هو الذي يدير الاموال المشتركة وله حق التصرف بالبيع أو الرهن أو غير ذلك دون اذن من الزوجة - والزوجة لا تملك أن تبرم أي عقد بشأن هذه الاموال الا بموافقة الزوج يقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب (ان حقوق الزوجة المسلمة أفضل بكثير من حقوق الزوجة الاوروبية ، ان الزوجة المسلمة تتمتع بأموالها الخاصة فضلا عن مهرها وعن أنه لا يطلب منها أن تشترك في الانفاق على أمور المنزل -وهي اذا أصبحت طالقا أخذت النفقة واذا تأيمت أخذت نفقة سنة ونالت حصة من تركة زوجها) .

وللمرأة في الاسلام حق التعلم وفي ذلك يقول الرسول الكريم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه البيهقي وقد طلب النساء من النبي صلوات الله وسلامه عليه أن يجعل لهن يوما يعلمهن فيه ويعظهن فحدد لهن يوما .

وللمرأة الحرية الكاملة في اختيار الزوج فهي كالرجل يباح لها في اثناء الخطبة ان تنظر اليه وتستمع لحديثه بمقدار ما يعطيها انطباعا بأنه مقبول لديها وذلك في

حدود ما شرع الله وعند عقد الزواج يؤخذ رأيها وتسأل عنه ورأيها ضروري لاتمام عقد الزواج وفي ذلك يقول الرسول الكريم (الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأمر (تستأذن) واذنها سكوتها - ولو أن أباها زوجها بدون علمها أو رغما عنها فلها الحق في أن تفسخ هذا العقد .

فالمنهج الاسلامي يتبع الفطرة في تقسيم الوظائف وتقسيم الانصبة بين الرجال والنساء .. والفطرة جعلت الرجل رجلا والمرأة امرأة وأودعت كلا منهما الخصائص المميزة له - وجعلت لكل منهما وظائف معينة لحساب الانسانية .. وتصوير الموقف كما لو كان معركة حادة بين الرجل والمرأة فيه تجن على الحقيقة وهو ضد مصلحة المجتمع الاسلامي ، بل والمجتمع الانساني كله فالمسألة هي توزيع اختصاصات وتنويع وتكامل وعدل بعد ذلك في المنهج الاسلامي لان الذي شرعه هو خالق الذكر والانثى وهو أدرى بكل منهما بما يصلحه وما يصلح له .

والاسلام كرم المرأة فجعل لها الحق في النفقة والسكنى والا تكلف بعمل خارج المنزل فان حرفتها الامومة وصناعة الانسان - وهي أشرف صناعة وأهمها في هذه الحياة .

يقول **الشيخ شعراوي** في ذلك : والاسلام لا يمنع المرأة من العمل ولكنه يضعه في حدود الضرورة وقد بين القرآن الكريم أمثال هذه الضرورة في قصة ابنتي شعيب اذ أن أباهما كان شيخا لا يقوى على السعي - وليس لهما اخوة من الذكور - ثم هما تلزمان حدودهما فلا تزاحمان بل تنتظران حتى يصدر الرعاء وهي بذلك لا تنسى نوعها ولا تزاحم كما يزاحم الرجال - وبالتالي فقد ظهر في هذه القصة مهمة المجتمع بالنسبة للمرأة في اعانة موسى لهما على السقي ومن هنا يتضح لنا ان تنظيم الاسلام للاسرة قائم على الفطرة التي لا تتغير الا بالانحراف وهو يجاري الفطرة في تخصص المرأة لوظيفتها .. وحين يخصص الاسلام المرأة للاسرة فأنما يخصصها لرعاية الانتاج البشري وهو خير ما في الوجود ويعهد اليها بصيانة قدس من أقداس الاسلام - والمجتمع الاسلامي المحض الذي يتربى فيه الطفل ويتشرب اخلاق الاسلام وعقيدته وشريعته ، ويقوم بواجب خلافة الله في الارض - ولذلك يجب الا نشغل اعصابها بأعالة نفسها وهي تقوم بهذه المهمة المقدسة ، ولا نفسد أعصابها بالعمل الذي تشارك فيه الرجل ثم بتوالي الايام تتحول الى جنس ثالث يعذب ويشقى .

ومن هنا فأن الاسلام لم يكتب على المرأة الجهاد لأنها تلد الرجال الذين يحاربون - وهي في هذا الميدان اقدر وانفع ، أقدر لأن كل خلية في جسمها معدة لهذا العمل ، وأنفع بالنظر الى مصلحة الامة على المدى الطويل فالمعركة حين تحصد الرجال وتستبقي النساء تدع للامة مراكز انتاج الذرية فتعوض الفراغ - ورجل واحد في النظام الاسلامي يمكن ان يجعل نساء أربعا ينتجن ويملآن الفراغ الذي تتركه الحروب بعد فترة من الامان ... فالمرأة هي المكان الطبيعي الذي يسكن اليه الرجل هي تكمله وهو يكملها - والتفوق الطبيعي في استعداد الرجل

ونهوضه بأعباء المجتمع وتكاليف الحياة البيتية يمكنه من القوامة على المرأة) .

والاسلام حين منح المرأة هذه الحقوق منحها لها دون طلب ودون ثورة ودون جمعيات نسائية لأن الذي اعطى لها هذه الحقوق هو الذي خلقها وخلق الرجل وهو أدرى بأمكانات كل ، ومن هنا فقد جعل الاسلام الرجل رجلا والمرأة امرأة وأودع كلا منهما خصائصه المميزة له ـ وجعل لكل منهما وظائفه المحدودة ـ وكل واحد منهما مكمل للآخر تحت ظل من المودة والرحمة .. ومن هنا فلا يوجد خصام ولا شقاق ولا معركة حادة بين الرجل والمرأة ولا تحديات ولا يوجد رجل عدو للمرأة أو امرأة عدوة للرجل بل مودة ورحمة .

وحين يقول كارل ماركس : ان المرأة لا بد وأن تعمل لتعيش فهو يتكلم عن مجتمع بلا مثل ولا قيم ولا دين ... **يقول الشيخ شعراوي** (والمرأة حين عملت لم تخفف من شقاء الرجل وازدادت هي شقاء فهو لم يأخذ نصف عملها في الخارج ـ والتعلل بزيادة الدخل فيه مغالطة فليس المفروض ان يحدد الانسان المستوى الذي يعيش فيه وبعد ذلك يحمل الدخول عليه والمفروض ان يحدد مستواه على قدر دخله .. وهذا ما جعل الناس ينحرفون .. ولذلك فأن الاسلام لا يطلب من المرأة العمل ـ فأن احتاج اليها في عمل لا يصلح فيه غيرها فينبغي ان يكون العمل مخففا والاجر مضاعفا .

ولكن المرأة في المجتمعات الحديثة كلها تعمل كالرجل ـ وأجرها أقل وهذا العبء زيادة على الوضع الطبيعي للمرأة من حمل وولادة ورضاعة وشؤون منزل وقد اثر هذا على الابناء في تربيتهم .. ان نسبة العاملات في مصر ١٤٪ فقط ومع ذلك فقد ظهر مرض اسمه : مرض فقدان الحنان واصبح له كرسي في جامعة الاسكندرية فما الامراض التي تحدث عندما تبلغ نسبة العاملات ٥٠٪ مثلا .

يقول مسيو د . و . اسس : ان المرأة في الشرق تحترم بنبل وكرم وعلى العموم فلا أحد يستطيع ان يرفع يده عليها في الطريق ولا يجرؤ جندي أن يسيء الى أي من نساء الشعب حتى في اثناء الشغب وفي الشرق يشمل الرجل زوجته بعين الرعاية ويبلغ الاعتناء بالام درجة العبادة وفي الشرق لا نجد رجلا يقوم على الزام زوجته بالعمل ليستفيد من كسبها وفي الشرق يدفع الرجل مهرا الى زوجته) .

مواطن الاختلاف :

وتثار حول المرأة المسلمة شبهات لمحاولة ابعادها عن الاسلام والسير في طريق الغرب رغم ان الغرب يلاقي انواعا من المتاعب والمشكلات .

ومن ذلك **قيادة البيت** ...

ومن وجهة نظر الاسلام فأن قيادة البيت والانفاق على الاسرة عملية تنظيم ولا تسيء الى انسانية المرأة او تنتقص من حقوقها . ولذلك يجب ان ينظر اليها في اطار الاسرة ككل وكوحدة اجتماعية يقول الله تعالى : **(الرجال قوامون على النساء بما**

فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم) النساء/ ٣٤ .

وقيادة الرجل للاسرة قيادة رأي وتنفيذ لما تنتهي اليه الشورى في الاسرة وليست قيادة سيادة او استبداد وان كانت الاصوات العالية في الغرب وفي الشرق أحيانا تحاول ان تصور ذلك .. والسبب ان عنصر المودة والحب بين الزوجين قائم في الاحوال السوية الى درجة أن القرآن الكريم يصور هذه الصلة بقوله : **(هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)** البقرة/ ١٨٧ ... والله عز وجل قد اعد المرأة لدورها كما اعد الرجل لدوره فالمرأة مزودة بالرقة والعطف . وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة ، وهذه المطالب ليست سطحية بل غائرة في التكوين العضوي والعصبي والعقلي والنفسي للمرأة ـ ودور الرجل الخشونة والصلابة واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة وهو بطيء الانفعال وذلك لان وظائفه كلها تحتاج الى قدر من التروي واعمال الفكر ـ وهذه الخصائص تجعله اقدر على القوامة وافضل في مجالها .

ومن الشبهات التي تثار حول المرأة في الاسلام : ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « انهن ناقصات عقل ودين » ويجيب على هذا الشيخ شعراوي فيقول (العقل بمعنى الجهاز الذي يعقل وهو المخ بما فيه من مخيلات وحافظات وذاكرة موجود عند الرجل والمرأة والاسلام يستطيع بداية ان يتصرف في مدركاته تصرفا يعطي له مزيدا من المخ ... والعقل ايضا حصيلة تجارب وثقافة وهو العقل المكتسب ـ والمرأة مفروض عليها ان تعتزل المجتمع فخبرتها في هذه الناحية قليلة ولذلك كانت الآية الكريمة الآتية موضحة السبب **(واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى)** البقرة/ ٢٨٢ فالضلالة هنا ضلالة اختصاص ولذلك فان المرأة تقبل شهادتها في شؤون النساء بدون شهادة الرجال كالرضاعة والولادة ولو اقتحم الرجال ميادين النساء فلن يعرفوا فيها كسن الاطفال .. والمعاملات من ميادين الرجال فاذا اقتحمتها النساء فهنا الضلالة ـ فالمرأة حين ترى شيئا في الخارج فانها لن تتغلغل في المسألة فقد يكون هنا شيء أو كلمة تخدش الحياء فتصرف نظرها عنه .. أما الرجل فليس له هذا التحفظ فالشهادة من الاشياء التي تريد من الانسان ان يلتقط كل ما يمت للشيء بصلة ـ والمرأة نظرا لوضعها في انوثتها ونفسها ومجتمعها قد لا تتابع الشيء وهذا ليس نقصا فيها بل كمال في جهتها ليعينها في مهمتها في الحياة) .

ويقول **الدكتور محمد البهي** : المرأة المعاصرة التي تصر على طلب المساواة بالرجل مساواة حزفية تتغاضى عن اخص خصائص طبيعة المرأة وهي سرعة الاستجابة لمؤثرات خارجية . هي أكثر من الرجل انعطافا وانحناء على الاخرين واكثر تصديقا لاوضاعهم واقوالهم اذا ما بدت هذه الاوضاع والاقوال في صورة جدية فالمسافة الزمنية ضيقة عند المرأة بين غضبها وفرحها وانقباضها وانبساطها وادبارها واقبالها وتشددها وتلهفها ولو سوت شريعة الله بين الرجل والمرأة في

ذلك ـ رغم الفروق النوعية بينهما ـ لكانت المساواة على حساب العدل بين الناس ولما كان فيها مصلحة تعود على المرأة لانها عندئذ تكون ضد خصائصها) .
والمرأة تتعرض لمؤثرات ذاتية تستجيب لها على نحو معين من غير ان يكون لها ارادة في الاستجابة والوظائف العامة احوج ما تكون الى استقرار القاضي وعدم تعرضه لمؤثرات خارجية او ذاتية تخضعه حتما لاوضاع نفسية او بدنية قد تكون متناقضة .

الميراث :

ومن الشبهات التي اثيرت حول المرأة في الاسلام ان الاسلام لم يساوها في الميراث مع الرجل لقد كانت المرأة في الجاهلية مجرد متاع يورث ـ لا شأن لها ولا وزن ولا ترث كما يرث الرجل لأنها لا تشترك في الدفاع عن حمي القبيلة ـ وكثيرا ما كان العربي في الجاهلية يضيق بولادة الانثى ـ حتى ان بعضهم كان يسارع الى وأدها (**وإذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ام يدسه في التراب الاساء ما يحكمون)** النحل ٥٨ ، ٥٩ .
ولقد كانت المرأة في الجاهلية اذا تزوجت ثم مات عنها زوجها سارع أحد أبناء زوجها للزواج بها اذا اعجبته او يمنعها من الزواج حتى تفتدي نفسها بمبلغ من المال والى هذا يشير القرآن الكريم في قوله (**يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن)** النساء/ ١٩ ـ كما لا يسمح لها بالتصرف في مالها دون اذن من زوجها او وليها ..
ثم جاء الاسلام ورد اليها اعتبارها فساواها بالانسانية في الرجل : انما النساء شقائق الرجال) وحرم وأد البنات وحث على تعليمهن وأوجب على الرجل الانفاق على المرأة ولو كان لها مال خاص ـ وكذلك الانفاق على الاسرة ولذلك فأنه لم يسو بينهما في الميراث . لأن المرأة ليست مكلفة بشيء بالنسبة للاسرة فهي الكاسبة على هذا الوضع ـ وعدم التسوية بينهما يعتبر مؤشرا يرشدها الى طريق الاحتفاظ باعتبارها البشري وبخصائصها في الانوثة والامومة والزوجية أي بخصائصها كأنثى حتى لا تتحول الى رجل أو شبه رجل ـ ومساواتها بالرجل اقتصاديا واستقلالها يعرضها لأزمات نفسية فهو يضعف احساسها بالانوثة كما يضعف احساسها بالامومة ويجعل هناك تراخيا في العلاقات الزوجية .

الطلاق :

ومن الشبهات التي تثار حول الاسلام أنه أباح الطلاق فهو بذلك لا يحافظ على كيان الاسرة وأنه جعله في يد الرجل وفي هذا هضم لحقوق المرأة لعدم مساواتها

بالرجل .

والاسلام دين واقعي : فهو أولا قد أبعد عن الاسرة شبح الطلاق لانه مدمر لكيانها ولذلك جعله الله سبحانه وتعالى ابغض الحلال يقول الرسول الكريم : (أبغض الحلال عند الله الطلاق) وطلب من الرجل ان يصبر على زوجته حتى عند الكراهية يقول الله تعالى : **(وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)** النساء /١٩ .

وحين تتأزم العلاقة بين الزوجين فان الاسلام يطلب من الرجل سعة الصدر والتعقل ويلزمه باتباع أمور من شأنها ان تعيد للاسرة استقرارها ـ فالزوج عليه أولا أن يعظ زوجته وينصحها فان لم يفد فيمكنه ان يهجرها في المضجع فان لم يفد فيمكنه ان يضربها ضربا غير مبرح لكي تشعر المرأة التي تتصرف بعاطفتها مقدار ما يجره عليها تعنتها من ضرر على الاسرة ـ وحين لا يؤدي ذلك الى نتيجة يقوم حكم من أهله وحكم من أهلها بدراسة المشكلة من جميع نواحيها ولهما أن يقررا بعد ذلك دوام العشرة الزوجية او استحالتها يقول الله تعالى : **(فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما)** النساء/ ٣٥ .

وحتى الطلاق لم يجعله الاسلام نهائيا من أول طلقة واشترط ان يقع الطلاق في حالة طهر والا تخرج المرأة من بيت زوجها خلال العدة في الطلقتين الاولى والثانية فعسى ان تطمئن النفوس وتهدأ الاعصاب ويتذكر الزوجان ما بينهما من رباط مقدس فتعود المياه الى مجاريها كل هذا من اجل المحافظة على الوحدة الصغيرة للمجتمع فأن لم يجد ذلك كله فالطلقة الثالثة التي تمثل نهاية المطاف يقول الله تعالى **(الطلاق مرتان فأمساك بمعروف او تسريح بإحسان)** البقرة/ ٢٢٩ ومنع الطلاق نهائيا ناحية مثالية قد تصلح فكرا ولكنها لا تصلح تطبيقا في المجتمعات البشرية التي نعيش فيها ـ ولقد مكث الناس في الغرب وفي الشرق غير الاسلامي فترات طويلة ينفصلون فيها بدون طلاق ويمارس كل طرف حريته الجنسية عن غير طريق الزواج ـ كما راح جماعات من الناس يثبتون الزنا على انفسهم للحصول على الطلاق او يعمدون الى تغيير دينهم وعندما يتم الطلاق يعودون الى دينهم السابق ولما اصبح معروفا في المجتمعات البشرية انه لا بد من اباحة الطلاق اقرته المجتمعات الغربية بل توسعت فيه الى درجة هددت مجتمعاتها تهديدات مختلفة .

وقد نشرت مجلة التيكونوميست الانجليزية في عددها الصادر في ١٩/٥/١٩٧٨ (لقد انتهى رئيس قسم الاسرة بالمحكمة العليا من اقتراح قانون بسيط للطلاق مثل استراليا يسمح بأنهاء أي زواج بعد ان يكون الزوجان قد انفصلا لمدة عام واحد ـ والجمعية القانونية ربما تصدر نداءها للاصلاح في الشهر القادم .

حل واحد أوصت به لجنة فنية عام ١٩٧٢ بالنسبة للاسر هو تكوين محاكم الاسرة وبما ان هذه المحاكم تتكون من قضاة متخصصين في مشاكل الاسرة فسوف تصبح هذه المحاكم قادرة على علاج المشاكل المعقدة الناتجة عن الطلاق

مثل الوصاية وكفالة الابناء ... ولكن السويد خطت خطوة ابعد من ذلك فقد نقلت الطلاق من القاضي الى الزوجين معا فاذا ما اتفق الزوجان على الطلاق فانه يتم بينهما دون حاجة الى حكم القاضي ويكفي تسجيله في السجل المدني .. وهم يعتبرون ذلك خطوة على طريق الحضارة في تحرير المرأة الاوروبية لانه يتجنب تعقيد الاجراءات القضائية من جهة كما يتجنب الكشف عن اسرار الزوجية من جهة اخرى .

ولقد كان الطلاق حقا من حقوق الرجل لان المرأة تحكمها العاطفة ـ وحين مكنت المرأة من حق الطلاق في الغرب اصبح يحدث لاتفه الاسباب وفي امريكا تبلغ نسبة الطلاق ٤٨٪ وهناك اسباب عجيبة للطلاق مثل ان تطلب المرأة الطلاق لأن زوجها لا يحلق لحيته كل يوم او لانه لا يشركها في شؤونه .. ومع ذلك فلو اشترطت المرأة المسلمة ان تكون العصمة بيدها فان ذلك من حقها ثم ان لها الحق في ان تخلع نفسها وتخرج من العلاقة الزوجية **(فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به)** البقرة ٢٢٩ وقد فعلت امرأة ثابت بن قيس ذلك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

الاحتفاظ بالرجولة والانوثة :

الرجل له وظيفة والمرأة لها وظيفة ، وكل منهما متمم للآخر فلا يمكن الاستغناء عنهما . فاذا ما أراد اي نوع منهما ان يتشبه بالنوع الاخر فان ذلك لا يبيحه الاسلام لأن هذا النوع الذي يريد التشبه بالنوع الآخر لن يحتفظ بكيان نفسه ولن يلحق بالنوع الآخر ذلك لأن التوازن الاخلاقي في مجتمع ما شرط بمجموعة من العوامل المادية والادبية ـ والملبس احد هذه العوامل فالشخص الذي يلبس لباسا رياضيا يشعر بأن روحا رياضية تسري في جسده ولو كان ضعيف البنية والشاب الذي يلبس لباس الرجل العجوز يظهر اثر هذا اللباس على مشيته وفي تصرفاته ... ومن هنا كانت محافظة الاسلام على ان يظهر كل من الرجل والمرأة متميزا في لباسه . عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) البخاري وفي رواية : لعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء . وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل) البخاري وقد ذكر رسول الله عليه الصلاة والسلام : أن ممن لعنوا في الدنيا وأمنت الملائكة على لعنهم رجلا جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال ـ وقد رأى الرسول الكريم رجلا يلبس الحرير فقال : انما هذه لبسة من لا خلاق له) الشيخان وعن علي رضي الله عنه قال : نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التختم بالذهب وعن لباس القسي (نوع من الحرير) وعن لباس المعصفر .

خاتمة :

كرم الاسلام المرأة تكريما لا نظير له في فلسفة من الفلسفات او مجتمع من المجتمعات .. وقد كانت آخر كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فراش الموت (استوصوا بالنساء خيرا) وفي السنن عن معاذ بن جندة القشيري انه قال : يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا عليه ؟ قال : أن تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح) ويقول عمر بن الخطاب والله انا كنا في الجاهلية لا نعد النساء امراتى أنزل الله فيهن ما انزل وقسم لهن ما قسم .. ويقول الرسول الكريم : (اكمل المؤمنين ايمانا أحسنهن خلقا وخياركم خياركم لنسائهم ويقول استوصوا بالنساء خيرا فأنهن خلقن من ضلع أعوج ـ وان أعوج ما في الضلع اعلاه فأن أردت أن تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج) النسائي وهو بذلك يريد ان يتحمل الرجال تصرفات النساء ولقد كان عليه الصلاة والسلام قدوة في ذلك .

والمرأة اذا كانت اما فقد كرمها الاسلام تكريما رائعا ، يقول الله تعالى **(ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الى المصير)** لقمان/ ١٤ فقد طلب الاحسان بالوالدين ثم خص الام ثم طلب ان يكون الشكر لله وللوالدين ... وقد سأل احد الصحابة النبي الكريم : من أحق الناس بصحابتي ؟ قال : امك قال ثم من ؟ قال : امك قال ثم من ؟ قال : امك قال ثم من ؟ قال : أبوك فقد ذكر الام ثلاث مرات ثم ذكر الاب بعد ذلك لأن الأم قامت بنصيب كبير في الحمل والوضع والارضاع ثم ان الأم بطبيعتها أضعف من الاب وهي لذلك في حاجة الى الرعاية أكثر من الرجل .

ولذلك فانه من الخطأ ان يراد للمرأة أن تأخذ موقعا لم تهيأ له لأنهم أرادوا لها ان تتمرد على دينها في مجتمعنا الاسلامي تحت شعارات الحرية والمدنية والحضارة ـ وهي شعارات براقة تخفي وراءها ما تخفي من متاعب وتخلخل في المجتمع الاسلامي ـ وسيؤدي ذلك الى انها ستشغل بالخارج فتترك امر بيتها ـ واذا خرجت المرأة الى الشارع فانها ستخرج متبرجة فتلهب الغرائز وسيؤدي ذلك الى انحراف المجتمع .

والاسلام ينشد للمرأة ان تكون انسانا كريما يقوم على توفير الاعتبار البشري وهذا المستوى الانساني العالي يتبلور في الزام الرجل ابا او ابنا او اخا أو زوجا بالانفاق على البنت والأم والأخت والزوجة ـ ويعفي المرأة من السعي للكسب والعمل خارج البيت ـ وبذلك يحفظ عليها أنوثتها التي هي العامل الاول في لقاء الرجل بها وسعيه اليها ثم قيامها بالمشاركة البناءة في حياة زوجية تنشد السكن والاستقرار والمودة ثم حرصها على دور الامومة وعنايتها بالطفل في مرحلة طفولته المبكرة . وصدق الله العظيم اذ يقول **(الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** الملك/ ١٤ .

الأثرة والأنانية

للدكتور
فؤاد محمد محمود
العارضة

تعني الأثرة والأنانية أن يحب المرء نفسه حبا مفرطا ويختصها بأحسن الشيء دون غيره . والانسان أناني بطبعه وطبيعته ، ويدل على ذلك الطفل فهو أناني لا يقصر في أن يستأثر بالنفع وحده دون غيره من اخوته وأصحابه . وكلما كبر الطفل وتقدمت سنه وازداد وعيا ونضجا خفت حدة الاثرة والأنانية فيه وضعف صوتها في نفسه حتى اذا ما نضج تفكيره واتسع أفقه وبعد نظره وسمت نفسه ، خلع عنه رداء الأثرة والأنانية وارتدى لباس التضحية والايثار ونكران الذات .

وكذلك الانسان البدائي الجاهل تراه أنانيا لا يهمه الا نفسه ، ولا يعمل الا لمصلحته الشخصية ، ويدل على ذلك استفحال الأنانية والأثرة في المجتمعات الجاهلة المتخلفة التي يخيم عليها ظلام الأمية والجهالة وازدهار التضحية والايثار وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة في المجتمعات الواعية الراقية .

وذلك يعني أن الأثرة والأنانية تنمو في نفوس الجهلاء واللؤماء وتذبل وتجف في نفوس أولي الوعي والألباب والأخلاق الكريمة ، فكلما ازداد وعي المرء واستنار عقله وتعمق تفكيره قلت أثرته وأنانيته ، فالعاقل المبصر أكثر تضحية وايثارا من الجاهل الأعمى ، والطفل الغرير أشد أنانية من البالغ الكبير .

والبخيل الشحيح تطغى عليه الاثرة والأنانية ، كذلك الحيوان أناني بالطبيعة والغريزة . اذاً تطغى الاثرة والأنانية على الطفل الغرير والجاهل الأعمى والبخيل وبالتربية الدينية السماوية وبالتحلي بالثقافة البناءة والأخلاق الحميدة والقدوة الحسنة ، يتحرر المرء من عقدة الأثرة والأنانية ويسلك طريق التضحية والايثار .

والمتأمل المتفكر يدرك أنه يتولد عن

الاثـرة والأنانيـة مساويء ضـارة ورذائل وبيلة تسوق صاحبهـا الى شرور وجرائم كثيرة . والاستعمـار بمختلف أشكـالـه وصوره وألوانه من بنات الأنـانية وثمارها . فالدولة الاستعمارية تستأثر لنفسها وحدها بخيرات البلد الذي تحكمه وتستعمره وتحرم أهله منها .

وتلـد الاثرة والأنـانيـة الطمـع والجشع والحسد والغيـرة والشح والـغـدر والخيـانـة والاختـلاس والانتحال ووضع المصلحة الخاصة فـوق المصلحة العـامة . فـالطماع الجشع لا يقنع بما في يده وجيبه من مال بل يطمع فيما في يد غيره وجيبه . يدفعه الى ذلك حرصه على أن يضع يده وحدها على الخير والفائدة دون غيره . والحسود الغيور يتمنى أن ينتقل اليه وحده ما يراه عند غيره من نعمة وخير ، فهو يحب لغيره ما لا يحب لنفسه وعلة ذلك الأثرة والأنانية .

وكم جر الطمع الى معارك ومهالك ، وتحل العداوة والبغضاء والتفرقـة حيث يحل الحسد والجشع والطمع . وما أكثر ضحايا الطمـع والحسد والغدر والخيانة . وما أكثر الأسر والجماعات والدول التي دب في كيانها الحسد والطمع فأصابها الانحلال وتقطيـع الأوصال وانفـراط العقد وانهيار البنيان .

كذلك الغادر الخائن يغدر ويخون في سبيل منفعته الذاتية التي يضعها فوق أية منفعة أخرى . والمنتحـل المدعي يسرق ما يملك غيره من مجد وفضل وينسبه الى شخصه بدافع من حبه لنفسه وخصها وحدها دون غيرها بالفضل والفلاح . ومن ثمار الأثرة والأنـانية الـوصولية والانتهازيـة والاستغلال والاحتكار والاستعبـاد والظلم

فالتاجـر الجشع الـذي يحتكر ويستغل إنما يفعل ذلك بدافع من الاثرة والأنانية

لذلك كانت الاثرة والأنانية رذيلـة الرذائل وأم القبـائح وهي مـرض أخلاقي مهلك وداء اجتماعي وبيل . والمرء الأناني يعزل نفسه بأنانيته وأثرته عن الناس ويخسر النفع الذي يريد الاستئثار به على غيره ، فهو يأخذ ولا يعطي ويقبض ولا يدفع ويشد ولا يرخي ، ومن يأخذ ويعطي ويقبض ويدفع ويشد ويرخي يربح ويكسب ، ومن يـأخـذ ولا يعطي ويقبض ولا يدفع ، ينحبس عنه الغيث والثمر فيحرم ويخسر . وكلما تخلى المرء عن الأثرة والأنانية وآثر المصلحة العامة على مصلحته الخاصة وضحى في سبيل الله والأمة والوطن ، وأنكر ذاته ، عظم نفسه ورفع شأنه ونال خيرا كثيرا ولا يمكن اقامة صرح التعاون والاتحاد ولا رفع علم النهضة والفلاح في مجتمع تسـوده الأثرة والأنانية والنزعة الفردية ، وتباع فيه المصلحة العامة بالمصلحة الخاصة ، فسلامة الفرد من سلامة المجتمع ، والمصلحة الخاصة مرتبطة بالمصلحة العامة فاذا سلم المجتمع سلم الفرد ، وإن ضاع المجتمع ضاع الفرد ، وإن حفظت المصلحـة العـامـة حفظت المصلحة الخاصة ، وان أهدر دم

الفرد أهدر دم المجتمع ، اذ لا فلاح ولا قوة لمجتمع شخصية الفرد فيه ذابلة زاوية ، وكرامته مهانة ، ومصلحته ضائعة مأكولة .

وفي المجتمع الصالح المتقدم ترى شخصية الفرد تدور في فلك شخصية الأمة كما تدور الأرض في فلك الشمس . وترى المصالح الخاصة الفردية مرتبطة بالمصلحة العامة ارتباط الأغصان والفروع والأوراق بجذع الشجرة وساقها تستمد منها نموها وحياتها وازدهارها كما تستمد أسلاك الكهرباء وشمعاتها الحرارة والنور من مولد الكهرباء ، وتكون فيه أولوية المرور والسير للمصلحة العامة لا للمصلحة الخاصة ، ويدل على ذلك المسلمون الأوائل في أيام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعهود الخلفاء الراشدين والخلفاء الصالحين من الأمويين والعباسيين وسواهم . فقد ضرب هؤلاء المسلمون المثل الأعلى في التضحية والايثار والتحرر من الاثرة والأنانية . وبذلك صاروا اخوة متحابين متراحمين متعاونين متحدين ، وقوة غلابة قاهرة أقاموا بها الدولة الاسلامية التي امتدت من منطلقها في المدينة المنورة حتى جنوب فرنسا غربا وتخوم الصين شرقا . وقد وهبوا أنفسهم ومصالحهم الخاصة لله والرسول ، فوهبهم الله العزة والمجد والخير والحياة الحرة الكريمة والعيشة الراضية في الدنيا والآخرة .

ودارت الأيام وتغيرت الأحوال ، وحاد الخلف عن طريق السلف الصالح ، وأهمل الأحفاد ما ورثوه عن الأجداد من اسلام صحيح وايمان صادق وتضحية وايثار لضعف الاسلام الصحيح في قلوبهم وطاعة نفوسهم الأمارة بالسوء والميالة الى الأثرة والأنانية واتباع الأهواء والشهوات والنفس البشرية بلا ضابط يضبطها أو رادع يردعها كجواد شموس جموح بلا لجام أو كسيارة تسير بلا فرامل . فاقتتلوا فيما بينهم وتصارعوا وتفرقوا الى شعوب وأوطان ودويلات فضعفوا وهانوا وطمع فيهم الطامعون وغزاهم في عقر دارهم الغازون واستعمرهم المستعمرون . ولماذا سلك المسلمون الأقدمون طريق التضحية والايثار والتعاون والاتحاد ولماذا انحرف أحفادهم عن ذلك الطريق المستقيم الى طريق الأثرة والأنانية والتفرق والانقسام ؟

ذلك يرجع الى امتلاء قلوب المسلمين الأوائل بنور الايمان بالله واعتصامهم بحبل الله وارتواء نفوسهم من أخلاق الاسلام السامية وفضائله العالية ، وضحالة الاسلام الصحيح والايمان الصادق في قلوب الأواخر وتخليهم عن الاعتصام بحبل الله وتحللهم من أخلاق الاسلام الحنيف ومثله العليا ، وقد تمثل المسلمون الاسلام قولا وعملا وسلوكا وبخاصة في عهد رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) وعهود خلفائه الراشدين فقد قال الله تعالى فيهم : **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** الحشر/ ٩ . وقد

عملوا بقوله تعالى : (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) التوبة/ ٤١ . وأخذوا بقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخاري ومسلم وأحمد . وأحبوا الله ورسوله أكثر من حبهم لأنفسهم ايمانا منهم بأن الله ورسوله خير لهم من نفوسهم الأمارة بالسوء ، وعملوا بقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » متفق عليه .. ويدل ذلك على أنه لا شيء يخنق صوت الاثرة والأنانية في نفس المرء كالايمان بالله والاعتصام بحبله المتين .

فبالتضحية والايثار وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة يصير الناس متحابين متآلفين ، متعاونين متحدين . وبالأثرة والأنانية ووضع المنفعة الشخصية فوق مصلحة الأمة يصيرون متباغضين متنافرين ، ومتباعدين منقسمين على أنفسهم . ولنا في الأنصار والمهاجرين قدوة حسنة ، فقد أعطى الأنصار المثل الأعلى وقدموا أقصى غاية التضحية والايثار والجود ، حين شاركوا اخوانهم المهاجرين اليهم من مكة في أرزاقهم وأموالهم ، وبذلك صاروا أسرة واحدة صالحة متعاطفة متراحمة واخوة متكافلين متضامنين في السراء والضراء وفي التآخي والاتحاد قوة غلابة قاهرة . وذلك يعني أن فضيلة التضحية والايثار تجمع وتوحد وتبني وتعلي .. ورذيلة الأثرة والأنانية تفرق وتبدد وتهدم وتحط ، ولا يمكن وضع مصلحة الفرد فوق مصلحة الجماعة ، اذ لا بد لاقامة صرح التعاون والاتحاد من تحلي أفراد المجتمع بفضيلة التضحية والايثار وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، فالتضحية والايثار أسمى الفضائل الانسانية ، وأعظم الأخلاق الكريمة ، ووضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة . مقياس الرقي الخلقي ، والتقدم العلمي والأدبي .

وما الدواء الشافي لهذا الداء الأخلاقي والمرض الاجتماعي الوبيل يا ترى ؟ من أنجع الأدوية لمرض الأثرة والأنانية وبيع المصلحة العامة بالمصلحة الخاصة ، هو توعية المواطن وافهامه بأن فضيلة التضحية والايثار خير له وأبقى من رذيلة الأثرة والأنانية ، وأن سلامة المصلحة الخاصة رهن بسلامة المصلحة العامة ، وحياة المواطن من حياة الوطن فاذا ضاعت المصلحة العامة ضاعت معها المصلحة الخاصة . فالوطن ملك عام للمواطنين جميعا ، وهو مصلحة عامة ، فاذا ضاع الوطن ضاعت بضياعه أملاك المواطنين وأموالهم ، وذهبت مصالحهم الذاتية الخاصة . ولعل خير دواء يشفي النفس الانسانية من داء الأثرة والأنانية هو الايمان بالله تعالى وتقوى الله وطاعته . فالله عز وجل يأمر عباده بالتضحية والايثار وينهاهم عن الأثرة

والأنانية ، وقد وعد المؤمنين الذين يضحون في سبيله ، ويؤثرون المصلحة العامة على المصلحة الخاصة النصر والعزة والعلو في الدنيا وجنات تجري من تحتها الأنهار في الحياة الآخرة . وخير شاهد على ذلك العرب في العصر الجاهلي وفي ظل الاسلام الحنيف ، فقد كانوا قبل الاسلام تطغى عليهم النزعة الفردية والتعصب القبلي والأثرة والأنانية ، فتفرقوا وتقاتلوا وتغازوا ووهنوا ، فاستضعفهم الفرس والروم والأحباش واستعمروهم واستخدموهم . وفي ظل الاسلام الحنيف تحلوا بالتضحية والايثار ، فتحابوا وتآلفوا وتعاونوا واتحدوا ، فتحرروا وتقدموا وعزوا وسادوا وأقاموا أعظم دولة عربية اسلامية وأرقى حضارة انسانية في العصور الماضية .

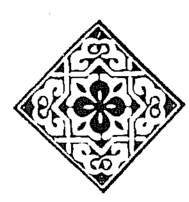
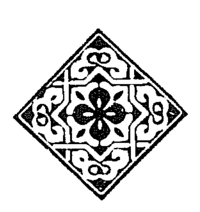
وصاحب الايمان المتين بالله والعقيدة الالهية الراسخة يتزين بالتضحية والايثار ، كما يتحلى بالصحة والعافية ويبرأ من الأثرة والأنانية كما يبرأ من المرض والوباء ؛ فالتضحية والايثار من ثمار الايمان والعقيدة والعلم

قال الشاعر العربي عمر أبوريشة :

واذا راضت العقيدة قلبا فمن الصعب أن يكون أناني

والأثرة والأنانية يدلان على إقفار القلب من الايمان بالله والعقيدة السامية ، وقد تجعل الأنانية صاحبها لا أخلاقيا انتهازيا ، الغاية عنده تبرر الوسيلة وبلوغ الهدف بأي طريقة وأي ثمن .

والسياسة الاستعمارية المجرمة القائمة على الاستغلال والعدوان والنهب والسلب والقتل وامتصاص الدماء ، مبعثها الأثرة والأنانية . وما يلوث جو الحياة الدنيا من مفاسد ورذائل وجرائم وشرور وفجور سببه هؤلاء اللاأخلاقيون ، الذين لا يتورعون عن كل فكر وباطل وفجور في سبيل مطامعهم الشخصية ومآربهم الذاتية ، فهم لذلك أضل سبيلا من الأنعام وأدنى درجة من الحيوانات . وقد ثبت بالتجربة أن ثمار التضحية والايثار طيبة حلوة ، وحصادها المكسب والفائدة ، وأن ثمرات الأثرة والأنانية مرة وعاقبتها الضرر والخسارة ، لذلك كان من الخير للانسان ومن مصلحته الشخصية ، أن يتحلى بالتضحية والايثار ونكران الذات ، وأن يتخلى عن الأثرة والأنانية .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الينا :

○ كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة او بحث او اسم البنك ورقم الحساب وذلك تسهيلا لارسال المكافأة .

○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر على الأقل حتى يتسنى نشرها في حينها .

○ المقال او البحث المرسل لا يقل عن سبع صفحات فلسكاب مكتوب بالآلة الكاتبة ولا يزيد عن عشر صفحات .

○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .

○ لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة .

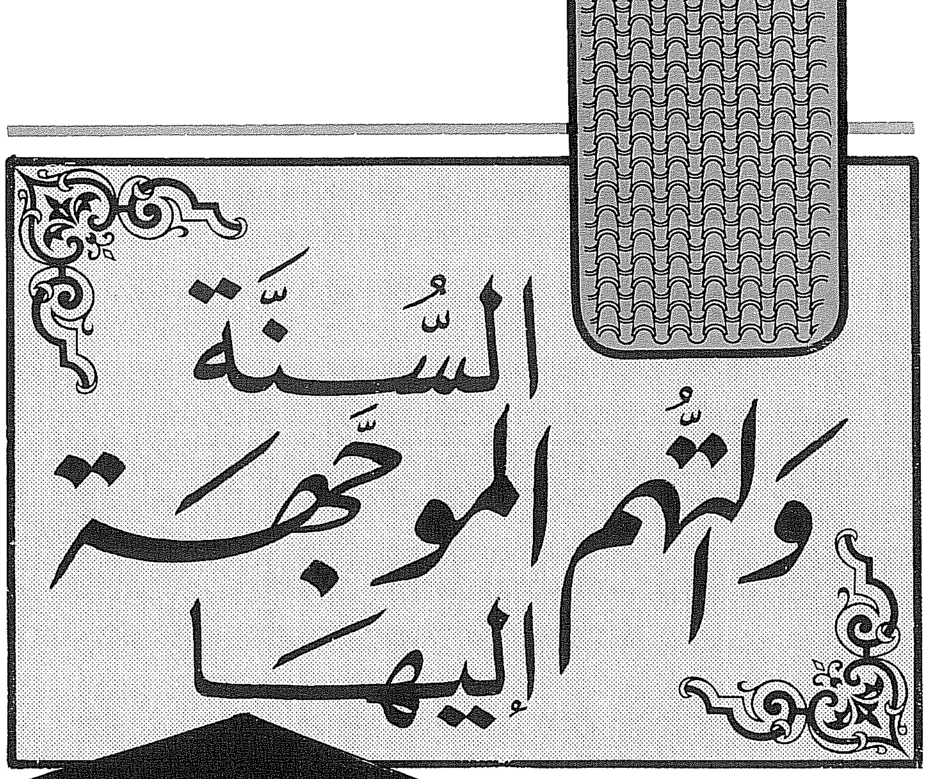
○ يجب ان يكون الانتاج المرسل خاصا للمجلة وألا يكون قد سبق نشره او ارساله الى جهة اخرى للنشر .

○ النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه . والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية .

○ ضرورة ذكر المراجع حتي يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .

○ البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .

○ لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .



السنة والتهم الموجهة إليها

للأستاذ / ايهاب محمد المهدي

لا يبدو غريبا على من يقرأ تاريخ السنة النبوية أو يتعرض لها بالدراسة أن يستلفت نظره وجود العديد من التهم التي وجهت اليها عبر العصور وفي كل الأزمان ، فالسنة النبوية هي المكمل والمتمم والشارح للقرآن الكريم ، ومن يتنصل من السنة النبوية فهو يتنصل من القرآن الكريم ومن الاسلام . فهو مرتد يلبس أحيانا ثوب الايمان والخوف على العقيدة الصحيحة أو يدافع عن فكر معين . وأحيانا يلبس ثوب التقدمية والعلمية والمنهجية ويرفض السنة النبوية لأجل الغاء الدين أو على الأقل ذبذبة المذبذبين . وعندما يصدر الاتهام للسنة من المستشرقين فهذه تبدو بديهية . أما أن تصدر الصيحة من رجل يدعى الثورية والتقدمية والمحافظة على الاسلام ثم يقول أنه يرفض السنة . فهذا موضوع آخر ولقد قال الرسول الكثير عن هذا الموضوع ولعل الحديث المشهور الذي يقول فيه : « لألفين أحدكم متكئا على أريكته . يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه . ألا وأني أوتيت القرآن ومثله معه » رواه أحمد وأبو داود .

وأول فتنة تعرض لها الأسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت من رفض السنة وقد تنبأ بها الرسول وقال : « من يعش منكم بعدي سيرى اختلافا كبيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين . استمسكوا بها وعضوا عليها

بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة » رواه أحمد وابن ماجه . وما تنبأ به حدث بعد وفاته مباشرة حينما رفضت بعض القبائل دفع الزكاة لأبي بكر لأنهم كانوا يدفعونها للرسول أما وقد مات ، فانه لا أحد يأخذها أو يستحقها فقد كانوا يدفعونها للرسول أما أبو بكر فهو مثلهم . ويقال أن عمر بن الخطاب عارض سيدنا أبا بكر الصديق ، وأنه حدثت مناقشة للأمر فيما بينهم ، وان كنا نرجح عدم حدوث هذه الملاحاة . لايمان عمر ومعرفته بمعنى ترك السنة ، وحتى الذين يقولون هذه الرواية يستشهدون بحديث الرسول ، قاله عمر في معرض النقاش . وهو « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » رواه الأربعة والبخاري ومسلم ويرد عليه سيدنا أبو بكر بقوله : أليس يقول الرسول إلا بحقها ؟ ومن حقها الزكاة . والله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله لحاربتهم لأجله . ولن نستطرد كثيرا ولكن النقاش انتهى بأن اقتنع عمر بن الخطاب برأي سيدنا أبي بكر ، ووافق على حروب الردة ، وانتصر المسلمون ورجعت للسنة مكانتها من التشريع الاسلامي . ثم عاد الهجوم على السنة النبوية الشريفة مرة أخرى بعد الفتنة الكبرى بين سيدنا علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكثرت حركة الوضع في الحديث مما سنفصله فيما بعد .

وقد روى الامام الشافعي في كتابه الأم باب حكايات الطائفة التي تنكر الأخبار جميعا أن أصحاب هذه البدعة صنفان من الناس ، **الصنف الأول** : لا كلام لنا معهم لأنهم متهافتون ضالون مضلون ، وهم مارقون عن الاسلام من حيث لا يشعرون . اذ ينكرون عدالة الصحابة ويقولون أنهم غير عدول لأنهم وافقوا على أن الرسالة لمحمد ومؤدى هذا أنهم يريدون أيضا أن ينكروا القرآن لأن الذي جاء بالقرآن هو محمد . فيجب أن نطرح الكلام معهم لأنهم ليسوا بعقلاء ، أما **الصنف الثاني** : فيستدل على قوله بالقرآن ، ويقولون ان القرآن قال : (**ما فرطنا في الكتاب من شيء**) الأنعام/٣٨ . واذا احتجنا الى السنة كان الكتاب ناقصا .

وبالرغم من أن هذا الكلام هزيل لأن المقصود بالكتاب ليس القرآن لأن كلمة كتاب مصدر كتب والمقصود بها علم الله بدليل قوله تعالى : (**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء**) والذين يقولون هذا الكلام ممن يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض والى جانب جهالتهم بشروط تفسير القرآن لا يريدون للاسلام الخيروالا ما معنى أن يتركوا القرآن الذي يقول :

○ (**وما ينطق عن الهوى**) النجم/٣ .

○ (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان**

الله شديد العقاب) الحشر/ ٧ .

○(**ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)** النساء/٨٣ .

○ **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)** الأحزاب/ ٣٦ .

○ **(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب)** المائدة/ ١٥ .

○ **(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)** الجمعة/ ٢ .

○ **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)** النساء/ ٦٥ .

○ **(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)** آل عمران/ ٣١ .

وسنترك الآيات دون تفسير فهي شارحة للموقف تماما وتوضح مدى أهمية دور الرسول عليه الصلاة والسلام . وان الايمان به جزء لا يتجزأ من الايمان بالاسلام وان السنة شارحة للقرآن ومرادفة له . وأن الاستغناء عن السنة ليس خطوة في مشوار الكفر وانما هي الكفر ذاته .

وهناك من يرفض السنة لكثرة الوضع في الأحاديث النبوية حتى أن البخاري ذكر أنه سجل أربعة آلاف حديث من ستمائة ألف حديث . وكذا أبوداود فلم يصح لديه من خمسمائة ألف حديث غير أربعة آلاف وثمانمائة . وحتى هذه الأحاديث كانت موضع نقد وتمحيص ، ونفى الكثير من العلماء بعض الأحاديث عندهم . ويرددون كلام ابن خلدون في المقدمة حيث ذكر أن أبا حنيفة لتشدده في شروط صحة الحديث لم يصح عنده الا سبعة عشر حديثا .

والرد على هذه الاتهامات سهل يسير . ولو أن أحدهم أضاف الى سابق هذا الكلام حديثا عن الرسول : « انكم ستختلفون بعدي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فمني وما خالفه فليس عني » رواه مسلم .

والرد على هذه الادعاءات سهل يسير ، ولصدورها من رجال خدموا الاسلام وقالوا كلامهم لا لهدم الاسلام وانما نقلا عن بعض الكتب التي تروي هذه الأخبار والأحاديث فيجب أن يكون الرد في النقاط التالية :

١ ـ ذكر البخاري « لم أخرج في هذا الكتاب الا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر » .

٢ ـ ذكر أبو داود في رسالة الى أهل مكة « سألتم أن أذكر لكم الأحاديث التي في كتاب السنن أهي أصح ما عرفت فاعلموا أنه كذلك كله ؟ ولم أكتب في الباب الا حديثا واحدا أو حديثين وان كان في الباب أحاديث صحاح . وما سكت عنه فهو صالح .

٣ ـ أما عن ابن خلدون فهو لم يكن من رجال الحديث ويقول الشيخ

الكوثري . هذه هفوة لابن خلدون لا يجوز لأحد أن يفتريها لأن رواياته على تشدده في الصحة لم تكن سبعة عشر حديثا فحسب بل أحاديثه في سبعة عشر سفرا يسمى كل منها بمسند أبي حنيفة خرجها جماعة من الحفاظ وأهل العلم بالحديث بأسانيدهم اليه .

٤ ـ أما الاستشهاد بالحديث الآنف الذكر فيمكننا أن نأخذ من الشاطبي فهو يقول عن هذا الحديث « وقال عبد الرحمن بن المهدي الزنادقة والخوارج وضعوا هذا الحديث . وقد عارض هذا الحديث قوم فقالوا نحن نعرضه على كتاب الله قبل كل شيء ونعتمد على ذلك . فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفا لكتاب الله ولا نقبل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما وافق كتاب الله . بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به والأمر بطاعته ويحذر من المخالفة من أمره جملة على كل حال . فيقول تعالى : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) ، ثم أن كون مخالفة القرآن مقياس لرفض الحديث لا يستقيم في جميع الأوقات .

ولعل رفض البعض للسنة يقودنا الى حركة الوضع في الحديث . وهذه الحركة نشأت بعد الفتنة الكبرى حين ضعف ايمان بعض الناس ، وحاول الكثيرون زرع بذرة الخلاف أو تأييد مذاهبهم السياسية ، أو من الزنادقة ، أو من اليهود والنصارى الذين أسلموا ، والأحاديث التي وضعوها من السهل اكتشافها اذا حددنا الفرق التي وضعت وهم :

١ ـ **الزنادقة** : ويروي أنهم وضعوا أربعة عشر ألف حديث وقد روى أحدهم بعد أن اكتشف أمره ويسمى ابن أبي العوجاء « والله لقد فطرتكم يوم صومكم وصومتكم يوم فطوركم » . والأحاديث التي وضعها هذا الفريق تهدف الى السخرية المستورة من الاسلام ككل ومن الرسول بوجه خاص كقولهم « ان الله لما خلق الحروف سجدت الألف وركعت الباء » وقولهم عن الرسول « الباذنجان فيه شفاء لكل داء » .

٢ ـ **القصاصون** : وقد وضعوا آلاف الأحاديث لأجل التقرب من العامة فهم يضعون الأحاديث لأجل الحصول على المال أو ما شابه ذلك والذي يذهب ريف مصر يسمع أحاديث غريبة جدا مثل : « من قال سبحان الله وبحمده غرس الله له ألف ألف نخلة في الجنة أصلها ذهب » وكذا من قال « لا اله الا الله خلق الله من كل كلمة طائرا له سبعون ألف لسان في كل لسان سبعون ألف لسان في كل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون الله تعالى له » . ولعل أخطر هذه الأحاديث قولهم « ان الله يعتذر للفقراء يوم القيامة ويقول وعزتي وجلالي ما زويت عنكم الدنيا لهوانكم علي لكن أردت أن أرفع قدركم في هذا اليوم انطلقوا الى الموقف . فمن أحسن اليكم بكسرة أو سقاكم شربة من الماء أو كساكم خرقة فانطلقوا به الى الجنة » . ومثل هذه الأحاديث يستطيع المؤمن الدارس المتفهم للقرآن أن يعرف ويميز الصحيح منها والموضوع .

٣ ـ الشيعة : ويروي ابن تيمية أن أحد شيوخهم قال كنا اذا اجتمعنا فاستحسنا شيئا جعلناه حديثا ومن الأحاديث التي وضعوها « من أراد أن ينظر الى آدم في علمه والى نوح في تقواه والى ابراهيم في حلمه والى موسى في هيبته والى عيسى في عبادته فلينظر الى علي » وبالطبع واضح أن الحديث موضوع وأكثر فرق الشيعة وضعا هم الرافضة .

٤ ـ المنافقون : وهم الذين كانوا يتقربون الى الملوك والرؤساء فيقولون أحاديث تبرر أفعال الملوك من ذلك ما يحكى عن غياث بن ابراهيم أنه دخل على المهدي بن منصور وكان يعجبه اللعب بالحمام فقال له : قال الرسول عليه الصلاة والسلام « لا سبق الا خف أو حافر أو نصل أو جناح » فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم فلما قام ليخرج قال المهدي أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله . ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **جناح** ولكن أراد ليتقرب الينا . ويبدو أنها قليلة هذه الأحاديث اذ أن معظم كتب الحديث تذكر هذا الحديث .

٥ ـ الخلافات الفقهية بين العلماء : وتوجد أحاديث كثيرة عن مشكلة أزعجت بال الناس طويلا وهي خلق القرآن وكان المعتزلة أصحاب هذا الرأي وروى خصومهم أحاديث « مثل القرآن كلام الله وليس كلام الله بمخلوق » وكذا حديث « سيجيء من أمتي قوم يقولون القرآن مخلوق . فمن قال ذلك فقد كفر بالله العظيم وطلقت منه امرأته من ساعتها » . وبالطبع واضح أن هذه الأحاديث وضعت في فترة معينة للاجابة على أسئلة محدودة بزمان ومكان معين دون النظر الى مدى تأثير هذا على الاسلام . وعلى العقيدة بوجه عام . وقد أدت هذه الأحاديث النابعة من فكر دخيل على الاسلام الى تشويه حقائق الاسلام في ذهن العامة بوجه عام والى استغلال المستشرقين لهذه الأحاديث واتهام الاسلام في الصميم . والاتهامات التي وجهها المستشرقون الى السنة النبوية كثيرة ، ولكن أخطرها لأجل محوها واسقطاها ما يأتي :

١ ـ اتهام وجهه بعض المستشرقين من أن السنة دونت في عهد عمر بن عبد العزيز ٩٩ ـ ١٠١ ومعنى هذا أنها ليست صحيحة ، ودخلها الكثير عن طريق الوضع الذي أشرنا اليه .

٢ ـ تقول دائرة المعارف الاسلامية مادة « حديث » لا يمكن أن تعد الكثرة الغالبة من الأحاديث وصفا تاريخيا صحيحا لسنة النبي بل هي عكس ذلك تمثل آراء بعض أصحاب النفوذ في القرون الأولى بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم .

والرد على الاتهام الأول سهل . اذ أن هناك العديد من الوثائق التي تثبت بما لا يدع مجالا للشك ، أنه كان هناك تدوين للسنة في عهد الرسول والصحابة الى أن أمر عمر بن عبد العزيز بتدوينها رسميا ! وسنكتفي بايراد بعض هذه الوثائق .

١ ـ وثيقة عبد الله بن عباس . والتي رواها تلميذه سعيد بن جبير وفي هذه الوثيقة أكثر من ألف حديث .

٢ ـ وثيقة عبد الله بن عمرو بن العاص والتي كتبها باذن خاص من الرسول عندما سأله أأكتب كل ما أسمع ؟ قال : نعم . قال في الرضى والغضب ؟ قال الرسول : نعم فاني لا أقول في ذلك الا حقا وقد ذكرها الامام أحمد بن حنبل في المسند بكاملها .

٣ ـ صحيفة الصحابي أبي هريرة وبها أكثر من مائتي حديث ، وذلك لأن أبا هريرة لم يكن يكتب ، وقد ذكرها أيضا الامام أحمد بن حنبل في المسند ، وتسمى بالصحيفة الصحيحة . وغيرها كثير ولكنها تكفي بما لا يدع مجالا للشك من أنه كان ثمة تدوين على عهد الرسول وان لم يكن منظما كما هو عليه الحال في عهد سيدنا عمر بن عبد العزيز .

أما **الاتهام الثاني والأخير** في بحثنا ، فيمكن الرد عليه بسهولة اذ أن أسلوب الرسول واضح .

فاذا سلمنا بأن بعض الأحاديث صحيح والآخر موضوع ، فان معرفة الصحيح وان كان العلماء قديما وحديثا قد بحثوا في رجال الأثر ، وتشددوا في أمر الكتابة والتدوين فان الأحاديث الصحيحة يمكن تمييزها من ناحية الأسلوب . فأسلوب الرسول في الحديث يدل على شخصيته ، فهو مختلف عن أساليب العرب كما هو مختلف عن أسلوب القرآن ، ونلمس فيه كما يقول **الدكتور الزرقا** ضعف الذات أمام الصعوبات القاهرة تارة ، وفيها قوة الثقة تارة أخرى . فهو شخصية تعتز بالضعف الذاتي أمام الله الى جانب اعتزازها بقوة الأمانة والثقة بالحق ففيها ضراعة البشر وتواضع الزهاد الى جانب حكمة العلماء وقوة المبلغين الأمناء .

ونضيف أننا اذا ميزنا أحاديث الرسول وعرفنا الوضع وأسبابه فمن هم أصحاب النفوذ الذين وضعوا الأحاديث . ان هذا يجرنا الى دراسة الشخصيات ذات النفوذ كما تقول دائرة المعارف لنعرف طبيعة شخصياتهم ، وما يمكن أن يضعوه وكانوا أكثرهم من أتقى وأصلح من جاء الى الاسلام والمسلمين . وقد أغنانا الأستاذ العقاد في عبقرياته ودراسته للشخصيات في بداية كل عبقرية . يكتب مفتاح الشخصية وبها تحليل لنفسية الشخصية والبطل الذي يدرسه . وبالطبع لا يمكن أن يكتب الانسان الا ما يعبر عن فكره وشخصه وكلهم طبيعتهم تختلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم وايمانهم الصادق ليس مجالا للشك من أي انسان . ولكن الاتهامات تلقى في وجه السنة كخطوة نحو احلال دين جديد محل دين الاسلام بدعوى التطور .

والدين الجديد المطور لا يكون اسلاما بقدر ما يكون دينا عبادته المجتمع ورسوله ماركس وطبقة البروليتريا هم الأتباع ، أو دينا عبادته الاستغلال ورسوله آدم سميث وأتباعه من الرأسماليين ، والاثنان بعيدان عن الدين في كل شيء . ويجب أن نأخذ الحذر ونعرف ممن توجه الاتهامات وكيف يفكرون لنعرف كيف نرد عليهم . ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

مائدة القارئ

المغفرة لمن ؟

مغفرة الله للمذنبين والعاصين ، ورحمته بهم واسعة .. ولكن بشروط .. يقول تعالى : « **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** » . الآية ٨٢ من سورة طه .

هو حسبي

قال حكيم :**نظرت الى الخلق ، فرأيتهم متوكلين ، هذا على بضاعته ، وهذا على تجارته ، وهذا على صنعته ، وهذا على صحته ، وهذا مخلوق متوكل على مخلوق ، فرجعت الى قول الله عز وجل : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » . فتوكلت عليه ـ سبحانه ـ فهو حسبي ونعم الوكيل .**

طريقة يهودية

سأل قائد يهودي احد جنوده ـ ماذا تفعل لتفرق مظاهرة معادية ؟
فقال الجندي : اخلع قبعتي واجلس اجمع التبرعات منهم ، فيتفرقون .

الحياة العزيزة

فما العيش الا ان نموت اعـزة ... وما الموت الا ان نعيش ونسلما
تأملت في صرف الزمان فلم اجد ... سوى الصارم البتار للسلم سلماً
فان يك دفع الشر بالرأي حازماً ... فما زال دفع الشر بالشر أحزما
تجـاهل اهـل الكفر كـل قضيـة ... اذا لم يجيء فيها الحسام مترجما

عند الكرب

روي ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول ، عند الكرب : « لا اله الا الله ، العظيم الحليم ، لا اله الا الله ، رب العرش العظيم ، لا اله الا الله ، رب السموات ، ورب الارض ، ورب العرش الكريم » .
اخرجه البخاري

كن مع هؤلاء

أقوى الناس من قوى على غضبه ، واصبرهم من صبر على فاقته ، واغناهم من قنع بما تيسر .

معالجة النفس

كان عمر ـ رضي الله عنه ـ يجمع الناس في المسجد لكل امر مهم ، فينادي فيهم : « الصلاة جامعة » فلما اجتمعوا ، صعد المنبر ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال :ـ

ايها الناس ! لقد رأيتني وأنا ارعى على خالات لي من بني مخزوم ، فكنت استعذب لهن الماء فيقبضن لي القبضة من التمر او الزبيب . ثم نزل .

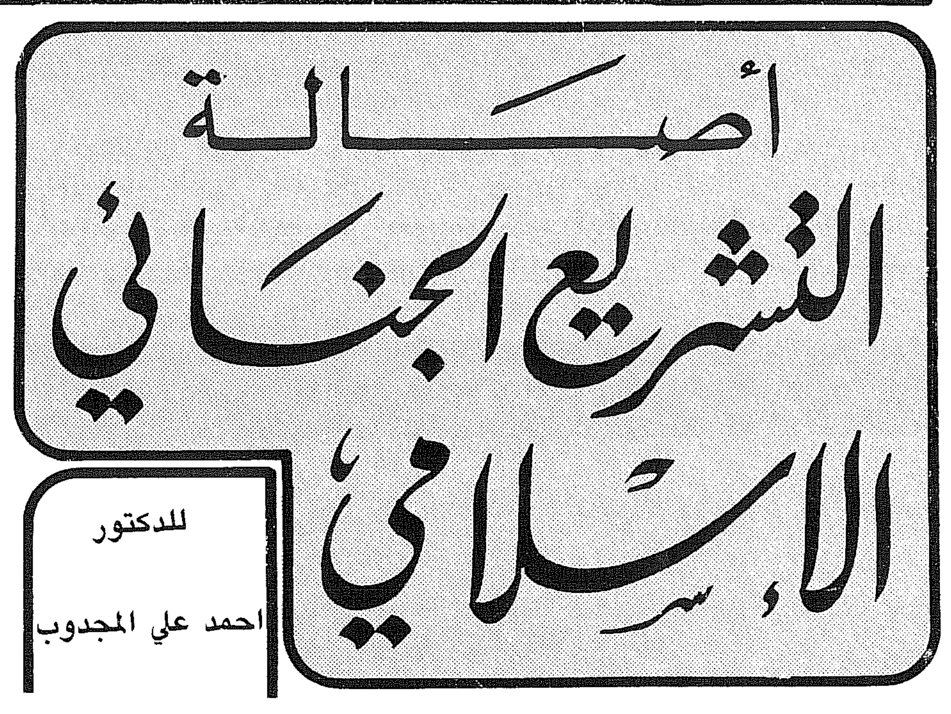
فقال له عبد الرحمن بن عوف : ما اردت الى هذا يا امير المؤمنين .

فقال : ويحك يا ابن عوف ، خلوت بنفسي فقالت لي : انت امير المؤمنين ، وليس بينك وبين الله احد ، فمن ذا افضل منك ؟

فأردت ان اعرفها قدرها .

يوم الأذان

دخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال له : اذكر يا امير المؤمنين يوم الأذان ؟ قال : وما يوم الأذان ؟ قال : اليوم الذي قال الله تعالى فيه : (**فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين**) . فبكى سليمان وازال ظلامته .



يتميز التشريع الجنائي الاسلامي بالاصالة على الرغم مما بذله ويبذله البعض ، سواء من المستشرقين او ممن تتلمذ عليهم من علماء القانون الجنائي من المسلمين او من غير المسلمين من جهود دائبة للتشكيك في هذه الاصالة متخذين الى ذلك وسائل مختلفة واساليب متباينة ، تهدف كلها الى نفي الاصالة عن التشريع الجنائي بل واقناع من يتصدون لدراسته بأنه منقول عن التشريعات والقوانين السابقة عليه او المعاصرة له ، وهو زعم باطل من اساسه .

ولعل مما يساعد على رواج هذا الزعم ، المنهج الذي اتبعه بعض الذين حاولوا ان يدفعوا تهمة نقل التشريع الجنائي الاسلامي من غيره من التشريعات والقوانين ، فاذا بمحاولاتهم تؤدي بدون قصد الى نتيجة عكسية كان من المحتم ان يؤدي اليها المنهج الذي اتبعوه في عرض القضية ، وهو منهج يقوم على المقارنة بين احكام التشريع الجنائي الاسلامي وما يقابلها او يماثلها من احكام في القوانين الوضعية ، مما تضمن ايحاء للباحث والقارىء على السواء بأن التشريع قد نقل عن القوانين وليس العكس فمن يقرأ ما كتبه بعض الفقهاء يلاحظ انهم بذلوا اقصى ما في وسعهم للتدليل على ان كثيرا من الاحكام التي تتضمنها القوانين الوضعية الغربية جاءت بها او بمثلها الشريعة الاسلامية . وبالتالي فان رد هذه الاحكام الى

اصولها في القانون الروماني او في قانون صولون او في غير هذا وذاك من القوانين السابقة على الاسلام يكفي بذاته لتأكيد الزعم القائل بأن التشريع الجنائي الاسلامي قد نقل عنها .

ليس ذلك فحسب بل ان هؤلاء الفقهاء رغبة منهم في اقناع الباحثين والقراء بأن التشريع الجنائي الاسلامي لا يقل احكاما ودقة ورعاية لمصالح المخاطبين باحكامه عن القوانين الوضعية لم يتورعوا عن اختلاق نظم لا وجود لها في هذا التشريع لمجرد اضفاء صبغة زائفة من التقدمية والحداثة والسبق على التشريع الجنائي الاسلامي على الرغم من ان النظم او الاحكام المدعاة ليست حسنة او مفيدة من اي وجه ، بل ان الدول التي تطبقها تسعى للعثور على بديل لها او الغائها تماما بعد ان كشف التطبيق عن مساوئها ، مثال ذلك نظام العود الى الجريمة الذي لا وجود له في التشريع الجنائي الاسلامي ، ومع ذلك ولانه منصوص عليه في القوانين الوضعية فقد زعم بعض الفقهاء ان التشريع الجنائي اخذ به ونص عليه وهو ما يتعارض بوضوح مع النص الصريح الذي يقرر ان العقوبات كفارات لاهلها ، بمعنى انه بتوقيع العقوبة على المذنب ، فانه يكون قد كفر عن ذنبه .

وبالتالي لا يجوز بأي حال ان نعاقبه مرة اخرى على هذا الجرم اذا ارتكب جرما آخر وهو ما تفعله القوانين الوضعية حيث تشدد العقاب على العائد مع ما في ذلك من ظلم بين اذ يعاقب الشخص عن الفعل الواحد مرتين .

كذلك فان الاحوال الواردة في التشريع الجنائي الاسلامي والتي يتكرر فيها الجرم لا توحي بأن العقاب قد روعي فيه سبق ارتكاب الشخص للجريمة سواء اكانت من نفس النوع ام من نوع اخر . ففي السرقة مثلا تقطع اليد اليمنى في اول مرة ، ثم تقطع القدم اليسرى في المرة الثانية ، وتقطع اليد اليسرى في المرة الثالثة وهكذا ، فالعقاب في المرة الثانية او الثالثة لا يتضمن اي تشديد . كذلك في جريمة شرب الخمر ، فان الشارب يجلد في كل مرة يثبت فيها انه تعاطى الخمر ثمانين جلدة لا تزيد ولا تنقص ، وايضا في جريمتي القذف والزنا من غير المحصن ، ومع ذلك فان بعض الفقهاء المعاصرين يقولون ان التشريع الجنائي الاسلامي ، عرف نظام العود الى الجريمة وشدد العقاب عليه وهو ما لا نجد له سندا في كتب الفقه الاصلية .

وقد استتبع ذلك ، القول بأن **نظام السجل الجنائي** الذي يتضمن بيانا بجرائم الشخص ، او ما يسمى بـ « صحيفة الحالة الجنائية » أو « صحيفة السوابق » نظام مقبول في التشريع الجنائي الاسلامي حيث ان القواعد الخاصة بالعود لا يمكن تطبيقها الا اذا عرفت سوابق المذنب . ومن المعروف ان نظام « صحيفة الحالة الجنائية » اسفر منذ تطبيقه عن مساوىء كثيرة في مقدمتها تلك

العراقيل التي يضعها في طريق الشخص الذي ارتكب جرما عوقب من اجله ثم اراد ان يستأنف حياته مرة اخرى عضوا نافعا في الجماعة ، فان نظام « صحيفة السوابق » يحول بينه وبين الالتحاق بعمل يرتزق منه ، ويحرمه من ممارسة الكثير من حقوقه السياسية . ويشترط عليه ان يسترد ما يسمى « بالاعتبار » قبل ان يعود عضوا عاديا في الجماعة ، وكثيرا ما يتعذر عليه ذلك بالنظر الى الشروط الكثيرة والمعقدة التي يتطلب القانون توفرها . ليس ذلك فحسب بل ان هذا النظام يفتقر الى العدالة بصورة واضحة حيث يؤدي انعدام الدقة في تسجيل السوابق الى تطبيق قواعد العود ومن ثم تشديد العقوبة على البعض دون البعض الآخر ، وهو ما كشفت عنه البحوث التي اجريت على ظاهرة العود الى الجريمة والاعتياد عليها ، حيث تبين ان نسبة مرتفعة من نزلاء السجون لا تعرف سوابقهم .

ولعله لم يعد خافيا على أحد تلك النتيجة التي ادى اليها تطبيق نظام « صحيفة السوابق » وهي ارتفاع نسبة العائدين الى الجريمة بصورة مستمرة بعد ان اقفلت الابواب في وجوههم ، وحيل بينهم وبين الالتحاق بالمجتمع واستعادة اوضاعهم العادية في الجماعة . وهو ما دفع بعض الحكومات الى الغاء ما يسمى بالسابقة الاولى من صحيفة الحالة الجنائية تمكينا لمن حكم عليهم لاول مرة من العودة مرة اخرى الى المجتمع .

وهؤلاء الذين اعتقدوا ان التشريع الجنائي الاسلامي يتضمن احكاما خاصة بالعود الى الجريمة وكذلك تنظيما « لصحيفة السوابق ولما يسمى برد الاعتبار » فانهم لم يدركوا ان هذه النظم تتعارض مع مبدأ « التوبة » الذي يقضي بأن من تاب عن ذنبه بعد توقيع العقاب عليه ، يعود عضوا سويا في الجماعة له ما لاعضائها الآخرين من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات ، بحيث لا يحق لاحد ان يفرض عليه ان يعيش في ظروف تدفعه الى ارتكاب الجريمة مرة اخرى ، لكي يعيش او لكي يدفع الظلم الذي ينزله به المجتمع بحرمانه من حقوقه وملاحقة الشرطة له .

وليس معنى هذا ان السجل الجنائي نظام مرفوض من الفقهاء المسلمين او من التشريع الجنائي الاسلامي ، ولكن معناه ، استخدامه في الحدود التي تعود بالفائدة على المجتمع ، بحيث يستخدم في دراسة اتجاهات الجريمة وعواملها فضلا عن رصد حركتها الكمية والنوعية ، وفي غير هذا وذاك مما يفيد في مكافحتها والوقاية منها دون ان يتجاوز ذلك الى وصم المذنب بالعار وحرمانه من حقوقه او ملاحقته او تعقبه .

وهكذا يمكن القول ان خلو التشريع الجنائي الاسلامي من بعض النظم او الاحكام التي استحدثتها القوانين الوضعية لا يعني انه متخلف عنها ، او ان ذلك ينتقص منه او يقلل من قيمته ، بل العكس هو الصحيح ، فقد اسفر التطبيق العملي لتلك النظم

والاحكام عن اضرار فادحة اصابت المجتمع بالاضطراب وانتقصت من حقوق الافراد . ولذلك فانه يجب على من يتصدى لدراسة هذا التشريع بالمقارنة مع القوانين الوضعية ، ان يتخذ منه معيارا للحكم عليها بالصحة او بالفساد ، وليس العكس وهو ما نراه الان . حيث يهتم المدافعون عن التشريع الجنائي الاسلامي بمقارنته بالقوانين الوضعية باتخاذها معيارا للحكم عليه بالصحة ، والاستدلال على ما فيه من دقة وتقدمية ومسايرة للفلسفات المعاصرة ، التي لم تجن المجتمعات من ورائها الا الفوضى وانعدام الامن وافتقاد الطمأنينة .

كذلك فان البحث في اصالة التشريع الجنائي الاسلامي يستلزم فضلا عن النظر اليه كنظام متميز أو بالاحرى كنسق فريد متكامل ، يستمد اهميته من طبيعته الخاصة ، وتقوم اصالته على اساس مختلف كل الاختلاف عن الاساس الذي تقوم عليه القوانين الوضعية ، ان تكون دراسته شاملة لاقسامه المختلفة ، فلا تقتصر على ما يتعلق منها بالاحكام العامة ، او القواعد الاجرائية ، او النظام العقابي كل على حدة ، وانما يجب ان تكون الدراسة شاملة لها جميعا ، فقد لجأ اعداء الشريعة الى هذه التجزئة للطعن في اصالة التشريع الجنائي الاسلامي ، وذلك بتركيزهم على النظام العقابي الاسلامي ولفتهم الانظار اليه دون القسمين الآخرين منه ، وهما قسم الاحكام العامة ، وقسم الاجراءات ، وتعمدوا استغلال التشابه بين بعض الجزاءات التي نص عليها التشريع الجنائي الاسلامي وبين جزاءات مماثلة لها او شبيهة بها ، وردت في التشريعات او القوانين السابقة عليه للقول بأنه نقل عنها ، ونفوا بالتالي صفة الاصالة عنه . مثال ذلك عقوبات الرجم والجلد والقطع وكذلك القصاص ، فزعموا ان التشريع الجنائي الاسلامي لم يأت بجديد في هذا المجال وانما استعار من التشريعات الاخرى كالشريعة الموسوية ، او من القوانين الوضعية التي كانت مطبقة عند ظهور الاسلام مثل قانون حمورابي ، والقانون الروماني وغيرها من القوانين التي كانت تطبق في الامبراطورية الرومانية والامبراطورية الفارسية فضلا عن العرف الذي كان سائدا في الجزيرة العربية ذاتها .

من ذلك ما قاله المدعو « دافيد دي سانتيلانا » في كتاب « تراث الاسلام » الذي الفه جمهرة من المستشرقين باشراف « سيرتوماس ارنولد » عند الكلام عن « القانون والمجتمع » فقد اجمل الكلام عن قانون الجزاء الاسلامي في ثمانية سطور فقط ، قال فيها وبجرأة غريبة يحسد عليها : « ليس ثم كثير مما يقال عن قانون الجزاء فنظام العقاب في الاسلام مبني في جوهره على مبدأ « العين بالعين والسن بالسن » كشريعة موسى . وهو مبتن ايضا على مبدأ الثأر الغريزي . كما انه يضع امام اعيننا المبادىء العقابية الموجودة في متن التوارة دون كبير تحوير . ولا

يغرب عن البال ان لهذه المبادىء والقواعد اسسا تاريخية وقيما تقليدية ».

وهكذا اعتبر هذا الرجل التشريع الجنائي الاسلامي مجرد عقوبات تقوم على مبدأ « العين بالعين ، ومبدأ الثأر الغريزي وتجاهل تماما الأحكام العامة والقواعد الاجرائية التي جاء بها الاسلام ولم يكن لها شبيه من قبل . وعلى الرغم من ان التماثل او التشابه بين بعض النظم والبعض الآخر لا يعني ان احدها قد نقل عن الآخر ، الا انه حتى مع التسليم لهؤلاء الادعياء بما يدعونه ، فان ذلك لا ينفي عن التشريع الجنائي الاسلامي اصالته ، لا لشيء الا لانه لا يقوم فقط ـ شأنه في ذلك شأن كل التشريعات والقوانين ـ على النظام العقابي او اساليب العقاب وحدها بل ولعل هذه وتلك لا تعد عنصرا اساسيا من عناصر هذا التشريع ، وانما هي عنصر ثانوي يلي في الاهمية العنصرين الاساسيين وهما الاحكام العامة والقواعد الاجرائية ، التي بدونها لا يمكن ان تتحقق العدالة او تتوفر الحماية للافراد فضلا عن المجتمعات . فالسلطة العليا في المجتمع يمكنها ان تفرض ما تشاء من العقوبات والتدابير ، ولكنها لا تستطيع ان تكسبها الفاعلية والحياة ، وتضعها موضع التطبيق بالاضافة الى توفير الاحترام لها والانزجار بها الا اذا سبقها تنظيم جنائي محكم يقوم على دعامتين قويتين هما : احكام عامة محددة وواضحة ومستقرة ومحكمة تراعي اعتبارات العدالة والمساواة . وقواعد اجرائية سليمة ودقيقة وملائمة لاحوال المجتمع ومتكافئة مع ظروفه واوضاعه ، تستجيب لردود فعله ازاء الجريمة ، وتراعي التوازن بين مصالح الافراد ومصالح الجماعة ، وتوفر الضمانات الكافية للحريات والحقوق .

اما الجزاءات فسواء اكانت جسيمة ام كانت بسيطة ، فانها تأتي دائما في المرتبة الاخيرة بعد القواعد الاجرائية والاحكام الموضوعية . فاذا فسدت هذه او تلك لم يعد من المهم بحال من الاحوال ، ان نقول ان الجزاءات رادعة او غير رادعة ، شديدة وقاسية او خفيفة وهينة . وهذا يبدو بوضوح بالنسبة لبعض الجزاءات التي فرضت على بعض الجرائم واعتقد المشرع في حينه انها سوف تمنع او على الاقل تقلل من الجريمة التي فرضت من اجلها ، فاذا بها لا تحقق ما كان متوقعا منها ، مثال ذلك جناية جلب المخدرات التي رفع المشرع عقوبتها في قانون العقوبات المصري الى الاعدام شنقا ، ومع ذلك لم تنخفض نسبة جرائم جلب المخدرات ، بل ان القضاء نفسه لم يصدر حكما واحدا بالاعدام على كثرة ما عرض عليه من جرائم من هذا النوع ، مما يدل على أن شدة العقوبة او خفتها لا علاقة لها بالاحكام الموضوعية ولا بالقواعد الاجرائية فضلا عن مكافحة الجريمة او الحد منها .

ولـذلك فـان البحث في اصالـة التشريع الجنائي الاسلامي يجب ان يتجه الى دعامتيه اللتين هما دعامتا أي قـانـون الا وهمـا ، الاحكـام العـامة ، ، والقـواعد الاجـرائية ،

وليس معنى هذا اننا نسلم لاعداء التشـريع الاسـلامي بصحـة مـا يزعمونه من عدم اصالته . او على الاقل عدم اصالة النظام العقابي الاسلامي . فمما لا شك فيه انه على الرغم من التشابه القائم بين بعض العقوبات التي وردت فيـه ، وبين عقوبات وردت في تشريعات او قوانين سابقة ، الا انه لا يخلو من اصالة واضحة وبالذات بالنسبة للجزاءات التي استحدثها ومنهـا العقوبـات السالبة للحرية والعقـوبات المـالية فضلا عن صور من التدابير التي وضعها لمواجهة ما يسمى بحـالة الخطورة الاجرامية ، وكلها لم تعرف الا بعد تطبيقها في الدولة الاسلامية بأكثر من اثنى عشر قرنا ، وهو ما سبق أن بيناه في دراسات سابقة ، ولـذلك فسـوف نقتصر هنـا عـلى استعراض معالم الاصالة في التشريع الجنائي الاسلامي بجناحيه وهمـا الاحكام العام ، والقواعد الاجرائية . ولعل ما اشرنا اليه في مقدمة هذه الدراسة من عدم اعتراف التشريع الجنائي الاسلامي بنظام « العود الى الجريمة » هو احد علامات الاصالة التي يتميز بها ، اما اول هذه العلامات فهو ذلك المبدأ الهام الذي تضمنه ذلك التشـريع ولم يكن لـه شبيـه في التشريعات السـابقة او القـوانين الوضعية التي سنها المشرعون ، وهو مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات الذي يقضي بأن « لا جريمة ولا عقوبة بغير نص » فمنذ ان عرف الانسان الحياة في جماعة وخضع للتنظيم الاجتماعي الذي تقوم السلطة السياسية على رأسه ، وحتى ظهور الاسلام ، لم يكن تجريم الافعال والعقاب عليها يخضع لمبدأ او تحكمه قاعدة ، فكان للحاكم ان يجرم من الافعال مـا يشاء ، ويفرض لها من الجزاءات ما يريد ، دون ان يكون لدى الناس علم مسبق بتجريمها والعقاب عليها ، بـل ان التجريم نفسه لم يكن يتميز بالثبات والاستمرار فالافعال تجرم حينا وتباح حينا آخر ، ويعاقب عليها بعقوبة ثم يعاقب عليها بعد حين بغيرها قد تكون اشد او اخف . وهكذا . ليس ذلك فحسب ، بل ان الحاكم كان يعاقب احيانا على الافعال بأثر رجعي على الرغم مما كان لها من وصف الاباحة عند وقوعها . بل ان الحيوان والجماد وفي احيان كثيرة المـوتى ، كانـوا يعاقبون بـاعتبارهم مسؤولـين عن جرائم وقعت ، فضلا عن الاطفال غير المميزين والمجانين والواقعين تحت تأثير الاكراه او المضطرين .

ولم يكن تجريم الافعال وتوقيع الجزاءات على من يرتكبونها يقتصر على الحاكم او اولى الامر ، وانما تجاوزه الى الافراد ، فكان للسيد ان يعاقب افراد اسرته او عشيرته او تابعيه ومنهم عبيده ، وله في ذلك مطلق الحرية فهو يعاقب من يشـاء بما يتراءى له من عقاب ، ويعفو عمن يريد

دون معقب على حكمه او نـاقض لقراره ، بل ودون ان يراعي الملاءمة بين الجريمة والجزاء ، فله ان يوقع اقسى العقوبات من اجل جرم تافه ، بل وله ان يعاقب من لا ذنب له ولا جريرة لمجرد قيام علاقة من نوع ما او توفر ظروف من طبيعة ما بين الجـاني والبرىء ، ومن يقرأ تاريخ المجتمعات سواء في الشرق او في الغرب يجد عجبا ، وهل هناك ما هو اعجب واغرب من ان يقوم احد السادة الرومان باعدام اثنى عشر الف رجل من عبيده لمجرد ان احدهم فر من ضيعته ؟ فأراد ان يخيف الآخرين ويرهبهم حتى لا يحذوا حذوه ، ففعل ما فعل دون ان يسمع كلمة لوم او عبارة تثريب .

كذلك كان للزوج ان يعاقب زوجته فيجدع انفها او يفقأ عينها او يبتر أجزاء من جسدها ، كما كان للاب ان يقتل اولاده . ولم يكن هناك اوصاف معينة للافعال التي تعد جـرائم ، فالسرقة كانت تشمل افعالا ابعد ما تكون عن السرقة ، كذلك كانت التهم التي لا دليل عليها تكفي لمعاقبة المتهم بها ، ولم يكن الانسان يدري وهو يأتي سلوكا معينا ، ما اذا كان هذا السلوك مباحا او محرما ، لانه لم يكن هناك قانون يتضمن نصوصا واضحة ومحددة ، تعرف الفعل وتحدد اركانه فجاءت الشريعة الاسلامية لتفرض مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات ، وقاعدة لا جريمة ولا عقوبة الا بنص . وبمـوجبها لا يسـأل الافـراد عن الجـرائم الا اذا كان قـد صـدر بتجريمها قانون من جهة تملك الحق في اصداره وذلك بناء على قوله تعالى : (**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**) الأسراء / ١٥ وقوله تعالى : (**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**) النساء / ١٦٥ وقوله تعالى : (**وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم اياتنا**) القصص / ٥٩ فالعذاب او العقاب لا يجوز قبـل الانذار والتنبيه الى ما هو مجرم من الافعال ، والتمييز بينه وبين ما هو مباح منها ، فلا يصح ان يفاجأ الناس بتجريم فعل او افعال وتطبيقا لهذا المبدأ لم يصبح شرب الخمر محرما الا بعد ان نزلت الآيات على الرسول عليه الصلاة والسلام بتحريمها ، وكذلك بالنسبة للزواج بين المحارم مثل زواج الابن بـزوجة الاب والجمـع بـين الاختين . ولم يكن التحريم بـأثر رجعي وانما ابتداء من نزول الآيات ، وبالتالي لم يعاقب الذين سبق لهم ان تزوجوا بزوجات ابائهم او اخوات زوجاتهم وانما تم الفصل بينهم دون عقاب اما من أصر على الاستمرار في علاقة الزوجية رغم النهي فقد عوقب باعتباره مستمرا في جرمه غير منته عنه بل ومصر عليه .

وعلى الرغم من النص على هذا المبدأ الهام في التشريع الاسلامي الا ان القوانين الوضعية وبالذات ما صدر منها في اوربا لم تعرفه الا بعد قيام الثورة الفرنسية ، التي كانت اول من نص عليـه في القوانـين التي اصـدرتها ولـلاسف الشديـد فان

الشراح المسلمين المعاصرين الذين لا يعرفون عن القوانين شيئا الا من خلال ما يقرأونه في كتب الغرب ، يزعمون في كتبهم التي يدرسونها لطلاب الحقوق ، ان اول من نص على هذا المبدأ هو القانون الفرنسي .

وعلى الرغم مما يبدو من ان هذا المبدأ خاص بالجرائم التي تعد من الحدود او القصاص ، الا انه لا شك في ان القاعدة ملزمة في غير ذلك من الجرائم التي تسمى بالتعازير ، فلا يجوز للحاكم او ولي الامر ان يخرج على مبدأ الشرعية الذي الزم الله سبحانه وتعالى به نفسه مع عدم لزوم هذا الامر بالنسبة لله ، وهو الخالق المطلق الحرية في شؤون خلقه ، والذي لا معقب على ارادته ولا راد لمشيئته ، ومن ثم فان على ولي الامر الا يجرم فعلا ويعاقب عليه قبل ان ينذر الناس ويحيطهم علما بذلك ويعدهم نفسيا واجتماعيا للالتزام به . وهنا يرتبط بالمبدأ في الشريعة الاسلامية مبدأ آخر ، وهو ضرورة اعلام المخاطبين بالقانون بما صدر منه متضمنا التجريم والعقاب ، فلا يجوز اخفاء امر القانون الذي صدر ، بل ولا يجوز مجرد عدم اعلانه حتى لا يعلم به ، بعض من يرغب الحاكم او ولي الامر في انزال العقاب بهم لغرض في نفسه ـ فقاعدة « لا يعذر شخص لجهله بالقانون » لا تطبق طالما ان العلم بالقانون قد تعذر لاسباب ترجع الى من اصدره .

ولذلك فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد عفا عن رجل وامرأة زنيا بعد دخولهما في الاسلام بفترة وجيزة ، وبسؤالهما اقرا بما اقترفا وبررا ذلك بجهلهما ان الاسلام يحرمه ويعاقب عليه ، فلما تحقق عمر من ذلك اكتفى بضربهما ضربات خفيفة ، وانذرهما بعدم العودة الى مثل ذلك والا عوقبا طبقا لما تنص عليه الشريعة الاسلامية ، ثم اوصى المسلمين بأن يعملوا على تعليم الذين دخلوا الاسلام حديثا امور دينهم ومبادىء شريعتهم .

وفضلا عن هذا المبدأ الاساسي في التشريع الجنائي ، تضمنت الشريعة الاسلامية مبادىء اخرى لا تقل عنه أهمية ، ونظريات لا عهد للقوانين السابقة عليه بها ، بل ان القوانين اللاحقة عليه لم تعرفها الا بعد اكثر من احد عشر قرنا ، مثل نظرية الظروف ، ونظرية المساهمة الجنائية ؛ ونظرية الضرورة ونظرية الدفاع الشرعي ، ونظرية الفاعل المعنوي ، وغيرها من النظريات التي تزخر بها هذه الشريعة ، والتي انتقلت منها الى القوانين الاوربية في العهود التي اتصل فيها الغرب بالشرق فصاغها في نظريات ، زعم انها من وضع ابنائه ومن بنات افكارهم ، ولم نلبث ان نقلناها عنهم دون أن نفطن الى مصدرها الحقيقي ، لا لشيء إلا لغفلة اصابت علماء القانون المسلمين ، الذين اخذوا يسنوحون فيما يضعونه من تشريعات كتب الغرب ، دون ان يكلفوا انفسهم الرجوع الى كتب اسلافهم ولو انهم فعلوا لوجدوا فيها ضالتهم .

الصيغة الاسلامية للتنمية الاقتصادية

للدكتور / محمد شوقي الفنجري

نستطيع ان نلخص الصيغة الاسلامية للتنمية الاقتصادية بانها تنمية شاملة ، ومتوازنة ، وغايتها الانسان نفسه ليكون بحق خليفة الله في ارضه .

١ ـ فاما انها تنمية شاملة :

فذلك لانها لا تستهدف رقي الانسان ماديا فحسب ، وانما روحيا بصفة اساسية :

والروحانية في الاسلام ليست كما يتصور الكثيرون مسألة ميتافيزيقية او غيبية ، وانما هي العمل الصالح ايمانا بالله واعتبارا ومراعاة له تعالى ، سواء كان ذلك الايمان او تلك المراعاة والاعتبار المتأصلة في العقل والنفس والمتمثلة في النشاط والسلوك ، مردها خشيته تعالى والخوف من عقابه او كان مردها ابتغاء مرضاته والفوز بجنته .

فالاسلام لا يعرف الفصل بين ما هو مادي وما هو روحي ، ولا يفرق بين ما هو دنيوي وما هو اخروي . فكل نشاط مادي او دنيوي يباشره الانسان ، هو في نظر الاسلام عمل روحي او اخروى طالما كان مشروعا وكان يتجه به الى الله تعالى . فالله سبحانه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه ، اي ليعملوا عملا صالحا ، **والايمان في الاسلام ليس ايمانا مجردا ولكنه ايمان محدد مرتبط بالعمل الصالح .**

وان مبدأ الشمول في التنمية الاقتصادية الاسلامية ، يقتضي ان تضمن التنمية كافة الاحتياجات البشرية من مأكل وملبس ومسكن ونقل وتعليم وتطبيب وترفيه وحق العمل وحرية التعبير وممارسة الشعائر الدينية .. . الخ ، بحيث لا تقتصر التنمية على اشباع بعض الضروريات او الحاجيات دون الاخرى .

ومن هنا لا يقبل الاسلام تنمية « رأسمالية » تضمن حرية التعبير ولا تضمن لقمة الخبز ، كما لا يقبل تنمية « اشتراكية » تضمن لقمة الخبز وتقتل حرية التعبير .

٢ ـ واما انها تنمية متوازنة :

فذلك لانها لا تستهدف الكفاية فحسب اي زيادة الانتاج بقوله تعالى : (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) التوبة/١٠٥** وانما

تستهدف اساسا العدل اي عدالة التوزيع بقوله تعالى : (**اعدلوا هو اقرب للتقوى**) المائدة / ٨ بحيث يعم الخير جميع افراد المجتمع ، ذلك ان هدف الاسلام من التنمية الاقتصادية هو ان يتوافر لكل مواطن حد الكفاية اي المستوى اللائق للمعيشة بحسب ظروف الزمان والمكان ، لا مجرد حد الكفاف اي المستوى الادنى للمعيشة الذي بدونه لا يستطيع المرء ان يعيش وينتج . فضمان حد الكفاية لا الكفاف لكل فرد ، هو في الاسلام حق الهي مقدس ، ليستشعر نعم الله وفضله فيتجه تلقائيا الى حمده وشكره تعالى وعبادته ، ذلك الحمد والشكر الذي لا يعبر عنه في الاسلام بالقول والامتنان فحسب ، وانما اساسا بالعمل والاخلاص فيه بقوله تعالى : (**اعملوا آل داود شكرا**) سورة سبأ/١٣ وتلك العبادة التي لا تتمثل في الاسلام بالصلاة والتوجه الى الله فحسب ، وانما اساسا بخدمة الغير ومد يد المعونة لكل محتاج بقوله تعالى : **(لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس)** النساء / ١١٤

فالاسلام اذ يتطلب زيادة الانتاج ، يستلزم في نفس الوقت عدالة التوزيع ، بحيث لا يغني احدهما عن الآخر ، فوفرة الانتاج مع سوء التوزيع هو احتكار واستغلال لا يسلم به الاسلام ، كما ان عدالة التوزيع دون انتاج كاف هو توزيع للفقر والبؤس مما رفضه الاسلام ومن ثم لا يقبل الاسلام تنمية « رأسمالية » تستهدف تنمية ثروة المجتمع دون نظر الى توزيع هذه الثروة . واذا كانت التنمية « الاشتراكية » تؤكد العلاقة بين اشكال الانتاج والتوزيع ، الا انها ترى ان نظام التوزيع يتبع دائما شكل الانتاج ، في حين يرفض الاسلام هذه التبعية بحيث ـ ايا كانت اشكال الانتاج السائدة بالمجتمع ـ يضمن اولا حد الكفاية لكل فرد وذلك كحق الهي مقدس يعلو فوق كل الحقوق ، ثم بعد ذلك يكون لكل تبعا لعمله وجهده ، بحيث اذا لم يتوافر حد الكفاية لكل مواطن وهو ما لا يكون الا في ظروف استثنائية كمجاعة او حرب تأسى الجميع في حد الكفاف .

وان مبدأ التوازن في التنمية الاقتصادية الاسلامية ، يقتضي ان تتوازن جهود التنمية ، ومن ثم فانه لا يقبل في الاسلام ان تنفرد بالتنمية المدن دون القرى ، او ان تستأثر الصناعة بالتنمية دون الزراعة ، او ان نقدم الكماليات او التحسينات على الضروريات او الحاجيات ، او ان تسبق الصناعات الثقيلة او المستوردة الصناعا ت الاستهلاكية او المحلية ، او ان يركز على البناء والتشييد دون توفير المرافق العامة والتجهيزات الاساسية .. الخ **من الاخطاء العديدة التي وقعت فيها مختلف الدول العربية والاسلامية ، مقلدة عن وعي او دون وعي ، تجارب شرقية او غربية ، غافلة او جاهلة**

الصيغة الاسلامية بضرورة التوازن الانمائي .

ولا شك ان التنمية غير المتوازنة التي نراها في اغلب دول العالم النامي ، والتي تركز على جزء من الاقتصاد القومي وتزيد من تدهور بقية الاجزاء ، هي تنمية مشوهة بل هي في حقيقتها تنمية للتخلف .

٣ ـ واما أن غايتها الانسان نفسه :

ليكون بحق خليفة الله في ارضه ، فذلك ما يحدد بواعث التنمية الاسلامية ووسائلها .

ففي التنمية الرأسمالية ، الباعث هو تحقيق اكبر قدر من الربح ، مما يؤدي عادة الى الانحراف بالانتاج عن توفير احتياجات المجتمع الضرورية ووفرة انتاج السلع الكمالية التي يطلبها الاغنياء والمترفون ، وما يصاحب ذلك من تحكم المادة ومختلف المساوىء الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الغربية .

وفي التنمية الاشتراكية ، الباعث هو سد احتياجات الدولة وفق اطماع وسياسات القائمين على الحكم لا وفق احتياجات ورغبات المواطنين انفسهم ، مما يهدر كلية حرية الفرد ويجعل منه مجرد ترس او اداة لا غاية .

اما التنمية الاسلامية ، فباعثها ليس الربح شأن التنمية الرأسمالية ، ولا اهواء القائمين على الحكم شأن التنمية الاشتراكية ، وانما هو توفير حد الكفاية لكل مواطن ليتحرر من اية عبودية او حاكمية سوى عبودية او حاكمية الله وحده . **فغاية التنمية الاسلامية هو الانسان نفسه لا تستعبده المادة شأن التنمية الرأسمالية ، ولا يستذله الغير شأن التنمية الاشتراكية ، وانما محررا مكرما يعمر الدنيا ويحييها بالعمل الصالح ليكون بحق خليفة الله في ارضه بقوله تعالى** : (**اني جاعل في الارض خليفة**) البقرة /٣٠ وقوله تعالى : (**هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها**) هود/٦١ . اي كلفكم بعمارتها .

٤ ـ الاسلوب الاسلامي لتحقيق التنمية :

في الاقتصاد الرأسمالي . التنمية الاقتصادية هي في الاساس مسئولية الفرد او القطاع الخاص .

بخلاف الاقتصاد الاشتراكي ، فان التنمية الاقتصادية هي في الاساس مسئولية الدولة او القطاع العام .

اما في الاقتصاد الاسلامي ، فان التنمية الاقتصادية تقوم على تعاون الفرد والدولة معا لكل مجاله ، بحيث يكمل كلاهما الاخر ، ولا يغني احدهما عن الآخر ، وبحيث لا تزداد او تقل مسئولية اي منهما الا بقدر ما تتطلبه طبيعة وظروف التنمية في كل مجتمع . فالدولة تشجع الافراد على الاستثمار والقيام بمختلف المشروعات الانتاجية ، وتنفرد بالقيام بالمشروعات التي يعجز الافراد عن

القيام بها كصناعة الحديد والصلب او يعزفون عنها كتعمير الصحاري او يقصرون فيها او ينحرفون بها كاقامة المدارس والمستشفيات .

ومن ثم فان الاسلوب الاسلامي لتحقيق التنمية الاقتصادية ، لا يبخس دور الدولة في التنمية شأن الاسلوب الرأسمالي ، ولا يهدر دور الفرد في التنمية شأن الاسلوب الاشتراكي ، بل يحقق التعاون والتكامل بين الفرد والدولة بحيث يستفيد من طاقة وامكانية كل جانب بقدر ما تسمح به ظروف كل مجتمع .

٥ ـ الضمانات الاسلامية لنجاح التنمية

ولعل اكبر ضمان لنجاح جهود التنمية الاقتصادية واستمرارها ، ومما ينفرد به الاقتصاد الاسلامي دون سائر الاقتصاديات الوضعية ، هو ارتفاعه بالتنمية الى مرتبة العبادة .

ذلك ان الاسلام لم يكتف بالحث على العمل والانتاج بقوله تعالى : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** التوبة / ١٠٥ وقوله عليه الصلاة والسلام . (من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له يوم القيامة) اخرجه الطبراني .

اكثر من ذلك اعتبر الاسلام السعي على الرزق وخدمة المجتمع وتنميته ، افضل ضروب العبادة . فقد ذكر للنبي عليه الصلاة والسلام رجل كثير العبادة ، فسأل من يقوم به ، قالوا اخوه ، فقال عليه الصلاة والسلام (اخوه اعبد منه) وقد اراد احد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله تعالى ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : (لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله ـ اي في خدمة المجتمع وتنميته ـ افضل من صلاته في بيته ستين عاما) اخرجه الحاكم ، ويقول عليه الصلاة والسلام : (لكل امة سباحة وسباحة أمتي الجهاد في سبيل الله)اخرجه الحاكم .

ونخلص مما تقدم ان التنمية الاقتصادية في الاسلام ، هي تنمية شاملة ، ومتوازنة ، غايتها الانسان نفسه ليكون بحق خليفة الله في ارضه ، وانها مسؤولية الفرد والدولة لكل مجاله بحيث يكمل كلاهما الآخر ولا يغني احدهما عن الآخر ، وانه لضمان نجاح التنمية واستمرارها ارتفع بها الاسلام الى مرتبة العبادة ، بل وصل الامر في حرص الاسلام على التنمية والتعمير ان قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (اذا قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة ـ اي شتلة ـ واستطاع ان يغرسها ، فليغرسها فان له بذلك اجراً) رواه البخاري ومسلم .

ولقد لخص سيدنا عمر بن الخطاب نظرة الاسلام الى العمل والتنمية بقوله (والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل ، فهم اولى بمحمد منا يوم القيامة) .

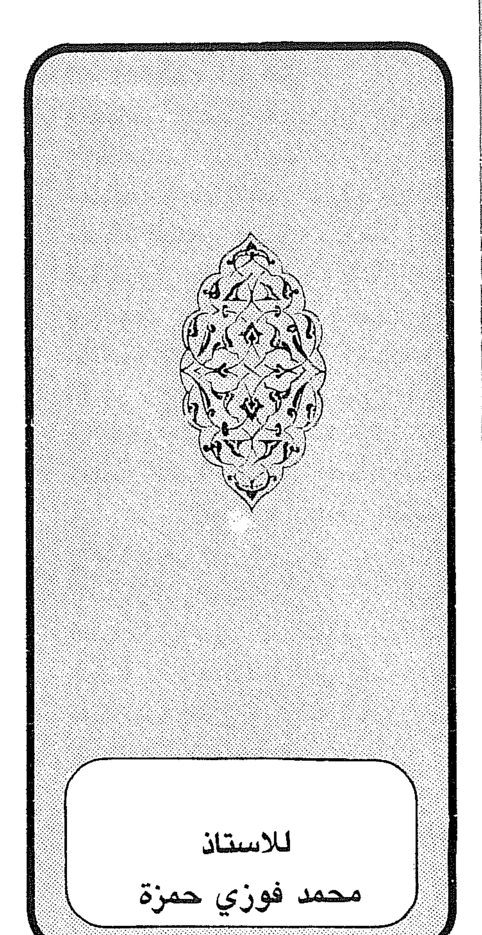
عندما يكون المصرف

تقديم وتعريف

التمويل بالمشاركة ، خدمة يقدمها المصرف الاسلامي لعملائه فتكون لها آثار طيبة على عملية التنمية ، ومعناها باختصار ان يقوم المصرف بالاسهام في تمويل المشروع في مقابل ان يكون شريكا في ملكيته ، وشريكا في ارباحه ، ومن الطبيعي انه ـ كشريك ـ يتحمل ايضا جزءا من خسارته .

موقع المشاركات من اعمال المصارف الاسلامية :

وهذه العملية تدخل في اعمال المصارف الاسلامية ضمن وظيفتها الاقتصادية الاجتماعية ، فان لهذه المصارف نوعين من العمليات ، أحدهما : تباشره باعتبارها مؤسسات



للاستاذ
محمد فوزي حمزة

الإسلامي

شريكاً في أعمالك

مصرفية ، ويندرج تحته مختلف العمليات المصرفية من فتح الحسابات وصرف الشيكات واصدار خطابات التعهد وخطابات الضمان وخطابات الاعتماد والاقراض « الحسن ».

والنوع الثاني : تباشره باعتبارها مؤسسات اقتصادية لها دور اجتماعي ، وتدخل ضمن وسائلها عمليات الاستثمار المباشر ، سواء بطريق شراء الاسهم او بطريق المضاربة والبيع بالمرابحة والمشاركة ، والمشاركة المنتهية بالتمليك ، فالمصارف الاسلامية مؤسسات لها دور اقتصادي واجتماعي معا ، وقد فصل المفكرون القول في هذا الامر وقالوا في ذلك « اما البنوك الاسلامية فهي مؤسسات اجتماعية ومالية في نفس الوقت ، تعمل كاداة في خدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الاسلامية ، وتوفير الموارد المالية اللازمة لتنفيذ المشروعات التي تتطلبها عملية تنمية المجتمع وتحقيق الاحتياجات الاساسية له ، وهي اعمال طويلة الاجل غالبا ، كما انها لا تتعامل بالفائدة ، بل تقوم على اساس الاستثمار المباشر او الاستثمار بالمشاركة في الربح والخسارة...... ».

كما تنص القوانين المنظمة لانشاء وتأسيس هذه المصارف على اعتبار هذه العملية « المشاركة » جانبا هاما من اوجه نشاط المصرف ، فينص القانون الخاص بانشاء البنك الاسلامي الاردني للتمويل والاستثمار على ان البنك يقوم بجميع اعمال التمويل والاستثمار على غير اساس الربا ، من خلال عدة وسائل عد من بينها « .. تقديم التمويل اللازم كليا وجزئيا في مختلف الاحوال والعمليات القابلة للتصفية الذاتية ، ويشمل ذلك اشكال التمويل بالمضاربة والمشاركة المتناقصة ، وبيع المرابحة للامر بالشراء وغير ذلك من صور مماثلة ..».

ولهذه العملية اهداف اقتصادية واجتماعية معا ، اهمها تعاون راس المال وخبرة العمل في التنمية الاقتصادية ، وحصول المستثمر على الربح العادل الذي يتناسب مع الدور الذي اداه ماله ، وتحرير المودعين من النظرة الفردية السلبية التي يتسم بها المودع الذي ينتظر فائدة ربوية ، وتنشيط عمليات التنمية في المجتمع والنهوض باقتصادياته ، وطبيعي ان من اهم اهدافها الخاصة ، فتح مجال لتوظيف اموال المساهمين والمودعين وتحقيق الارباح .

ولا شك في ان هذه العملية تعتبر وسيلة جدية لتوفير المال للمشروعات المزمع انشاؤها ، اذ انها توفر على منشىء المشروع مهمة البحث عن شريك ، وتمهد امامه الطريق سالكة الى هذه الخدمة من خدمات المصرف الاسلامي ، كما انها في الوقت ذاته تعتبر منفذا هاما للمدخرات تسلكه الى اوجه الاستثمار ، اذ « ... تعتبر المشاركة في الربح من اهم اساليب توظيف الاموال التي من شأنها ان تفي بحاجات المشروع لرأس المال السائل خلال الفترة التي تمر بين بدء الانتاج وتسويقه « دورة الانتاج »، كما انها وسيلة لاجتذاب الاموال الى النشاط التجاري ، فعندما يحتاج رب العمل الى رأس مال سائل خلال دورة الانتاج ، فانه يمكنه ان يتعاقد مع احد او بعض المستثمرين ، على تقديم ما يلزمه من المال ، وفي نهاية الدورة تصفي الايرادات من التكاليف ، ويوزع الباقي على المشتركين ، وفقا للطريقة المتفق عليها ابتداء ، وبنفس الطريقة يمكن للتجار ان يستوظفوا اموال الغير في اعمالهم ».

اساس هذه العمليات

وهذا النوع من عمليات المصارف الاسلامية ، يقوم على ما عرف في المعاملات الشرعية باسم « الشركة » ، وهي نوع من المعاملات عنيت بشرحه والتفصيل فيه مذاهب الفقه الاربعة ، وقد عرفها الحنابلة بانها « الاجتماع في استحقاق او تصرف »، والشافعية بانها « ثبوت الحق شائعا ـ اي عاما بين الشركاء ـ في شيء واحد او عقد يقتضي ذلك »، والاحناف بانها « اختصاص اثنين فاكثر بمحل واحد »، والمراد بالمحل هنا هو الشيء الواقع عليه الشركة كالمال والارض وغيرها ، وعرفها المالكية بانها « ما يحدث بالاختيار بين اثنين فاكثر من الاختلاط لتحصيل الربح ».

والشركة ثلاثة انواع ، شركة الاباحة وتعني اشتراك اكثر من واحد في شيء مباح كالماء والعشب والكلأ والهواء ، والثاني شركة الملك كاشتراك اكثر من واحد في ملكية بعض الاعيان بطريق الارث ، والثالث شركة العقد وهو اهم الانواع ، وهو الذي يعنينا هنا امره ، وقد بين العلماء القول فيها بتفصيل معقول ، وعرفها بعض المعاصرين بانها « عقد بين اثنين او اكثر على الاشتراك في المال وربحه ، او على الاشتراك في الربح

دون المال ، او الاشتراك في عقد العمل ، او الاشتراك فيما يباع ويشتري دون ان يكون هناك رأس مال لهم يتجر فيه ».

فاما الاشتراك في المال وربحه ، فتقديم جانب من رأس المال والحصول على حصة من الارباح ، وهو المقصود به هنا عمليات المشاركة التي تباشرها المصارف الاسلامية ويباشرها الافراد ايضا ، واما الاشتراك في الربح دون المال فهو المعروف في عمليات المضاربة ، واما الاشتراك في عقد العمل فكشركات المقاولات اذ يتفق اثنان او اكثر على تكوين شركة مقاولات فيكونون شركة في تنفيذ ما يسند اليهم من عقود العمل ، واما الاشتراك فيما يباع ويشتري دون ان يكون هناك رأسمال لهم يتجر فيه ، فمثله الشركات التي تباشر اعمال الوكالة والسمسرة .

من قبل ، سقنا ما قدمته المذاهب الاربعة من تعريف للشركة ، كما سقنا طرفا من تعريف المعاصرين لها ، ومن هذا التعريف الاخير ، قلنا ان عبارة الاشتراك في المال وربحه « هي التي يقصد بها هنا عمليات المشاركة التي تباشرها المصارف الاسلامية ، وقد اكد ذلك القائمون على امر هذه المصارف ، فيقول رئيس الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية : « الاستثمار بالمشاركة يعني مساهمة البنك في رأس المال لمشروع انتاجي ، مما يترتب عليه ان يصبح البنك شريكا في ملكية المشروع وشريكا في ادارته ، وكل ما ينتج عنه من ربح او خسارة بالنسب التي يتفق عليها »، ويؤكد ذلك الكتاب الذي اصدره الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية ، ويزيده ايضاحا بترتيب الاوضاع القانونية التي تنجم عن هذه المشاركة فيقول « ... مما يترتب عليه ان يصبح البنك شريكا في ملكية المشروع ، وشريكا في ادارته وتسييره ، وشريكا ايضا في كل ما ينتج عنه من ربح او خسارة بالنسب التي يتم الاتفاق عليها .

فنحن هنا بازاء امرين ، اسهام البنك باموال في رأسمال المشروع ، ثم الاثار الناجمة عن دوره كشريك ، وقد اوضحنا من قبل انه تنشأ له حقوق في الملكية ، وحقوق في الربح ، وحقوق في الادارة .

اسهام المصرف الاسلامي في رأس المال ..

فاما الاسهام في رأس مال المشروع ، فهو خدمة يقدمها المصرف الاسلامي بعد التقدم اليه بفكرة المشروع والدراسات الاولية حول هذه الفكرة ، اذ يتقدم العميل الى المصرف بطلب المشاركة في مشروعه ، مشفوعا بدراسة معقولة لهذا المشروع وظروف تشغيله ، ومعدل ربحيته وغير ذلك من المعطيات الضرورية ، ومدعما بقدر من رأس المال المقترح ، يقدمه العميل تأكيدا منه للجدية واسهاما منه في رأس المال ، فيقوم المصرف من جانبه بدراسة جدوى المشروع وتمحيص معطياته التي قدمها العميل ، وعند

التحقق من الجدية والجدوى معا ، لا يمتنع المصرف الاسلامي عن توظيف بعض امواله في الاسهام في رأسمال المشروع ، فالخطوات اذن ثلاثة ، الاولى من جانب العميل وهي طلب المشاركة وتقديم جزء من رأس المال ، والثانية والثالثة من جانب المصرف ، وهما التأكد من الجدية والجدوى ثم الاسهام في رأس المال .

ويتخذ المصرف الى الاسهام بامواله احد طريقين ، « .... الاول : ان يكون الانفاق مباشرة بمعرفة البنك ، سواء بتسليم المبالغ للشريك نقدا او بشيكات ، او الانفاق في خصائص المشروع نقدا او بشيكات او بشيكات مصرفية او حوالات ، والثاني ان يرخص للشريك بالصرف عن طريق سحب شيكات على حساب المشروع وفي الحدود التي يرخص بها ».

حقوق المصرف الاسلامي على المشروع

واما الحقوق التي تترتب على المشروع للمصرف بناء على عمليات المشاركة ، فهي باختصار حقوق الشريك في رأس المال وفي الربح وفي الادارة ، وهذه الحقوق نختصر القول فيها على النحو التالي :

حق المصرف في رأس المال :

اذ يستمر المصرف مالكا لحصته في المشروع طوال فترة تشغيله ، وعند التصفية يسترد قيمة حصته في صافي اصول المشروع ، وهي حصة مشاع في صافي الاصول الا اذا اتفق من قبل على ترتيب حقوق مستقبلة على بعض الاصول ، كأن يتفق على تخصيص جانب منها ليكون ضمن نصيب المصرف عند التصفية ، كما يفعل بعض الشركاء احيانا ، ولكن هذا مسلك من النادر ان تسلكه المصارف ازاء عمليات المشاركة ، فلم تقدم التجربة حتى الان واقعة واحدة من هذا القبيل ، والذي قدمته التجربة كله عكس ذلك ، وهو ان يبيع المصرف حصته الى العميل دفعة واحدة في نهاية فترة التشغيل المتفق عليها او على دفعات كما سيلي تفصيله عند الحديث عن حالات « المشاركة المتناقصة ».

وعند انتهاء فترة التشغيل المتفق عليها يسترد المصرف قيمة حصته في التصفية ، وفترة التشغيل هذه تسمى من وجهة نظر المصرف فترة توظيف المال « ...... ومن الممكن ان تتراوح فترة توظيف المال بين ستة شهور واثنى عشر شهرا في حالة المشروعات الصناعية والزراعية ، الا ان تلك الفترة تقصر الى ستين او تسعين يوما في حالة المشروعات التجارية ».

حق المصرف في الارباح :

ومن الطبيعي ان يكون للمصرف الاسلامي الحق في جزء من ارباح المشروع الذي يسهم في رأس ماله بطريق المشاركة ، فبعد تجنيب

تكاليف العمليات الانتاجية والتسويقية من ايرادات المشروع ، بما في ذلك ما يتفق على تجنيبه للعميل مقابل الادارة ، تقسم الارباح المتبقية بعد ذلك بين المصرف والعميل ، وفقا لنسبة التوزيع المتفق عليها ، وفي المقابل على المصرف ان يتحمل بنصيبه في الخسارة ان تحققت ، وهذا افتراض عملي يتحقق في بعض المشروعات ، ولكن التجربة العملية اثبتت انه افتراض ندر تحققه في المشروعات التي اسهمت فيها المصارف الاسلامية حتى الآن نظرا لان دقة الدراسات التي يقوم بها جهاز المشاركات في هذه المصارف والتي تجري قبل الموافقة على الاسهام في المشروع تجعل من الصعب تحقق هذا الاحتمال ، الا في حالات نادرة جدا ، وعلى اي فان كلا من المصرف والعميل يتحمل بنصيبه من الخسارة وفقا لنسبة الاسهام في رأس المال ، اما اذا كانت نتيجة الاعمال ارباحا ، فان نسبة الاسهام في رأس المال تكون معيارا عادلا للتوزيع طالما تم تجنيب حصة من الارباح للعميل قبل التوزيع مقابل الادارة ، ومعلوم ان الحصول على نسبة من الارباح ، هو السلوك البديل للفائدة الربوية التي تغتنمها المصارف الربوية ، وليس من جدال انه سلوك اقرب الى الرشد وسبيل اهدى الى النجاح .

حق المصرف في الادارة :

من هذه الحقوق ، افادت مطبوعات الاتحاد الدولي للمصارف الاسلامية بانه ينشأ للمصرف الاسلامي الحق في الاشتراك في ادارة وتسيير المشروع ، ولكن التطبيق العملي اشار الى واقعية الحد من ممارسة المصرف لهذا الحق ، وقد بلغ التقليل « عمليا » من اشتراك المصرف في الادارة درجة بلغت في بعض الاحيان الى ان يقتصر دوره على المراقبة ، وقد ذكر ان بنك فيصل الاسلامي السوداني « يعطي العميل نسبة من الارباح تتراوح بين ٣٠٪ ، ٣٥٪ قبل التوزيع مقابل الادارة ، لأن البنك لا يشترك في الادارة ويكتفي بالمراقبة ولا يتدخل الا استثناء »، فالمراقبة - وليس الادارة - هي الصيغة العملية لهذا الحق ، ونتوقع ان تكون ممارسة المصرف الاسلامي لهذه المراقبة عن طريق الزام العميل « الشريك » بامساك دفاتر منتظمة وتأكيد حق المصرف في الاطلاع على هذه الدفاتر ومراجعتها وتنظيم الطريقة المثلى لهذا الاطلاع .

ثم نأتي بعد ذلك الى الاثار الناجمة عن طبيعة العلاقة بين المصرف والعميل ، اذ يمكننا اعتبار كل من العمل ورأس المال قوام شركة تقوم بين المصرف من جهة والعميل من جهة اخرى ، وهنا ينشأ نوع من الاختلاف بين دور المصرف الاسلامي باعتباره ممولا ودور المصرف الربوي ، منشأ هذا الاختلاف ، هو انه لن يمارس دوره التمويلي عن طريق الاقراض بالفائدة ، ولكن يمارسه بالدخول في العملية باعتباره شريكا فيها ، وبالمثل

يختلف دور العميل ، وعلاقته بالمصرف الاسلامي عن الحال مع نظرائه من عملاء المصارف الربوية ، اذ ان علاقة هؤلاء النظراء بالمصرف الربوي الذي لا يتصل بالعملية الا عن طريق الاقراض ولا يكون له فيها الا دور المقرض ، لا تعدو ان تكون علاقة المدين بدائنه ، ووفقا لانحصار هذه العلاقة في هذا الاطار ، نجد عقد القرض يصاغ وتؤسس بنوده على فلسفة الدين وحدها ، اما في نظام المشاركات الذي يعمل به في المصارف الاسلامية فان علاقة العميل بالمصرف ـ الشريك ـ تتغير كثيرا عن هذا المفهوم ، لتشمل طلب المشورة والتماس المعاونة الفنية او التسويقية ، وطلب المعاونة في دراسة وتطوير المشروعات ... الى آخره ، بل وتشمل ايضا امكانية طلب الموافقة على تأجيل مواعيد البيع اذا كانت الاسعار الحالية تعرضت للانخفاض ، او اذا كان من بين التوقعات ان ظروفا مواتية في طريقها الى حلبة الاسواق .

وهذا التأجيل يوافق عليه المصرف الاسلامي بغير شروط معسرة كالتي يمليها المصرف الربوي للموافقة على مد اجل الدين ، فالمصرف الربوي ما هو الا مقرض يريد لامواله ان تثمر وهي ـ في عرفه ـ لا تثمر الا معدل الفائدة ، غير المصرف الاسلامي « الشريك » الذي يعنيه تحقيق اكبر منفعة من السلع التي يشترك في انتاجها ، ويدرك ـ من ثم ـ ان عليه ان يتيح قدرا من المرونة للعميل ـ شريكه ـ بموجبه يشترك معه في الخضوع لاعتبارات السوق وظروف التشغيل وغيرها من معطيات العملية الانتاجية والتسويقية .

ومن بين الشروط المعسرة التي يمليها المصرف الربوي ، للموافقة على مد اجل الدين ، الحصول على فائدة جديدة والاستمرار في حيازة الضمان وغير ذلك ، نجد المصرف الاسلامي لا يتقاضى مقابلا يشترطه للموافقة على تأجيل موعد البيع ، وليس مقبولا ـ ولا واردا في معاملات المصارف الاسلامية ـ ان يقابل هذا التعديل تعديل مماثل في نسبة توزيع الارباح بين المصرف وبين العميل ، فقد تعرف من قبل من الايرادات ما يعتبر ربحا ، وقد اتفق من قبل على كيفية توزيعه ، وانما المعقول ان الذي يعوض المصرف الاسلامي عن التأخير في موعد الحصول على امواله الناتج عن تأخير موعد البيع ، هي المنفعة التي ينتظرها باعتباره شريكا في الارباح من التحسن المنتظر لاسعار البيع .

من طبيعة هذه العلاقة ، قلنا ان المصرف الاسلامي يوافق على تأخير مواعيد البيع عند اقتضاء الحال انتظارا للميسرة او ترقبا لظروف افضل ، ومن طبيعتها ايضا انه يسارع الى توجيه العميل الى تعجيل البيع ، إن استشعرت اجهزته ظروفا مواتية في الوقت الحالي اتيح له ادراكها بحكم وجوده بالسوق او استشعر ذلك من اجهزته المختلفة .

ومن طبيعتها ايضا ، انه يساعد العميل « الشريك » على تسويق

منتجاته ، وهو يجد سهولة في تقديم هذه المساعدة ، خصوصا اذا كان من بين عملائه من يشتغل في تصريف هذه المنتجات ، في هذه الحالة ، وقد سبق ان بينا ان المصرف الاسلامي يحتفظ لنفسه بحق مراقبة المشروعات التي يشترك فيها ، فانه يستطيع ـ من جراء هذه المراقبة ـ ان يستشعر امكانيات التنسيق بين مصالح عملائه ، وقد يقدم نصائحه في حدود هذا التنسيق وقد يقوم هو بممارسة دور الوسيط في ما بين المصنع والمتجر اللذين يسهم بأمواله فيهما معا ، ومن جراء هذا التنسيق يحقق المصرف الاسلامي منفعة كبرى له ولعملائه ، واذا مارس دور الوسيط فانه يستطيع ان يحقق ارباحا من هذه الوساطة للمساهمين والمودعين فيه .

ومن اثر ذلك ايضا ، ان يكون المشروع محل هذه العملية اكثر صلابة في مواجهة ظروف ومعطيات العملية الانتاجية ، وظروف السوق ، واكثر مقدرة على التعامل معها ، اذ ان العميل ـ وهو الذي يعول عليه في الجانب الاكبر من ادارة المشروع ـ يعمل مدعما بامكانيات المصرف ويستفيد من مرونته فيما يتعلق بمواعيد البيع عند التعامل مع تقلبات الاسعار ويستفيد كذلك من استعداد اجهزة المصرف لتقديم المشورة للمشروعات والتنسيق بين مصالحها ، غير عميل المصرف الربوي الذي يقف وحده ، ووراء ظهره مواعيد السداد ومطالبات المصرف واعتبارات الفائدة والضمان وغيرها من الاعتبارات تدفعه دفعا الى اتخاذ مركز غير مرموق ازاء ظروف مشروعه وظروفه التسويقية .

الفارق بين عمليات المشاركة وعمليات المضاربة

وتجدر الاشارة الى ان ثمت فارقا بين عمليات المشاركة التي يباشرها المصرف الاسلامي وعمليات المضاربة التي يباشرها ايضا ، وهذا الفارق يعود الى اختلاف اساسي بين النوعين من العقود التي تستند اليهما العمليتان ، اقصد « عقد الشركة » و « عقد المضاربة » اذ ان المضاربة ـ رغم انها نوع من انواع الشراكة ـ تفترض وجود شخصين ، احدهما يمتلك رأس المال والثاني يمتلك القدرة على العمل ، فيقدم الاول المال الى الثاني ليعمل فيه ، على ان يكون الربح الناتج من هذه العملية « المضاربة » شركة بينهما ، يوزع كيفما يتفق عليه اولا ، دون ان يرتبط توزيعه برأس المال ، وبناء عليه يكون الفارق ـ بالنسبة الى عمليات المصرف ـ ان المصرف في حالة المضاربة هو الذي يقدم رأس المال كله ، ومن ثم يقع عليه وحده عبء التمويل ، ولا يقدم العميل شيئا منه ، بينما في المشاركة يكون هذا العبء قسمة بين الطرفين ، وان تجاوز ما يقدمه المصرف اضعاف ما يقدمه العميل .

ويترتب على هذه فوارق اخرى ، منها انه في حالة المشاركة يرتبط توزيع الارباح والخسائر بنسبة الاسهام في

رأس المال ، وقلنا ان ذلك يعتبر مؤشرا معقولا اذا احتسبت للعميل حصة من الايراد قبل التوزيع مقابل الادارة ، بينما في حالة المضاربة لا يرتبط توزيع الربح بتقسيم رأس المال ، لأن هذا التقسيم غير موجود اساسا ، وانما يوزع الربح كيفما اتفق عليه اولا ، وفي الوقت ذاته لا يتأثر المضارب عند تحقيق الخسارة ، التي ان تحققت تحملها المصرف وحده ، وقد قال في ذلك بعض المفكرين : « يكون الربح بينهما بالنسبة التي يحددانها ويتفقان عليها ، وهذا اذا حدث ربح ، واذا حدثت خسارة يتحملها صاحب رأس المال وحده ، ويضيع على العامل فقط جهده وعمله ، اذ ليس من العدل ان يخسر جهده ويتبع ذلك بغرم آخر ، وهذا في الحالات الطبيعية التي بذل فيها العامل جهده وتحدث الخسارة بأسباب ليس له مدخل فيها »، كما قد أشار الفقهاء الى أنه لو شرط الطرفان في العقد ان تكون الوضيعة « الخسارة » عليهما بطل الشرط والمضاربة صحيحة »، وبناء عليه « انفراد المصرف دون العميل المضارب بتحمل اعباء التمويل . وانفراده كذلك بتحمل الخسارة ، ثم عدم اعتبار رأس ماله عند توزيع الربح » يكون المصرف قد تحمل في حال المضاربة قدرا من المخاطرة يفوق ما يتحمله في المشاركة .

على ان هذه لا تحمل المصارف الاسلامية على التخوف من الدخول في عمليات المضاربة ، فهذه المصارف تخضع العمليات التي تباشرها من هذا القبيل لانواع من الدراسة الواسعة والمراقبة اثناء التنفيذ ، ولا توظف اموالها فيها الا بعد التأكد من جديتها والوقوف على مستوى جدواها ، وقد مارستها المصارف الاسلامية المعروفة للآن على نطاق معقول ، واثبتت الممارسة العملية نجاحها في تقديم هذه الخدمة والاستفادة منها ، ولذلك نجد ممن مارسوا تقديم هذه الخدمة من يقلل من اهمية القول بأن ارتفاع درجة المخاطرة في حال المضاربة ، يشكل عاملا هاما يدعو مديري هذه المصارف الى الاحجام عن تمويل عملياتها ، فيقول : « ولهذا يتصور ان هذه الصيغة اكثر مخاطرة ، ولكن العمليات التي قمنا بها عن طريق المضاربة صادفت النجاح المتوقع لها ».

ما الضمان في حالة المشاركة ؟؟

وقال قائل : « ان صاحب المال - قل هذا المال او كثر - ليحرص حرصه على ولده ان يضع ماله الا حيث يراه محوطا بأوثق الضمانات من ان يتعرض لاي سوء يذهب بأي شيء منه ، بل لا بد من ان يعود اليه ومعه عائد يعوضه عن غيبته عنه ، وما يساوره خلال تلك الغيبة من حنين ووحشة ، فاذا علم هذا من رأس المال وطبيعته ، وتعلق النفوس به ، كان لا بد لنجاح صيغة التمويل التي تعتمد عليها البنوك الاسلامية في جلب رؤوس

الاموال اليها من ان تحقق لاصحاب المال الذين يودعون اموالهم فيها امرين : الامر الاول : الضمان الوثيق الذي لا يتطرق اليه اي طارق من شك في ان ما يودع فيها من اموال هي في حراسة امينة من المخاطرة التي تذهب بأي شيء منه ، والامر الثاني : هو ان يعود المال الى مودعه بربح »، وشأننا الآن هو الامر الاول ، اي الضمان ، وهو ما تحدث فيه فقال ،: « ... اما اسلوب المشاركة الذي تعتمد عليه البنوك الاسلامية في تجربتها الجديدة تلك ، فانها فيما ارى لا تحقق الضمان المطلوب للمودعين ، لأن هذا الاسلوب هو ما يعرف في الاسلام بالمضاربة « كذا »... وفي ذلك الحين كان الايمان ذا سلطان متمكن من القلوب ، الامر الذي يضمن معه المضارب بماله ان هذا المال في يد امينة تخاف الله ، وانه اذا ضاع هذا المال فلن يتطرق شك من صاحبه الى اتهام المستثمر له بالخيانة او التقصير... اما المضاربة في يومنا هذا ، وقد ذهبت الثقة بين الناس او كادت ، فانها لا تصلح وسيلة لاستجلاب المال من ايدي اصحابه لاستثماره ».

انتهى الحديث ، ونحن - على تحرزنا في قبوله كما سنبين وشيكا - نؤيد اهمية عنصر الضمان الذي يعول عليه المودعون والمساهمون في الموافقة على توجيه المصرف مدخراتهم الى اسلوب المشاركات ، فالطبيعي ان هذه العمليات تستمد مصدر تمويلها من اموال المساهمين والمودعين في الودائع الاستثمارية والادخارية والودائع تحت الطلب ، والمعقول ان هؤلاء جميعا بحاجة الى ما يضمن الا تتعرض اموالهم للمخاطرة في مشروعات انتاجية صناعية وزراعية ومشروعات تجارية قد تبوء بالفشل ، ومن هنا تنشأ حاجة المصرف الشديدة الى تأمين السلامة لهذه الاموال ، وتحقيق الوسائل التي تضمن عدم ضياعها في مخاطر المشروعات ، ولما كان المصرف الاسلامي لا يستطيع - بحكم اهدافه الاجتماعية وبحكم نظامه العام المتفق مع احكام الشريعة الاسلامية - ان يلجأ الى اسلوب المصرف الربوي في التنصل من كل مسؤولية تترتب على مخاطرة المقترض ، فلا بد له من البحث عن وسائل اخرى يتحقق من خلالها الضمان المطلوب .

ولكن الرأي الذي مر بنا من شأنه أن يثير كثيرا من مخاوف المساهمين والمودعين ، ويدعوهم الى مطالبة المصرف بالاحجام عن مباشرة هذه العمليات ، والواقع ان لهؤلاء المساهمين والمودعين ان يركنوا الى جانب كبير من الاطمئنان ، فالقائمون على امر هذه المصارف والدارسون لاوجه نشاطها ، تفتقت اذهانهم عن اسباب متعددة تجعل الضمان المتوفر للاموال المستثمرة في هذه العمليات اكثر من الضمان المتوفر لقروض المصرف الربوي ، فهذا يعنيه التحقق من ضمان القرض باعتباره حقا عينا في ذمة المدين ، فيطلب التحقق من شخصية المقترض والتحقق من ثروته ، وحيازة مقابل الضمان ، وهذه

جميعا تتحقق منها المصارف الاسلامية عند الدخول في مشاركة ، فتقوم بدراسة شخصية العميل المشارك وثروته واحيانا تطلب نوعا من الضمان الشخصي من شخص ثالث غير المشارك ، كما تعني بتحصيل جزء من رأس المال من المشارك لضمان الجدية ، فضلا عن ان المصرف يظل مالكا لحصته في المشروع ملكية تامة ، ولا مانع من اشتراط المصرف حيازة البضاعة في مخازنه لحين البيع او التوريد .

هذا كله من باب الضمان لحقوق المصرف في المشروع باعتباره عينا قائمة ، وفضلا عن ذلك تعني المصارف الاسلامية بتحقيق الضمان للاموال المسهمة في المشاركات باعتبار العائد المتوقع منها ، فمن الضروري لاصحاب هذه الاموال الاطمئنان الى ان المصرف يوجهها فيما يعود بالربح ، واكبر ضمان من هذه الناحية ، هو الدراسة التي يقوم بها المصرف قبل الدخول في المشاركة ، ولا جدال في ان الامكانيات المتوفرة لاجهزة المصرف وتمرسها في هذه العمليات يجعل من الصعب جدا ان تخطىء التقدير ، واهم جوانب هذه الدراسة ـ وفقا لمطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية ـ مدى ربحية المشروع والطلب على منتجاته ، وعلاقة السوق بالسلع البديلة له او المنافسة ، واتجاه اسعار المنتجات والخامات الخاصة بالمشروع ، فضلا عن جوانب اخرى هامة ، كعدم تعارضه مع اهداف خطة التنمية بالدولة ،... والانتعاش والعائد الاجتماعي والانساني على اهالي المنطقة التي يعمل فيها ، ومدى مساهمة المشروع في تشغيل الايدي العاملة واسهامه في حل مشكلة البطالة ، وموافقة المنتجات من ناحية تحقيق الاهداف الاجتماعية للمصرف ، كأن تكون السلعة منتجة محليا وعدم تعارض المشروع مع فكرة الادخار والحد من الاستهلاك والاسراف .

وفضلا عن هذه الدراسة ، عنى المهتمون بنشاط هذه المصارف بتحقيق اسباب اكثر ضمانا لئلا تتعرض اموال المصرف وارباح تشغيلها معا لجانب كبير من المخاطرة ، فان تحقق الخسارة ـ رغم الدراسة ـ افتراض عملي تتعرض له بعض المشروعات ، ولتوفير الوسائل الاكثر ضمانا يقترح بعضهم تدبير الضمان « .... في شكل صناديق تعاونية يصب فيها جزء محدد من العوائد الربحية .. يستقطع من الارباح الكلية قبل اقتسامها بين البنوك والمستثمرين لمجابهة أخطار الخسائر التي تصيب بعض عمليات المضاربة او غيرها ، وفي شكل شركات تأمين تعاونية لهذا الغرض ، تتحمل اموال المضاربة نفسها اقساطها لتأمينها مما تتعرض له من اخطار ».« وبالفعل مارست المصارف الاسلامية هذا الاسلوب عمليا وانشأت له بعض شركات التأمين التعاونية ، كتلك التي انشأها بنك فيصل الاسلامي السوداني ،..

وبذلك توفر عنصر الضمان المطلوب بهذا التدبير المشروع »، والشركة المقصودة هنا هي شركة التأمين التعاونية الاسلامية السودانية ، وقد انشأها بنك فيصل الاسلامي السوداني وتمارس اعمالها في السودان بأسلوب مبتكر ، يتفق مع الشريعة الاسلامية ، ومن بين اعمالها التأمين على اموال وارباح المشروعات التي يسهم فيها هذا المصرف ، وقد بدأت الشركة اعمالها مع بداية السنة الميلادية ١٩٧٩ .

ومن المناسب الاشارة الى ان المصارف الاسلامية حفاظا على ثبات قيمة الودائع الاستثمارية تعمل على تنويع استثماراتها المختلفة وتوظيف الاموال في مجالات متعددة ،.. وتقوم باحتجاز جزء من ارباحها القابلة للتوزيع لتكوين احتياطي لمواجهة المخاطر وثبات قيمة الودائع الاستثمارية .

والراجح ان هذه العمليات يتحقق لها الضمان والربحية معا ، وهذا يستفاد من الاقبال المتزايد عليها من قبل المصارف الاسلامية ، فقد بلغ التوظيف في الاستثمار بالمشاركة في بنك فيصل الاسلامي السوداني عشرة ملايين وسبعمائة الف جنيه سنة ١٩٧٩م ، كما تجاوز التوظيف في الاستثمارات المالية والمشاركات والمشروعات في بنك ناصر الاجتماعي ٥٢ مليون جنيه عام ١٩٧٩ ، مقابل ٣٤ مليون جنيه عام ١٩٧٨م بزيادة قدرها ٥٣٪ ، وتجاوزت استثمارات بنك دبي الاسلامي في عمليات مشاركة ومرابحة واسهم وعمليات تابعة ١٤٦ مليون درهم سنة ١٩٧٩م مقابل ٥٣ مليون درهم سنة ١٩٧٦م ، و١٣٢ مليون سنة ١٩٧٧ ، و١٢١ مليون سنة ١٩٧٨م ، ولا جدال في ان هذا التوظيف المتزايد راجع الى نجاح هذه العمليات في تحقيق الارباح والضمان معا للمصارف الاسلامية ، وقد ذكر ان ارباح هذه العمليات في بيت التمويل الكويتي تجاوزت ٤٣٠٢٠٠٠ دينار كويتي عام ١٩٧٩ .

المشاركة المتناقصة

واخيرا نشير الى نوع آخر من المشاركة التي تقدمها المصارف الاسلامية ، وهي المشاركة المتناقصة التي ينتهي امرها الى ان تئول ملكية المشروع الى العميل بعد ان يسترد المصرف امواله التي اسهم بها في اقامته ، ويكون ذلك بتخصيص جزء من العائد الصافي لاسترجاع حصة المصرف الذي يستمر شريكا في ملكية ما تبقى من حصته الى ان تتم اقساط الاسترجاع ، ثم ـ بعد ذلك ـ تئول الملكية كلية الى العميل ، ويلاحظ ـ كما تشير مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية ـ انه في هذه الحالة ، « .... لا يحق للبنك الاسلامي ان يحصل على اية ميزة مقابل ارتفاع الاثمان »، وهو الامر الذي يعني ان العميل هو ـ وحده ـ الذي يستفيد من ارتفاع اسعار الاصول عندما تئول اليه ملكية المشروع على هذا النحو .



الزواج .. والصلاة

رسالة جاءتنا من المملكة المغربية الشقيقة تقول صاحبتها : انني فتاة احرص على ان انال مرضاة ربي ، وقد تقدم لي شاب يخطبني ، أخلاقه حسنة ، ولكنه ينقطع عن الصلاة احيانا ولذا فهي مترددة في قبوله زوجا رغم مركزه الاجتماعي المرموق . وتسأل : هل تقبل به زوجا ؟

المحرر :

ونقول للأخت الفاضلة : جزاها الله خيرا ، وبارك فيها ، واكثر من امثالها : ان الصلاة عماد الدين ، وهي الركن اليومي الاساسي في الاسلام ، بل ويكرر في اليوم خمس مرات ، ومن صفات المؤمنين كما حكى القرآن الكريم : « الذين هم على صلاتهم دائمون » .... « والذين هم على صلاتهم يحافظون » ولذا ننصح الاخ المسلم بان يحافظ على اداء الصلاة في موعدها ، وان يداوم على ادائها بلا انقطاع ، ففي ذلك صلاحه في الدنيا والاخرة ..

واذا كان لا يصح اسلام المؤمن الا بالصلاة ، وتركها كبيرة من الكبائر ، الا انه يجوز لك اختي السائلة ان تقبليه زوجا ، فانه بحمد الله مؤمن .. غير انه يقصر احيانا ، وتقعد به همته ، او يصرفه الشيطان عن اداء صلاته . التي يعتقد بوجوبها ـ بعض الوقت ، ثم يعود الى جادة الطريق فيؤدي ما فرضه الله عليه ، ومع زواجك منه ، واستمرار نصحك له ، ومحاولاتك الرفيقة في الاخذ بيده على درب الايمان الكامل ، فسوف يوفقكما الله في حياتكما الزوجية ، لينشأ بيت جديد من بيوت المسلمين العامرة بالايمان ، والله الموفق .

الشهيد من كل امة

الاخ صلاح محمد محمود من الاسكندرية ـ ج . م . ع . كتب يقول : ارسلت من فترة لمجلتي الوعي الاسلامي رسالة ، ونحن في مصر ننتظرها بشغف ولهفة ، ولم اطالع الرد على رسالتي في باب « بريد الوعي الاسلامي » واعاد ما طرحه علينا في رسالته السابقة فقال : وانا اتلو كتاب الله تعالى . استوقفتني آيتان كريمتان في سورة النحل ، الاولى رقم ٨٤ ونصها : « ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون » . والاخرى رقم ٨٩ ونصها : « ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » . ويسأل عن الحكمة في ذكر « من » في الآية الاولى « من كل امة » . و « في » في الآية الاخرى « في كل امة » . ويطلب ايضاح المعنى .

المحرر : ونجمل ردنا على الاخ الكريم في النقاط التالية :ـ

اولا : لم تصلنا رسالتك السابقة ، وليس من عادة مجلتك ان تهمل رسالة قارئها .

ثانيا : ذكرت في رسالتك التى نرد عليها الان رقمي الآيتين الكريمتين خطأ . ونلفت نظرك الى ان رقم الآية هو الموجود في نهايتها .

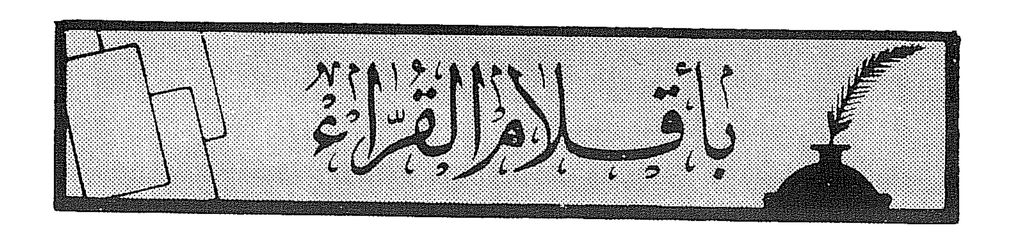
ثالثا : المعنى عند ذكر « من » : تتضح الحقيقة امام الكافرين يوم القيامة حيث يبعث الله من جنس كل امة شهيدا عليها ، وهو نبيها ، يشهد انه بلغهم الرسالة ونصحهم ولكنهم اعرضوا ، وعندئذ لا يقبل منهم عذر ولا تسمع لهم حجة .

والمعنى عند ذكر « في » : ان الله سبحانه يبعث كل امة وفيها نبيها ، يكون معهم لا يفارقهم ، فيسأله الله عن موقف امته منه ومن دعوته الى الله ، فيشهد لهم او عليهم ، هو فرد منهم ، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الشهيد على امته يوم القيامة .. فشرعه باق الى ان يرث الله الارض ومن عليها والعلماء ورثة الانبياء ، فهم المكلفون بحمل عبء الدعوة الى الله ، وفي القرآن الكريم تبيان لكل شيء فهو اصل للتشريع ، وفيه الهدى ، وفي ظلاله الرحمة ، ويحمل البشرى الطيبة للطائعين المسلمين .

رابعا : يرى بعض العلماء : ان الشهيد متمثل في عشرة اعضاء من اعضاء الانسان ، هي : الاذنان ، والعينان ، والرجلان ، واليدان ، والجلد واللسان .

ولهذا ذكر لفظة « في » ووصف الشهيد بكونه « من انفسهم » .

خامسا : والآيتان مع ما ذكر معهما من آيات مسوقة لبيان حال الناس يوم القيامة ، حيث الحكم العدل ، والجزاء من جنس العمل ، نسأل الله الهداية والجنة وما يقربنا اليها من قول وعمل ، ونعوذ بالله من الضلال والشرك ، ومن النار وما يقرب اليها من قول وعمل ، وبالله التوفيق ..



من التراث الاسلامي في أدب الأطفال

جاءنا من الاستاذ الطبلاوي محمود سعد هذه الكلمة ردا على ما نشر في المجلة تحت عنوان دراسة في ادب الطفل :

لقد لفت نظري المقال الذي نشر تحت عنوان : دراسة في أدب الطفل .. بقلم الأستاذ محمد فوزي حمزة في مجلتكم الغراء العدد ٢٠٦ صفر ١٤٠٢هـ .

واضافة الى ما كتب في هذا المقال العظيم ، فانني أنوه بتراثنا الاسلامي الزاخر بالتوجيهات والنصائح الطيبة الى ما يجب أن يكون نحو أطفالنا وفلذات أكبادنا ، فنظرة الى الوراء والى تراثنا القديم ، نجد الامام ابن الجوزي وهو عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ويكنى أبا الفرج المتوفي عام ٥٩٧هـ هذا الامام العظيم لم تشغله مؤلفاته الاسلامية في الفقه والفلسفة والتاريخ الاسلامي وعلوم التفسير والحديث وغير ذلك من شتى العلوم ، أن يكتب في التربية الاسلامية ، وبالذات نحو تربية الأطفال فقد ألف هذا الامام الجليل رسالة بعنوان : لفتة الكبد الى نصيحة الولد ، وهي رسالة قيمة تضع لنا الأسس والمبادىء نحو التربية الاسلامية ، وتبصر كل الآباء الى تربية فلذات أكبادهم على مبادىء وأسس سليمة من ديننا الاسلامي الحنيف ، ونبه الآباء في هذه الرسالة على تعليم الصغار الواجبات الدينية ، وغرس العبودية والتقوى في الأطفال وهم صغار ، وأنه يجب على الأب أن يقوم لسان ابنه بأن يعرفه النحو المستعمل في اللغة ، وأن يرسم له طريق الوصول الى المكانة العالية في المجتمع الاسلامي ، وأن يبصره بسبل تلقي العلم ، ونجد في رسالة الامام ابن الجوزي أسلوبه التربوي السليم فهو يقدم في أول كل فقرة من رسالته المبدأ السليم والقاعدة التربوية في توجيه ولده ، ويتبين ذلك من بعض النصوص التي سنذكرها له بعد قليل .

والذي يهمني من التنويه برسالة ابن الجوزي في هذا المقال ، هو أن سلفنا الصالح من ألف عام أو يزيد ، كانت لا تشغلهم علومهم ومؤلفاتهم في شتى العلوم والفنون عن أن يكتبوا للطفل ، ويكتبوا لنا التوجيهات والارشادات في تربية أطفالنا التربية الاسلامية ، حتى ينشأ أطفالنا على ركيزة اسلامية دينية من الصغر الى الكبر ، وحتى نأمن عليهم من التيارات الالحادية والانحرافات الجارفة التي وفدت علينا وعلى أطفالنا من القصص الأجنبية المترجمة لأطفالنا ، أمثال القصص البوليسية ، أو قصص العنف ، أو القصص التي تمثل الابتزاز واللصوصية والمراهقة ، وغير ذلك من القصص الدخيلة على أطفالنا ، وقد اعتبرناها وللأسف الشديد « **أدب الطفل** » ونعود الى ارشادات ونصائح الامام ابن الجوزي في رسالته : لفتة الكبد الى نصيحة الولد . اذ يقول : اعلم يا بني وفقك الله أنه لم يميز الآدمي بالعقل الا ليعمل بمقتضاه ، واعمل فكرك ، واخل بنفسك ، تعلم بالدليل انك مخلوق مكلف ، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها .. واعلم أن أداء الفرائض واجتناب المحارم لازم .. ثم اعلم أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين .. وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم ، وعلى العبد الاجتهاد « **فكل ميسر لما خلق له** » ـ كما ورد في الحديث الشريف عن المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري ومسلم وهكذا علم ابن الجوزي ابنه علم التوحيد وهو صغير ثم انتقل الامام ابن الجوزي يعلم ابنه الصغير المبادىء في عقيدة التوحيد فيقول له : وأول ما ينبغي النظر فيه : في معرفة الله تعالى بالدليل ، ومعلوم أن من رأي السماء مرفوعة والأرض موضوعة وشاهد الأبنية المحكمة .. علم أنه لا بد حينئذ للصنعة من صانع وللمبنى من بان ، ثم يتأمل دليل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأكبر الدلائل القرآن الكريم .

بعد أن بصر امامنا ابن الجوزي ابنه في عقيدة توحيد الله عز وجل وأنه هو الخالق لهذا الكون ، انتقل بابنه الى نصيحة أخرى يقول له : فينبغي لذي الهمة أن يترقى الى الفضائل فيتشاغل بحفظ القرآن وتفسيره وحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمعرفة سير أصحابه والعلماء بعدهم ليتخير مرتبة الأعلى فالأعلى .

ثم ينصحنا ابن الجوزي بتعليم أطفالنا الأسلوب العربي السليم فيقول : ولا بد من معرفة ما يقيم به لسانه من النحو ومعرفة طرف من اللغة ، ويحكي الامام ابن الجوزي لابنه التجربة التي مرت به في حياته فيقول : « فاني أذكر نفسي ولي همة عالية وأنا في المكتب ولي نحو ست سنين وأنا قرين الصبيان ، ثم رزقت عقلا في الصغر يزيد على الأشياخ ، فما أذكر أني لعبت في طريق مع صبي ، ولا ضحكت ضحكا خارجا ، حتى اني كنت ولي سبع سنين أو نحوها ، أحضر رحبة الجامع ، ولا أتخير حلقة متعبد ، بل أطلب

المحدث ، فيحدث بالمثمر فأحفظه فأرجع الى البيت فأكتبه ... » هكذا رسم ابن الجوزي طريق التربية لابنه في صغره .

ثم يستمر الامام ابن الجوزي في تبصير ابنه بتجربة أخرى مرت به وهو صغير ، حتى ينشأ ابنه على منواله فيقول : ولقد كان الصبيان ينزلون دجلة ويتفرجون على الجسر ، وأنا في زمن الصغر آخذ خبزا وأقعد حجزة من الناس الى جانب الرقة « مكان بجوار نهر » فأتشاغل بالعلم .. وكنت أسمع الفقه والوعظ والحديث وأتبع الزهاد ...

ويبصر ابن الجوزي ابنه باغتنام فرص الأوقات حتى لا يضيعها ويقول له : فانتبه يا بني لنفسك ، واندم على ما مضى من تفريطك ، واجتهد في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سعة ، واسق غصنك ما دامت فيه رطوبة ، واذكر ساعاتك التي ضاعت ، فكفى بها عظة ذهبت لذة الكسل فيها ، وفاتت مراتب الفضائل .

وأخذ امامنا ابن الجوزي يحكي لابنه تجاربه وهو صغير مع الصالحين من السلف ، ويذكر له قصصا كثيرة عن أصحابه وعن العلماء الذين أخذ عنهم العلم ؛ ويبين له شرف العلم والتعلم ، وينصحه بالعزلة عن رفقاء السوء فإن العزلة أصل كل خير ويقول له : وليكن جلساؤك الكتب والنظر في سير السلف ، وتلمح سير العاملين من العلم والعمل ولا تقتنع بالدون ، واعلم أن العلم يرفع الأراذل ، وأخذ ينصحه بالقناعة وحفظ حدود الله والجمع بين العلم والعمل ، وأن يكون همه العلم والتقوى والعبادة ، وأن يرسم لنفسه منهجا سليما في قراءته لكتب الأبطال والمجاهدين وسيرسلفنا الصالح . وأخذ يضرب له الأمثلة . ولا ريب أن رسالة ابن الجوزي : افتة الكبد الى نصيحة الولد ، التي ألفها من تسعمائة عام تعد من الرسائل القيمة في تربية الأطفال تربية اسلامية ، ويا حبذا لو كل مؤلف للأطفال يجعلها نصب عينيه وهو يكتب لأدب الطفل ، ويتذكر نصائح ابن الجوزي لولده وتبصيره بأمور حياته . وارشاده نحو المنبع الصافي الذي ينهل منه أدب الطفل ألا وهو الاسلام الحنيف ، فتاريخنا الاسلامي مليء بقصص البطولة في الحرب والجهاد وميادين القتال ، وأيضا مليء بقصص الأمانة والعفة والنزاهة التي نربي عليها أولادنا ، ونحن لا ننكر فضل ما تبذله دور النشر لكتب الأطفال ، التي تتجه بهم الاتجاه التربوي السليم ، ولكن مكتبة الطفل عندنا بحاجة ماسة الى مزيد من الكتب الاسلامية ، التي تحكي لهم قصص الأمجاد والبطولات التي مرت عبر تاريخنا العظيم . ويجب على الناشرين والمؤلفين والمكتبات ان تقلل من الكتب المستوردة لأطفالنا ، والتي تهدف الى فرنجة أطفالنا الأبرياء . ويا حبذا لو اهتمت كل مجلة أو صحيفة بركن خاص لأدب الأطفال ، وما يجب أن يكون نحو فلذات أكبادنا وأملي في الله كبير أن تستمر مجلتكم الغراء في رسم الطريق السليم نحو : أدب الأطفال .

إضافة لمقال

ارسل الينا الدكتور غريب جمعه هذا التعليق حول مقال الدكتور احمد شوقي الفنجري

قرأت مقال السيد الدكتور / احمد شوقي الفنجري بعنوان « جسم الإنسان والاعجاز القرآني » والذي نشر في عدد صفر ١٤٠٢ من مجلة « الوعي الاسلامي » الغراء .

والمقال فيه من سلاسة الاسلوب وتسلسل الفكرة واظهار العبرة ما يدعو الى الاعجاب والتقدير للسيد الدكتور ولكني ارجو ان يتسع صدره لإضافة ملاحظتين نحسبهما في خدمة المقال باذن الله .

الاولى : قال سيادته : في ص ٥٤

« ونقص اليود يؤدي الى الغدة الدرقية »

وهذه عبارة مركبة لا بد من تحليلها ومجملة لا بد من تفصيلها حتى لا يقول قائل : اي مرض يقصد الكاتب ؟ اذ ان امراض الغدة الدرقية متعددة اما المرض الذي يسببه نقص اليود بالنسبة للغدة الدرقية فانه يطلق عليه « الجويتر البسيط » . وهو مرض لا يصحبه زيادة في افراز الغدة الدرقية بل نقص احيانا ولذلك يكون في الغالب محاولة من الغدة لتعويض نقص نشاطها بزيادة حجمها لانتاج كمية اكبر من الهرمون الذي تفرزه . وقد يؤدي التضخم الى اعاقة البلع والتنفس وحجم الغدة الدرقية في الجويتر البسيط اكبر كثيرا من حجمها في مرض جريفز (نوع من امراض الغدة الدرقية) ، ويدخل اليود في صنع هورمون الغدة الدرقية بنسبة ٦٥٪ منه ويطلق على هذا الهرمون « هورمون الثيروكسين » وكمية اليود اللازمة للجسم ضئيلة جدا ومن مصادره ماء البحر وسمك المحيطات ولهذا يكثر هذا المرض في الاماكن البعيدة عن البحار .

الثانية : قال سيادته في نفس الصفحة :
« فزيادة الكالسيوم في الانسان تؤدي الى تصلب الشرايين »

والذي نعرفه من واقع الدراسة ان زيادة الكالسيوم في الدم تؤدي الى الاعراض الاتية :

١ ـ بالنسبة للكليتين :

يؤدي الى حدوث مغص كلوي وافراز بول مصحوب بدم وتكون رمل او حصوات صغيرة ووجع اسفل الظهر ويحدث ذلك في حوالي ٨٠٪ من حالات ارتفاع الكالسيوم بالدم

٢ ـ بالنسبة للعظام والعضلات :

تحدث الام بالعضلات وقد يحدث تساقط للاسنان وكسور وتشوهات بالعظام وتحدث هذه الاعراض في حوالي ٣٠ ٪ من الحالات

٣ ـ بالنسبة للجهاز الهضمي

يحدث غثيان وقيء وامساك والام بالبطن وقد وجد ان ٢٤٪ من الحالات تصاب بقرحة في الاثني عشر وذلك لان زيادة الكالسيوم قد تؤدي إلى زيادة افراز حامض المعدة (حمض الايدروكلوريك) وقد يحدث التهاب مرتجع بالبنكرياس .

٤ ـ بالنسبة للجهاز العصبي :

تحدث اضطرابات عقلية في الحالات الشديدة

٥ ـ اعراض اخرى مثل :

الام عامة بالعضلات وجفاف بالانف واحساس بالعطش ونقص في الوزن وعدم الرغبة في النوم واضطرابات بالقلب وكثرة التبول مع العطش والله أعلم .

الدكتور غريب جمعة



« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا : طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للصحافة .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت